الفلسطينيُّون و التحرر:
موقف مسيحيّ

خريستو المرّ

دار الآداب
مكتبة

لن ننسى تشرين .. 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود
telegram @soramnqraa

الفلسطينيُّون والتحرُّر: موقف مسيحيّ

خريستو المرّ

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفلسطينيُّون والتحرُّر:
موقف مسيحيّ

دار الآداب ـ بيروت

الفلسطينيُّون والتحرُّر: موقف مسيحيّ

خريستو المر/كاتب لبنانيّ

الطبعة الأولى عام 2022

ISBN 978-9953-89-789-9

Copyright © 2021, Christo El Morr

مكتبة
t.me/soramnqraa

دار الآداب للنشر والتوزيع
ساقية الجنزير - بناية بيهم
بيروت - لبنان
هاتف: 861633 (01) - 861632 (03)
فاكس: 009611861633
e-mail: rana@daraladab.com
info@daraladab.com

Daraladab @Daraladab daraladab.com

الإهداء

إلى الطالبات والطلّاب الذين أعطوا لفلسطين في قلبي وجهًا قريبًا،

إلى الذين رأوا وجه يسوع في وجوه المظلومين،

إلى معلّمِيَّ الكُثُر، ومنهم فالنتينا، زوجتي، التي تنبض بالفكر والإحساس والعمل لأجل المظلومين.

المحتوى

مكتبة
t.me/soramnqraa

مقدِّمة الكتاب 14

القسم الأوَّل: نحو موقف مسيحيٍّ من القضيَّة الفلسطينيَّة 17

1. المسيحيَّة بين الحياد والالتزام 19

2. مواجهة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ كمسؤوليَّة إيمانيَّة 30

3. الإيمان المسيحيّ، فلسطين، والمقاطعة 51

القسم الثاني: الوعي والتحرُّر: نضال عنفيّ أم نضال لاعنفيّ؟ 75

1. احتلال الوعي: مثال من دعاية الفصل العنصريّ أثناء مذبحة غزَّة عام 2008 77

2. فلسطين: وسائل تحرير عنفيَّة أم لا عنفيَّة؟ 104

القسم الثالث: ثقافة المقاطعة 117

1. الإنسان والمبادئ: حملة المقاطعة لإسرائيل نموذجًا 119

2. الثقافة والمقاطعة: أيّة علاقة؟ 126
3. أمين معلوف والمقاطعة 132
4. خطاب المثقّف العربيّ للمحتلّ هو المقاطعة 136
5. الحبّ والمقاومة: مخاطرُ اللاحبّ في بعض كلام مرسيل خليفة ... 142

القسم الرابع: المسيح وقضيَّة فلسطين 151
1. حدود البلدان وحدود القلب: فلسطين 153
2. الفلسطينيُّون وجه المسيح 156
3. جسدُ المسيح المرفوع في غزَّة 160
4. الفلسطينيُّون ـ المسيح 163

مؤلَّفات أخرى للكاتب 167
المراجع 171

مقدِّمة الكتاب

فلسطين كانت وما زالت جرح الأمَّة النازف والذي لم يتوقَّف يومًا عن تذكير الضمير الإنسانيّ بذلك الظلم الذي وقع على شعب أعزل احتُلَّت أرضه بقوَّة السلاح، والذي شكَّل وما زال أحد آخر المشاريع الاستعماريَّة الاستيطانيَّة الاحتلاليَّة في العصر الحديث. وقد ظنَّ البعض أنَّ هذه القضيَّة قد طُويت صفحتها إلى غير رجعة، وفقدت مركزيَّتها وأهمِّيَّتها، ممَّا حدا ببعض الدول العربيَّة إلى الهرولة والتطبيع مع دولة الاحتلال وكأنَّ شيئًا لم يكن. وإذ سطَّر الفلسطينيُّون في الفترة الأخيرة في كلٍّ من الشيخ جرّاح في القدس وفي غزَّة والداخل المحتلّ صفحةً أُخرى من صفحات المقاومة والإباء والصمود، عادت فلسطين لتشكِّل الرقم الصعب الذي يصعب اختزاله، إذ لا يضيع حقّ ما دام هناك شعب يطالِب به ومستعدّ للتضحية من أجله. ولقد أكَّدت المظاهرات التي اجتاحت العالم مركزيَّة هذه القضيَّة ليس للشعب الفلسطينيّ فحسب، بل للضمير الإنسانيّ الذي يؤمن بالعدالة ويسعى نحوها.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمّيَّة هذا الكتاب للصديق خريستو المرّ. فهو يكتب أوّلًا كونه إنسانا ملتزمًا بقضايا الإنسان المظلوم أيًّا كان لونه أو عرقه أو جنسه، فلا فرق عنده بين اللاجئ السوريّ أو الافريقيّ الأميركيّ أو الفلسطينيّ المنتهكة حقوقهم. ولكنْ للفلسطينيّين مكانة خاصَّة لدى المؤلّف، إذ يكتب: «لماذا الفلسطينيُّون حاضرون في ضميري وعملي؟ ليس لأنَّهم من العالم العربيّ، ولا لأنَّهم يشبهونني لغةً أو ثقافةً، بل لأنَّهم يُشبهون المسيح»؛ هنا تكمن فرادة هذا الكتاب الذي يُقدّم للقارئ العربي مقاربةً مسيحيَّةً، بل لاهوتيَّةً أصيلةً للقضيَّة الفلسطينيَّة، إذ ليست هذه قضيَّة إنسانيَّة أو عربيَّة فحسب، ولكنَّها أوّلًا وأخيرًا قضيَّةٌ إيمانيّة وبامتياز. في هذا الجزء الرابع من الكتاب تظهر فرادة المؤلّف، كيف لا وهو تلميذ كلٌّ من المطران جورج خضر والدكتور كوستي بندلي، وأحد أعضاء حركة الشبيبة الأرثوذكسيَّة.

هذا ويشكّل الصليب بالنسبة لخريستو المرّ المفتاح الهرمنيوتيقيّ لفهم القضيَّة الفلسطينيَّة، فالفلسطينيُّون يحملون اليوم سمات ابن جلدتهم، فهم مصلوبون مثله، مجروحون، ومعتقلون ومحتقرون مثله. والإيمان المسيحيّ لا يقبل الحياد في مثل هذه الحالات، فالحياد في مثل هذه الظروف انحيازٌ للقويّ ضدّ الأخوة الأصاغر. والإيمان الحقيقيّ لا يقبل الخنوع ولا الاستسلام، بل لا يقنع إلَّا بالحرّيَّة والعدالة والمحبَّة، والطريق إليها إنَّما يمرّ عبر المقاومة والنضال بأشكاله المتعدّدة. هنا أيضًا يُقدّم الكاتب إضاءةً لاهوتيَّة للاهوت التجسُّد الذي يأبى أن يروحن الإيمان رَوْحَنَةً رخيصةً تنقله إلى الميتافيزيقيا، بل ينادي الكاتب بإيمان واعٍ وفاعل، هو إيمان واعٍ لإدراكه أنَّ الشرّ في هذا العالم لم يكن يومًا وليد الصدفة أو القدر، بل إنَّما هو نتاج منظومةٍ اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة ممنهجة وَجَبَ

تفكيكها. ومن هذا المنطلق، يدعو الكاتب لمواجهة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ كمسؤوليَّة إيمانيَّة.

وهنا أيضًا تظهر فرادة هذا الكتاب الذي استبق تقارير منظَّمات حقوق الإنسان، كمنظَّمة بيتسلم الإسرائيليَّة، وهيومن رايتس واتش والتي أقرَّت في الأشهر الأخيرة أنَّ نظام الفصل العنصريّ قائمٌ في جانبَي الخطّ الأخضر. أمَّا دعوة الكاتب لمقاومة كلّ أشكال التطبيع فتشكّل حاجةً ملحَّة في زمن الهرولة العربيَّة للتطبيع مع الكيان الصهيونيّ وكأنَّ شيئًا لم يكن. وليست هذه الدعوة دعوةً نظريَّة، بل هي للكاتب حياةٌ إيمانيَّة، فمن عرف المؤلِّف عرف أنَّه إنسانٌ لا يُنظِّر بل يعيش ما يكتب كناشط في حركة كايروس فلسطين الدوليَّة، وفي حركة المقاطعة الـBDS . كما وتشكّل أوراق هذا الكتاب ردًّا على محاولات «احتلال الوعي» في الصحافة الغربيَّة والدعاية الصهيونيَّة، والتي نحن اليوم في أمسّ الحاجة لإماطة اللثام عنها ومواجهتها.

ولا يسعني في الختام إلَّا أنْ أُبارك للصديق العزيز على هذه الإضافة النوعيَّة للمكتبة العربيَّة وللمكتبة المسيحيَّة، وكلّي أمل أنْ يُبصر الفلسطينيُّون الحرِّيَّة ويحظوا بالاستقلال، وأن تطأ قدما الكاتب ثرى فلسطين، فنحتفل معًا بقيامةٍ مجيدة في مدينة القيامة وبانتصار الحياة على الموت والعدل على الظلم.

القسّ الدكتور متري الراهب
بيت لحم، فلسطين حزيران 2021

مقدِّمة الكاتب

ليست قضيّة فلسطين بقضيّة دينيّة وإنّما هي قضيّة سياسيّة تتعلّق بحقوق الإنسان، وبالعدالة التي يجب أن يتمتّع بها الناس جميعًا. ولكن ما من عدالة يمكنها أن تقوم على هذه الأرض دون نضالٍ، وإنْ كان يمكن للناس أن يتحاوروا حول الوسائلَ النضاليّة الأجدى في لحظة تاريخيّة ما، فإنّه لا مناص لهم من النضال للوصول إلى العدالة. هذه الرؤية تشكّل الأرضيّة الواقعيّة لهذا الكتاب.

بالإضافة إلى ذلك، يرتكز هذا الكتاب على إيمان مسيحيّ يحاول أن يقرأ لبّ رسالة يسوع ببساطتها الإنجيليّة من زاوية الفلسطينيّ المظلوم. يلفت نظرنا في الإنجيل أنّ يسوع، وفي المرّة الوحيدة التي تحدّث فيها عن دخول الناس الملكوت مستخدمًا مقياسًا عمليًّا واضحًا (متّى 25: 31 ـ 46) قال ما معناه: لن «تدخلوا الملكوت» إلّا بي، ولتكونوا معي يجب أن ترفعوا الظلم عن المظلوم فتقدّمون الماء للعِطاش والأكل للجائعين وتعتنوا بالمرضى وتقفوا إلى جانب الغريب، أي يجب أن تعملوا على تحرّر المظلومين فأنا

والمظلومين واحدٌ. ولكنّ يسوع لم يتوقّف عند هذا، وإنّما كشف في نفس الخطاب وجهًا آخر لمقياس «دخول الملكوت» فقال ما معناه: إذًا، لا يكفي ألّا تصنعوا الشرّ، بل عليكم أن تعملوا بشكل فاعل لمواجهة الشرّ، لرفع الظلم وإحلال الخير، فإنْ لم تكونوا عمليًّا إلى جانب المظلومين تكونوا قد تركتموني ولن يكون عندها بإمكانكم «دخول الملكوت» لأنّني أنا والمظلومين واحدٌ. هذا المقياس الذي وضعه يسوع نفسه، يشكّل الخلفيّة الإيمانيّة التي تنبع منها رؤيتنا الأخلاقيّة للقضيّة الفلسطينيّة، ولكلّ قضيّة محقّة أخرى في هذا العالم. لا حياد تجاه المظلوم.

إلّا أنّ الرؤية الإيمانيّة هذه لا يمكنها أن تثبت إلّا بالبحث والجدّ والوعي، وهذه تتعمّق جميعها بالنضال اليوميّ والتعاون الجماعيّ. ولهذا كان لا بدّ من خوض التفاصيل الواقعيّة لحياة الفلسطينيّين لأنّ تحرير الوعي أساس لتتحرّر الإرادة والقدرة على النضال. مَنْ أقنعه المستفيدون من الظلم في أكثر من بلد، بأنّ كلّ شيء على ما يرام، أو بأنّ الفلسطينيّين غيرُ مُحِقّين في سعيهم للعدالة، أو بأنّ المُحتَلّ «مظلوم»، حُيِّدَ عن النضال وتعطّلت إرادته وقدرته.

بوعي الواقع الظالم، يمكن الانخراط في النضال من أجل المظلوم، وذلك يعني في حالتنا يمكن للإنسان خوض النضال من أجل تحرّر الفلسطينيّين وإحقاق حقوقهم وتحقيق العدالة لهم. عندها يستطيع الإنسان أن يحيا حياته الإيمانيّة في واقع حياته اليوميّة، ويكتشف أنّه يمكنه أن يشارك اللّـه في ورشة تحرير الناس من الخطيئة (والتي تعني حرفيًا إخطاء الهدف، هدف المحبّة)، ومن أثار الخطيئة الجماعيّة، تلك الآثار المتمثّلة بالاستغلال وبالقمع، أي المتمثّلة بانعدام العدالة. ورشة التحرير هذه، تحرّر

المظلوم أساسًا، ولكنّها أيضًا تردع الظالم فتفتح أمامه الطريق كي يرجع عن غيّه. فإذا بالحياة الأرضيّة ترجمةٌ وتَمَثُّلٌ ـ ولو محدود وهشّ ـ للحياة في الملكوت. وبالنسبة للمسيحيّين، هذا لقاء بيسوع في وجوه المظلومين، في وجوه الفلسطينيّين.

خريستو المرّ
تورونتو، في أنوار الميلاد
11 كانون اوّل 2021

القسم الأوَّل

نحو موقف مسيحيٍّ
من القضيَّة الفلسطينيَّة

مكتبة
t.me/soramnqraa

-1-

المسيحيَّة بين الحياد والالتزام[1]

هناك أكثرُ من حالة سوء فهمٍ للمسيحيَّة، وتقع مسؤوليَّةُ هذه الحالات جميعِها على المنتمين إليها أساسًا. إحدى حالات سوء الفهم تقول إنَّ المسيحيَّة تهتمّ بالأمور «الروحيَّة» لا الدنيويَّة. هذا التعليم المخدِّر المنتشرُ حتى اليوم غيرُ منسجمٍ مع الإنجيل، ولا يُقْنع أيّ إنسانٍ سويّ الإحساس يرى أنَّ أمورًا «دنيويَّةً» (كالطعام والشراب والعلم والطبابة) أمورٌ مهمَّةٌ، وأنَّ رفعَ الظلم عن المظلوم مطلبٌ شريف. ومَن يقول إنَّ على الإنسان أن يركِّزَ جهدَه على الأمور «الروحيَّة» فيتعمَّقَ بها قبل أن يتعاطى الأمورَ «الدنيويَّة»،

(1) خريستو المرّ، المسيحيَّة بين الحياد والالتزام، مجلَّة «الآداب»، بيروت، 12 كانون أوّل/ديسمبر، 2020. أهديتها إلى مَن يتوقون إلى حياةٍ ملؤها الحرّيَّةُ والكرامةُ في بلادنا، ولا تكون أسيرةَ التعصُّب، وإلى الذين حضروا النقاشَ عن «الحياد والالتزام من وجهة نظرٍ مسيحيَّة» (رعتْه مجلَّةُ الآداب في الفضاء الافتراضيّ في 20/9/2020)، ومنهم السيِّدة دعد نويْهض المصري التي ارتاحت إلى ما جاء عن المسيحيَّة فيها.

فرأيُه مردودٌ لأنَّ أيّ نموٍّ «روحيّ» لا يمكن أن يحدثَ خارج هذه الأرض، كما وأنَّ البُعدَ الأخلاقيّ العمليّ اليوميّ للإيمان على الأرض، في هذه الدنيا بالذات، وفي أجسادنا ونفوسِنا بالذات، هو الذي يَسمح للإيمان بأنْ ينموَ ويتجذَّر، فـ «الإيمان بدون الأعمال ميّت». إنَّ المسؤوليَّة الإنسانيَّة عن هذه الأرض جذريَّةٌ في الإيمان المسيحيّ، ذاك أنَّ المسيحيّين يؤمنون بأنَّ كلمةَ اللّـه تَجَسّدَ في العالم ليدشِّنَ ملكوتَ اللّـه منذ الآن. إنَّنا نعتقد أنَّه من خلال قراءةٍ مسؤولةٍ للإنجيل، يمكننا أن نتَّخذَ موقفًا واضحًا من «الحياد والالتزام» من منظورٍ مسيحيّ.

أ ـ الكنيسة و«قيصر»

لطالما أُسيءَ فهمُ جملة يسوع «أَعطوا ما لقيصرَ لقيصرَ وما للّـهِ للّـهِ». فقد فُسِّرَتْ على أنَّها تعني أنَّ المسيحيَّة ديانةٌ روحيَّة، لا علاقة لها بالسياسة، ولا كلمةَ لها تقولها في سياسات «الأرض». هذا التفسيرُ محضُ هراء عندما نتذكَّر بأنَّ الإيمان المسيحيّ قائمٌ على تجسُّد كلمة اللّـه في هذا العالم، بحيث غدا حضورُ اللّـه فيه أكثرَ وضوحًا.

يستفيد الطائفيُّون والمستغلُّون والديكتاتوريُّون أيَّما إفادةٍ من هذا الفكر الفُصاميّ، فيقولون: فلنتصرَّفْ بحسب ضرورات هذا العالم («الضروراتُ» مفهومٌ مطّاط)، بينما نؤدّي في الوقت عينِه واجباتِنا «الروحيّةَ» (التي يختصرونها باتِّباع الطقوس). على مَن آمنوا بيسوع أن يميّزوا، فعلًا، بين مملكةِ اللّـه ومملكةِ قيصر، ولكنْ ليس بالمعنى السابق المشوّه؛ وإنَّما بمعنى عدم المساواة بين أيِّ حزبٍ وسياسةٍ ومشروعٍ وشخصٍ من جهة، وبين مملكةِ اللّـه من جهةٍ أخرى.

جملةُ يسوع تعني رفضَ ادّعاءَ تمثيلِ إرادةِ اللّـه واحتكارِها، سواءٌ أطلقتْها سلطةٌ دينيَّةٌ أو زمنيَّةٌ أو شخصٌ أو طائفةٌ أو قوميَّةٌ أو جنس. وتعني رفضَ الزعم أنَّ معارضةَ ذلك الادّعاء معارضةٌ للّـه نفسه. وهذا الادّعاء هو بالضبط ما تقوم به، وإنْ بشكلٍ مبطّن، كلُّ التنظيمات الطائفيَّة في لبنان والعالم. يسوع، بكلماته تلك، يُحرّر الضميرَ الإنسانيّ من أن يستعبدَ نفسَه لسلطةٍ أو جماعةٍ أو شخص، ويفتحُ الطريقَ للإنسان كي يتحلّى بالشجاعة، فيَحْكمَ على الأمور بناءً على متطلّبات الحياة مع يسوع: فيَرفضَ، مثلًا، كلّ تفكيرٍ أو أمرٍ يدعو إلى التفوُّق العنصريّ أو إلى العنف ضدَّ الناس، ويرفض التعذيبَ أو السكوتَ عنه، ويرفضَ إطلاقَ النار على المتظاهرين، أو طاعةَ سلطةٍ تنهبُ شعبَها أو تقمعُه، ويرفضَ دعوةَ أيّ رجل دينٍ للقبول بالظلم تحت أيّ مسمًّى، ولو كان لطيفًا كـ «الحياد».

هذا الصراع الشجاع من أجل التحرُّر من سلطة «قيصر» حين يدَّعي سلطةً شاملةً على الضمائر، بل سلطةً إلهيّةً كذلك، يجعلنا في صِدامٍ مع الآخرين لا محالة؛ ذلك لأنَّ المنافقين في كلِّ زمنٍ يَكرهون الحقّ والشاهدين له ويضطهدونهم. ومن وجهة نظرٍ مسيحيَّة، فإنَّ الشهودَ اليومَ لِحَقّ الناس في أن يعيشوا في البلدان العربيَّة بحرّيَّةٍ وكرامةٍ يقومون بعملٍ نبويّ، صِداميّ مع الخضوع. وقد كان يسوعُ واضحًا في هذا المجال، فقال: «لا تظنُّوا أنّي جِئْتُ لأُلقيَ سلامًا على الأرض... إنّي جئتُ لأفرّقَ الابنَ ضدّ أبيه، والابنةَ ضدّ أمّها، والكنّةَ ضدّ حماتِها. وأعداءُ الإنسان أهلُ بيته. مَن أحبّ أبًا أو أُمًّا أكثرَ منّي فلا يستحقُّني، ومَن أحبّ ابنًا أو ابنةً أكثرَ منّي فلا يستحقُّني».

هذه كلماتٌ مزلزِلةٌ لكلِّ بُنْيةٍ سلطويّة، وتنسفُ كلّ سيطرةٍ واستكانة، بدءًا من العائلة وحتى آخرِ بنيةٍ اجتماعيَّةٍ وسياسيَّة. مَن يشهدُ للحقّ هو في

خطٌّ يسوع، وقد يدفعه ذلك إلى أن يكونَ في تعارضٍ مع أهل بيتِه ووطنِه عندما يكونون ضدَّ المظلومين مثلًا، وإنْ شعر بالحرج والضيق والصراع الداخليّ، وربّما بالخِزي والنّبْذ. ولهذا بالضبط، قال يسوع فورًا بعد جملته الأخيرة: «مَنْ لا يحملُ صليبَه ويتبعُني فلا يستحقُّني». اتّباعُ المسيح في المظلومين هو حملُ صليبٍ بالضرورة، ليس لأنَّ يسوع يريد ذلك، بل لأنَّ المنافقين وأتباعَهم من فاقدي البصيرة يكرهون الحقّ.

ب ـ الأرض والسماء: كلُّ ما فعلتموه بأحدِ هؤلاء الصغار، فبي فعلتُموه

لا يوجد في المسيحيَّة فصلٌ بين الأرض والسماء؛ فالمسيحيَّة تعتقد بأنَّ كلمةَ اللّـه نفسِه قد تجسّد في الأرض بشخصِ يسوع. هذه النقطةُ المركزيَّةُ التي تنطلق المسيحيَّةُ منها تعني أنَّه، بعد يسوع، لا انفصالَ بين الدنيا والأمورِ الروحيَّة. مَن يسعى إلى اللّـه يسعى إليه في قلبِ هذه الدنيا؛ فالروحيُ حاضرٌ في الوجود المادّيّ. الحياة التي تُسمَّى «روحيَّة» ليست غيرَ هذه الحياة إنْ عِيشتْ مع يسوع وفي خطّه. وهي ليست مجرَّدَ صلواتٍ وأصوامٍ وأعياد، وإنَّما هي العيشُ كلُّه إنْ كان في خطِّ المحبَّة.

و«المحبَّة» كلمةٌ غامضةٌ جدًا. وعادةً ما نتفوَّهُ بالكلمة ونعني عكسَها: فقد نقول «محبَّةً» ونعني قمعًا (كما في قولنا «أُحِبُّ ولدي البالغَ، ولذلك أريدُه أن يتصرَّفَ كما أريدُ أنا»)، أو خضوعًا («أحِبُّ فلانًا ولذلك أفعلُ كلّ ما يريده»). المحبَّة ليست في الخضوع، ولا في التسلُّط، بل هي خبرةٌ يتلازم فيها مسعى الوحدة بالآخرين مع احترام التمايز. ويتجسَّد ذلك في الرغبة في رعاية الآخر. ومن هذه الرغبة ينبع شعورٌ بالمسؤوليَّة عنه، وهي مسؤوليَّةٌ تحترم حرّيَّتَه وإرادتَه، وتدفعنا إلى المزيد من المعرفة لكي تكون الرعايةُ واعيةً وفاعلة.

والمحبَّة علاقةٌ ذاتُ بُعديْن: فرديّ وجماعيّ. البعد الفرديّ أوضحُ من الجماعيّ. كيف نحبُّ آخرين على مستوى الحياة الجماعيَّة العامَّة، على مستوى الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة؟ ننطلق دائمًا من يسوع. يسوع تكلَّم مع مجتمعٍ زراعيّ، وبلغةٍ بسيطة، ولذلك جاء كلامُه العمليُّ بوضوحٍ كلّيّ، مقلقٍ ومريحٍ في آن. ففي المرّة الوحيدة التي تكلَّم فيها بلغةٍ مباشرة (من دون استخدام الأمثال) عن معيار الدخول إلى ملكوت اللّـه يومَ القيامة، قال إنَّ الداخلين إلى ملكوت اللّـه هم الذين سيُطْعمون يسوعَ حين يجوع، ويسقونه حين يعطش، ويُؤَوّنه حين يكون غريبًا، ويزورونه حين يكون مريضًا أو سجينًا. وقال إنَّ ذلك الدخولَ إلى ملكوت اللّـه يَحدث كلَّما أطعمْنا الجيَّاعَ وسقينا العُطَّاشَ وآويْنا الغرباءَ، وزُرنا المرضى والسجناء؛ فـ«كلُّ ما فعلتموه بأحدِ هؤلاء الصغار، فبي فعلتموه».

مقياسُ يسوع هو المهمّشون. يسوع وحَّد نفسَه بالمهمّشين؛ فمن يُرِدْ أن يكونَ معه يكنْ مع هؤلاء ويعضدْهم. وجعُهم وجعُه، وهم هو. وبهذا، أشار إلى التوجُّه الذي يمكن أن نسمّيَه مسيحيًّا في الحياة العامَّة: أن يحبّ الإنسان الآخرَ برفع مفاعيل الظلم عنه، وبرفع أسباب الظلم عنه.

لكنَّ يسوع لم يكتفِ بذلك، بل تابع مخاطبًا الناسَ الخلوقين (لا أولئك المُصرّين على الشرّ)، قائلًا إنَّ أخلاقًا سلبيّةً، أيْ تكتفي بعدم فعل الشرّ، هي أخلاقٌ مُدانةٌ في المسيحيَّة. لذا قال إنَّ «الملاعين» الذين لن يدخلوا ملكوتَ اللّـه هم الذين رأوْا يسوعَ عطشانًا وجائعًا وغريبًا ومريضًا ومسجونًا فلم يهتمُّوا به. وأمام استغرابهم من كلامه لأنَّهم لم يروْه شخصيًّا مرَّةً في حياتهم، سيُجيبهم: «كلُّ ما لم تفعلوه بأحدِ إخوتي هؤلاء الصغار، فبي لم تفعلوه».

هذه الكلمات يجب أن تؤرِّق كلّ مسيحيَّةٍ ومسيحيّ، لأنَّ يسوع يقول فيها إنَّ الإنسان الذي يسير في إثر يسوع لا يسعه أن ينامَ على مخدَّةِ «أخلاقٍ»

تكتفي بألاً يفعل صاحبُها الشرّ، بل هو مُطالَبٌ بأخلاقٍ فاعلة. يسوع يطالب الإنسان بأنْ يلتزم رفعَ أسباب الظلم عن المظلومين في المجتمع. وأقول «أسباب» لأنّنا نعرف في زمننا أنَّ الجوعَ والعطشَ والمرضَ والغربةَ والسجنَ ليست أمورًا طبيعيَّةً تحدث صدْفةً، وإنَّما هي نتيجةٌ لسياساتٍ اقتصاديَّةٍ ولخياراتٍ يتَّخذها الممسكون بزمام السلطة. ولا تُمْكن معالجةُ علامات المرض من دون معالجةِ أسبابه.

ج ـ بين «أعطِنا خبزَنا كفافَ يومنا» و«أعطِهم الكفافَ على أيدينا»

يسوع أعطى أتباعَه صلاةَ «أبانا الذي في السماوات» يطلب فيها الإنسان الغفرانَ من اللّـه: «ليأتِ ملكوتُكَ، لتكنْ مشيئتُكَ كما في السماء كذلك على الأرض. خبزَنا الجوهريّ (أو خبزَنا كفافَنا) أعطِنا اليوم...» ولكنَّ هذه الصلاة ليست عمليَّةً سحريَّةً اتِّكاليَّة، وإنَّما هي ـ ككلِّ صلاة ـ تواصلٌ محِبٌّ، ومن ثم مسؤولٌ. وقد كتب بولس: «نحن عاملون مع اللّـه». فإنْ تكن مشيئةُ اللّـه مشيئةَ محبَّةٍ، لأنَّ اللّـه محبَّةٌ كما يقول الإنجيل، فإنَّ اللّـه أراد أن يُحقِّقَ مشيئتَه معنا، أو نحقِّقَها معه، بعملنا هنا، لكي يأتي ملكوتُ المحبَّة بتجسُّده عدالةً في البنى الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة. والقدّيس باسيليوس الكبير كان يصلّي بوضوحٍ «كي يسعفَ اللّـهُ الإخوةَ الـمُحتاجين ويقدِّم إليهم الكفافَ على أيدينا». وهذا الكفاف، كفافُ المحبَّة الإنسانيَّة التي تجمع الكلَّ في العدل، يُحقِّقها اللّـهُ على أيدينا نحن.

د ـ الحياد والالتزام في الإنجيل

بالإضافة إلى هذه الرؤية التي تمكِّننا من أن نقاربَ موضوعَ الحياد والالتزام، هناك عددٌ من الشخصيَّات في الإنجيل تمثِّل هذين الحدَّيْن.

لا نجد في الإنجيل موقفًا من الحياد أوضحَ من موقف بيلاطس البنطيّ، الحاكمِ الرومانيّ أيّامَ يسوع. فبحسب الإنجيل، حين قبض رجالُ الدين على يسوع وحَكموا بضرورة قتله لكونه «قد كفر» بحسب رأيهم، ذهبوا به إلى بيلاطس لينفِّذَ عقوبةَ الإعدام. غير أنَّ بيلاطس خشيَ من ردَّات فعل الجمهور، فسلَّم يسوعَ إلى جلَّاديه، ثم «أخذ ماءً وغسل يديْه قدَّام الجمع قائلًا: إنّي بريءٌ من دم هذا البارّ. أبصِروا أنتم» (أي افعلوا ما تشاؤون). لم يحكمْ بيلاطس بشيءٍ على يسوع، لا بل وصفه بـ«البارّ» (بحسب متّى)؛ ومع ذلك، فقد سلَّمه إلى إرادة القيادات الدينيَّة، متنصّلًا من مسؤوليَّته. هكذا أعلن بيلاطس حيادَه. لم يدنْ يسوع، ولم يَحْكمْ عليه، بل هو أعلن براءتَه، ولكنَّه تركه إلى مصيره مع الذين اتَّهموه وأرادوا قتلَه. أراد بيلاطس إرضاءَ المجتمعين على يسوع، فغسل يديْه من دم الضحيَّة البريئة وهو يراها تذهب إلى الموت. شخصيَّة بيلاطس تختصر «الحيادَ» تجاه الضحايا والأبرياء: الحياد يترك الضحيّةَ البريئةَ لجلَّادها.

اليوم، أيُّ حيادٍ تجاه قضايا العدل، وبخاصَّةٍ في فلسطين لأنَّ فيها الظلمَ الأكبرَ، هو حيادٌ كحياد بيلاطس: يسلِّم الضحيّةَ إلى الجلَّاد.

ما يعاكس الحيادَ في الإنجيل ليس الالتزام، إذ ليس كلُّ التزامٍ التزامًا محقًّا، بل الحقّ. إنَّ الحقّ هو الذي يحدِّد نوعيَّةَ الالتزام. «وما هو الحقّ؟» سؤالٌ وجَّهه بيلاطس إلى يسوع، ولا شكَّ في أنَّه يخالج ذهنَ القرَّاء. إنَّنا نرى أنَّ الحقّ هو التزامُ خطِّ الضعفاء والمهمّشين. فقد قال يسوع أمريْن: مرَّةً قال «أنا هو الطريقُ والحقُّ والحياة»، وقال أيضًا إنَّه في عداد المظلومين والمهمّشين. الحقّ، إذن، هو التزامُ الإنسان بهؤلاء أمام يسوع. هذا هو المعيار الإنجيليّ للالتزام؛ وعدا ذلك فـ«مماحكاتٌ هذيانيَّةٌ» بتعبير بولس.

في الإنجيل، هناك «التزامٌ منحرفٌ» تصوِّره شخصيَّةُ قيافا، رئيسِ الكهنة الذي حَكم على يسوع بالموت وطلب من بيلاطس تنفيذَ الحكم. فالمجموعات الدينيَّة المتضرِّرة من تصرُّفات يسوع ومن تعاليمِه، التي تهزُّ التقاليدَ وتنتقد نفاقَ رجال الدين وتُخلخل السلطةَ الكهنوتيَّة، كانت قد بدأتْ تخطِّط للتخلُّص منه. تَرِدُ على لسان قيافا جملةٌ تقول «خيرٌ أن يموتَ واحدٌ عن الشعب ولا تهلكَ الأمَّةُ كلّها». هذه الجملة تعكس شخصيَّةً لا ترى القيمةَ العليا في الحقيقة والعدل، بل في السلطة. أراد قيافا (وكلُّ إنسان يمكن أن يكون قيافا) حمايةَ الهيكليَّة الاجتماعيَّة وسلطتَه. العصبيَّة الاجتماعيَّة والسلطة تأتيان عنده على حساب قتل إنسان ظهرتْ عليه علاماتُ النبوَّة بحسب التقليد اليهوديّ (فكلامُ قيافا يأتي ردَّةَ فعلٍ على قيام يسوع بمعجزة). يفضِّل قيافا السلطةَ على النبوَّة. وإنْ تذكَّرنا أنَّ النبوَّة لبُّها الشهادةُ للحقّ، فإنَّنا نستطيع القول إنَّ قيافا فضَّل المنافعَ والمغانمَ على حساب رسالة اللّـه.

قيافا يُمثِّل ذروةَ الالتزام بالسلطة، وبالجماعة العصبيَّة، على حساب الحقّ. واليوم، ألا تفعل الكنيسةُ ذلك عندما تقمع المظلومَ في وسطها خوفًا على سلطة رجال الدين وصِيتِهم (التحرُّش الجنسيّ مثالًا)؟ ألا تفعل ذلك عندما تلتزم خطّ المتسلِّطين والمجرمين الجالسين على أرائكِ الحكم؟ أليس كلُّ زعيمٍ طائفيّ «قيافا» لا يهمُّه سوى سلطتِه وعصبيَّةِ جماعته التي يستمدُّ منها هذه السلطة، على حساب كرامة الناس وحرِّيَّتهم؟

في المقابل، نرى في الإنجيل التزامًا من نوعٍ آخر، هو التزامُ يسوع بالحياة، بالناس، بحماية الضعفاء، بقيامتهم من موتهم المعنويّ، ومن موتهم المادّيّ: من جوعهم وعطشهم ومرضهم (العجائب القليلة المذكورة في الإنجيل تقع في هذا الخطّ). ولا يتوانى يسوع، لأجل هذه الأهداف،

في أن يُهاجم رجالَ الدين، وأن يصفَهم بأشنع الألفاظ، فقال أمورًا نخاف قولَها اليوم: «يا نسلَ الأفاعي، كيف تستطيعون أن تنطقوا بالصالحاتِ وأنتم أشرار؟» (متّى 12: 34)، «ويلٌ لكم أيُّها الكتَبَة والفرّيسيُّون المراؤون لأنّكم تُشْبهون قبورًا مُبيّضةً تَظهر من خارجٍ جميلةً، وهي من داخلٍ مملوءةٌ عظامَ أمواتٍ وكلّ نجاسةٍ» (متّى 23: 24 و 27)، «صنع سوطًا من حبالٍ وطرد الجميعَ من الهيكل» (يوحنّا 2: 13).

إنَّ صَلْبَ يسوع كان نتيجةً طبيعيَّةً لمسار إنسان ملتزمٍ، مُناضلٍ، واجه طوال حياته السلطةَ الدينيَّةَ لتحرير الناس من سجونهم، ولإطلاقِهم في فضاء الحرّيّة والمحبَّةِ والعدل. كلماتُ يسوع وتصرُّفاتُه تعكس لا حياديَّةً صارخةً، والتزامًا حادًّا بحياة الناس وفرحهم، وبالحقّ.

هـ ـ التزام شؤون الأرض، البارحةَ واليومَ

في خطِّ يسوع، كتب قدّيسون أمورًا يخشاها المستغِلُّون ممَّن تسمّوْا باسم يسوعَ اليوم. فقد كتب القدّيس يوحنّا الذهبيُّ الفمِ (347 ـ 407): «إنَّك تحترم هذا المذبحَ حينما ينزل عليه جسدُ المسيح «أي القربانُ»، ولكنَّك تهمل وتبقى غيرَ مبالٍ حينما يفنى ذاك الذي هو جسدُ المسيح «أي الآخرُ الـمُستَضعَفُ»».

والقدّيس باسيليوس الكبير (330 ـ 379) كتب أنَّه «عندما يَسرق شخصٌ ما ملابسَ شخصٍ آخر، نُطلق عليه اسمَ لصّ. ألا ينبغي أن نطلق الاسمَ نفسَه على مَن يستطيع أن يكسو عريانًا ولا يفعل؟ الخبزُ الذي في خزانتك يخصُّ الجائعين. المعطفُ غيرُ الـمُستخدَم في خزانتكَ ينتمي إلى الشخص الذي يحتاجُه. الأحذية المتعفِّنة في خزانتك تعود إلى مَن ليس

لديه حذاء. المال الذي تخزّنُه يعود إلى الفقراء». وكذلك كتب: «هؤلاء هم الأغنياء: الخيراتُ العامَّةُ التي جمعوها يقرّرون أنَّهم سادتُها لأنَّهم أوَّلُ محتلّيها».

والقدّيس غريغوريوس النزينزيّ (329 ـ 390) ركّز على فكرة المساواة بين الناس، فكان يقول: «قفوا ليس عند قانون الأقوياء بل الخالق»، أيْ عند قانون المساواة بين الناس. وأطلّ أيضًا على ما هو أبعدُ من العلاقات الفرديَّة ليلامسَ موضوعَ العدالة والأسباب البشريَّة القائمة وراء الفقر، فقال: «أنا لستُ متأكّدًا أنَّ الفرق بين غنيّ وفقير آتٍ من الله»، في وقتٍ ما يزال الكثيرُ من الناس في زمننا يظنُّون أنَّ الفرق من إرادة الله.

أمَّا القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد (949 ـ 1022) فقال: «المال وكلُّ ما هو لك هو ملْكُك المشترك مع كلّ الناس، كما هي الحالُ بالنسبة إلى النور والهواء الذي نتنشّق».

أمَّا في عصرنا الحالي، فنحن نعرف تمامًا أنَّ الأزمات الإنسانيَّة، من جوعٍ وفقرٍ وقمعٍ واستعباد، ليست قضاءً إلهيًا وإنَّما نتيجةً لشبكةٍ من العلاقات الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة؛ وتاليًا صار لزامًا على المسيحيّين والمسيحيّات اليوم أن يواجهوا أسبابَ الظلم، وألّا يكتفوا بمساعدة المظلومين (على الرَّغم من الأهمّيَّة المُطلقة لذلك). فكما يقول الأب بيير، مؤسّسُ منظّمة عمّاوس لمساعدة المهمّشين اجتماعيًا، «أنْ نساعدَ، أنْ نخفّفَ من المعاناة، أنْ نعزّي، من دون أن نناضلَ ضدَّ أسباب البؤس، فذلك أمرٌ غير شريف»[2].

(2) Henri Le Boursicaud, «Compagnon de l'Abbé Pierre, Dix ans de voisinage», Nouvelle Cité, 2002, p. 38

وعليه، فلا تُمكن معالجةُ النهب الذي يُنتج الفقرَ في لبنان من دون تغيير النمط الاقتصاديّ الذي أدّى إليه. ولا تُمْكن معالجةُ القمع في سوريا من دون تغيير النمط السياسيّ الاقتصاديّ في البلاد. ولا يُمْكن رفعُ الظلم الواقع على الفلسطينيّين (من قتلٍ، وتعذيبٍ، واعتقالٍ، وتهجير،...) إلّا برفع السبب الأساس لكلّ ذلك، ألا وهو نظامُ الفصل العنصريّ الاستيطانيّ.. وقيسوا على ذلك.

إنَّ أيّ دعوةٍ إلى الحياد في قضايا الدفاع عن حياة الإنسان وحرّيّته وكرامته لهي دعوةٌ مناهِضَةٌ ليسوع المسيح، الذي وحَّد نفسَه مع الضعفاء والمظلومين، وهي مناهِضةٌ لتجسيد ملكوتِ اللّـه في هذا العالم، وتخون فحوى صلاة «أبانا...،» ولا تمثّل المسيحَ، وإنّما تمثّل شخصيَّةَ بيلاطس أو قيافا أو الاثنين معًا.

اليوم، نَعْرف أنَّ الاستغلالَ الخارجيّ وأدواتِه الاستعماريّةَ العنصريَّة تتناغم مع الاستغلال الداخليّ الذي يبيع نفسَه إلى الخارج. فكيف يستطيع إنسانٌ أحبّ يسوعَ وحفظ كلامَه أن يقول إنَّه يقف على الحياد وسطَ هذا الجحيم؟ إنَّ إيمان المسيحيين بأنَّ يسوع نزل إلى الجحيم وحرَّر الموتى من قبضة الموت يحتِّم عليهم النزولَ إلى جحيم هذا العالم. فهناك سيجدون يسوعَ، ويضعون يدَهم بيده لقيامة الناس في الكرامة الإنسانيَّة والمحبَّة الإنسانيَّة، التي تترجم نفسَها وحدةً ومشاركةً وعدالةً واحترامًا للشخص البشريّ، بين عيال اللّـه جميعًا من كلّ اعتقادٍ وجنس. ماذا عن الوضع الفلسطينيّ؟

ـ 2 ـ

مواجهة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ كمسؤوليَّة إيمائيَّة[3]

تسعى جمعيَّات ومنظَّمات عدَّة حول العالم إلى مقاومة المشروع الاستعماريّ للاحتلال الإسرائيليّ ونظام الفصل العنصريّ الذي أسَّسه على أرض فلسطين؛ ويلتقي في هذا السعي أُناسٌ من اتِّجاهاتٍ وأفكارٍ ومبادئ مختلفة، من مختلف الدول والأديان والمذاهب الفلسفيَّة. هذا السعي يتمّ بطُرُق النضال اللاعنفيّ، من تحرُّكاتٍ نقابيَّة وطلَّابيَّة وشعبيَّة وإعلام، ومقاطعة أكاديميَّة، وثقافيَّة، واقتصاديَّة؛ وما يُميِّز هذه التحرُّكات هي لامركزيَّتها وتنسيقها فيما بينها، بحيث إنَّ كلّ مجموعة تعمل في حقلها الخاصّ مع تنسيق في المدينة أو المقاطعة نفسها؛ وشيءٍ من التنسيق على الصعيد العالميّ. لكنْ لماذا يجب على الإنسان المسيحيّ أن يشترك في

(3) خريستو المرّ، مواجهة إسرائيل كمسؤوليَّة إيمانيَّة، مجلّة «النور»، السنة 65، العدد 5، 2010.

جهود مقاومة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ؟ لكي نبدأ، سنحاول أن نرى سريعًا ما هي الوجوه الكامنة وراء ادّعاءات الدعاية القائلة بأنَّ «إسرائيل» دولة ديموقراطيَّة، وبأنَّها تسعى إلى «السلام»، وبأنَّ لها حقّ «إلهيّ» في أرض فلسطين.

أ ـ ديموقراطيَّة أم عنصريَّة؟

إنَّ الانتخابات في نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ تتمّ بطريقةٍ ديموقراطيَّة شكليَّة، هي ديموقراطيَّة بمعنًى وحيد، ألا وهو أنَّ الذين يحقّ لهم الانتخاب يَختارون بحرّيَّة نسبيَّة ممثّليهم في البرلمان. ولكنَّ هذه الديموقراطيَّة شكليَّة لأنَّها تتواجد في ظلّ نظام فصل عنصريّ يُميّز في حقّ السكّان الأصليّين، مع تضييقٍ واضح على الفلسطينيّين، يتمثّل أحيانًا بمنع أحزابهم من خوض الانتخابات[4]، ومع رغبةٍ مُعلَنَة بترحيلهم، ومع قوانينَ تمنع تشكيل أيّ حزب يعارض مبدأ إسرائيل كـ«دولة يهوديَّة» ممَّا دفع البروفسور إسرائيل شاحاك، عام 2008، إلى القول بأنَّ دولة إسرائيل ليست ديموقراطيَّة[5]، ولاحقًا دحض المؤرّخ الإسرائيليّ إيلان بابيه مزاعم ديموقراطيَّة دولة الاحتلال[6].

---

(4) Shahar Ilan and Roni Singer-Heruti, «Israel bans Arab parties from running in upcoming elections», Haaretz, Jan 13, 2009. https://www.haaretz.com/1.5061936.

(5) Israe Ishahak, «Jewish History, Jewish Religion: The Weight of Three Thousand Years», Pluto Press, 2008, p. 3.

(6) Pappé, I. (2017). Ten Myths about Israel. United Kingdom: Verso.
Ilan Pappe, «No, Israel Is Not a Democracy», Jacobin إقرأ أيضًا مقالة بابيه المختصرة
https://www.jacobinmag.com/2017/05/israel-palestine-democracy-apartheid-discrimination-settler-colonialism.

إنَّ واقع وجود انتخابات لا يمكنه أن يخفي الاحتلال المتواصل منذ 1948، واستمرار احتلال الضفَّة الغربيَّة وغزَّة والجرائم المتواصلة بحقّ سكَّانهما، كما لا يمكنه أن يُخفي داخل أراضي 1948 واقعَ التمييز العنصريّ القائم بحقّ الفلسطينيّين؛ ونستطيع أن نذكر بشكل سريع هنا بعض وجوه التمييز العنصريّ:

- شقّ طرقات للناس من الدين اليهوديّ فقط[7].
- حرمان الفلسطينيّين حاملي الجنسيَّة الإسرائيليَّة من حقّ الاجتماع العائليّ، بحيث إنْ تزوَّج أحدهم من شريك فلسطينيّ يسكن في الضفَّة الغربيَّة أو غزَّة، فلا يحقّ لشريكه أن ينتقل إلى إسرائيل. وهو قانون عُمل به منذ عام 2003، وتمَّ تجديده للمرَّة الثامنة عام 2008[8].
- حرمان الفلسطينيّين من حقّ شراء أراضٍ، فالأراضي الفلسطينيَّة تمَّ الاستيلاء عليها وتوزَّع على اليهود فقط[9].

---

(7) B'Tselem, «Forbidden Roads: The Discriminatory West Bank Road Regime», August 2004.
http://www.btselem.org/English/Publications/Summaries/200408_Forbidden_Roads.asp.

(8) Ilan Pappe, «Citizenship law makes Israel an apartheid state», June 30, 2008.

(9) راجع المقال على موقع للمجموعة اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة: «ليس باسمنا» (Not In Our Name).
Ismail Zayid, «The Jewish National Fund: A Colonial Racist Instrument», Not in Our Name, accessed March 29, 2009.
http://www.nion.ca/jnf-forum-zayid.htm.
راجع أيضًا التقرير التالي:
عدالة، المركز القانونيّ الحقوقيّ لحقوق الأقلّية العربيّة في إسرائيل (تمّ الوصول إلى الموقع في: 29 آذار 2009) https://www.adalah.org/en/content/view/6787

- حرمان البلدات الفلسطينيَّة في دولة إسرائيل[10]، كما وفي القدس الشرقيَّة[11]، من التمويل اللازم.
- التمييز في تمويل المدارس العربيَّة في دولة إسرائيل[12].
- التمييز الصحّيّ ضدَّ الفلسطينيّين الساكنين في دولة إسرائيل[13].
- التمييز في حقوق الإنسان المتمثّل بمنع الفلسطينيّين في أيّة بقعة من العالم من العودة إلى مدنهم، مع أنَّ هذا حقّ إنسانيّ مشروع[14]، كما ومنع الذين يغادرون القدس من العودة إليها[15].

---

(10) Yair Ettinger, «Arab communities verging on 'catastrophe', leaders warn», Haaretz, Dec. 3, 2003.

(11) Philippe Rekacewicz et Dominique Vidal, «Comment Israël confisque Jérusalem-Est», Le Monde Diplomatique, Fev. 2007.
http://www.monde-diplomatique.fr/2007/02/REKACEWICZ/14411
راجع المقال بالإنكليزيّة:
Philippe Rekacewicz and Dominique Vidal, «The Politics of Urban Planning», Le Monde Diplomatique, Feb. , 2007.
https://mondediplo.com/2007/02/07jerusalem

(12) Human Rights Watch, «SECOND CLASS, Discrimination Against Palestinian Arab Children in Israel's Schools», 2001.
http://www.hrw.org/legacy/reports/2001/israel2/ISRAEL0901-01.htm

(13) تمييز في الصحّة، «الوضع الصحّي لدى الأقلّيّة الفلسطينيّة العربيَّة في إسرائيل»، المؤسَّسة العربيَّة لحقوق الإنسان، 25 شباط 2009.

(14) UN Commission for Human Rights «Geneva Convention relative to the Protection of Civilian Persons in Time of War», 12 August 1949.
https://www.un.org/en/genocideprevention/documents/atrocity-crimes/Doc.33_GC-IV-EN.pdf

(15) راجع التقرير التالي الذي يذكر مثلًا حالة القياديّ الفلسطينيّ الطبيب مصطفى البرغوتي.
CBS News Video, «Is Peace Out of Reach»
https://www.cbsnews.com/video/is-peace-out-of-reach

• التمييز العنصريّ في النظام التعليميّ الذي يغيّب الفلسطينيّين وحقيقة أوضاعهم وتاريخهم في الكتب المدرسيّة، عبر عنصريّة نخبويّة[16] تصوّرهم كمشكلةٍ، وعبءٍ، وخطرٍ، وتهديد[17].

أمّا بالنسبة للفلسطينيّين الساكنين تحت الاحتلال القائم في الضفّة الغربيّة وغزّة منذ عام 1967 والناتج عن الهجوم الإسرائيليّ[18]، فَهُم يتعرّضون لسياسة التحكُّم بتنقُّلهم، والتحكُّم بطريقة حياتهم، والإذلال والتنكيل وتهديم المنازل، وتجريف الحقول، والقتل، والاعتقال، والتمييز المؤسّسي، والعقاب الجماعيّ، والنقل القسريّ، والإخلاء القسريّ للمنازل (كما حدث في محاولة طرد سكّان حيّ الشيخ جرّاح عام 2021)[19]، وهدم المنازل، والتمييز ، والقتل غير القانونيّ، وتقييد الحركة، والحصار الجوّيّ والبحريّ غير القانونيّ، ومحاكمة الأطفال في المحاكم العسكريّة، والاحتجاز

---

(16) Peled-Elhanan, N., «The Establishment of Israeli Identity through Racist Discourse», The International Journal of Diversity in Organizations, Comumnities and Nations, 2008. 7 (6).

(17) Peled-Elhanan, N., «The denial of Palestinian National and Territorial Identity in Israeli Schoolbooks of History and Geography 1996-2003», in Analysing Identities in Discourse, R.D.J. Todolí, Editor. 2008, John Benjamin Publishers: Amsterdam; Philadelphia.

(18) Excerpts from Begin Speech at National Defense College «New York Times,» Aug. 21, 1982.

مرجع مذكور عند:

Stephen Shalom, «Question and Answer on Gaza», January 16, 2009. https://zcomm.org/znetarticle/question-and-answer-on-gaza-by-stephen1-shalom

(19) يمكن العودة لمؤسّسة «الضمير»، لمراجعة الأحداث التي أدّت إلى الانتفاضة الفلسطينيّة على مدى فلسطين والإضراب الشهير في 18 أيّار 2021 تاريخ مراجعة هذه السطور.

Addameer, «Action Alert: International Community Must Take Immediate and Concrete Measures to Halt Israel's Aggression Against Palestinian Jerusalemites», May 5, 2021. https://www.addameer.org/news/4385.

التعسُّفيّ، والتعذيب[20]، كما والعزل بواسطة حائط الفصل العنصريّ الذي أقرَّت محكمة العدل الدوليَّة بأنَّه، كما كلّ بناء إسرائيليّ في الضفَّة وغزَّة والقدس الشرقيَّة، غير مشروع[21]. ويتعرَّض الفلسطينيُّون أيضًا لسياسة قضمٍ متزايدٍ للأراضي، وتسارعٍ للاستعمار الاستيطانيّ الذي تضاعف بعد اتِّفاق «السلام» المزعوم[22]، والذي تفاقم في السنوات الأخيرة بحيث إنَّ عدد الأبنية الجديدة في مستعمرات الضفَّة الغربيَّة في النصف الأوَّل من العام 2008 بلغ تقريبًا ضعف ما كانه في 2007،[23] كما بدأت حكومة نظام الفصل العنصريّ خطَّة بناء تهدف إلى مضاعفة عدد المستعمرين

---

(20) راجع تقرير منظَّمة العفو الدوليَّة عن الأوضاع في فلسطين عام 2020.
https://www.amnesty.org/en/countries/middle-east-and-north-africa/israel-and-occupied-palestinian-territories/report-israel-and-occupied-palestinian-territories.

(21) راجع وثيقة محكمة العدل الدوليَّة والأمم المتَّحدة بالعربيَّة: محكمة العدل الدوليَّة، «الآثار القانونيَّة الناشئة عن تشييد جدار في الأرض الفلسطينيَّة المحتلَّة»، 13 تمُّوز 2004.
https://www.icrc.org/ar/doc/assets/files/other/consequences-of-palastine-teritoire.pdf

راجع أيضًا كامل الملفّ والوثائق بالإنكليزيَّة في الموقع التالي على الإنترنت (زيارة الموقع تمّت في 28 أذار 2008):
http://www.icj-cij.org/docket/index.php?p1=3&p2=4&code=mwp&case=131&k=5a

BBC, «Un Rules against israeli barrier», July 9, 2004.
http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/middle_east/3879057.stm

(22) Lara Friedman and Ori Nir, «Settlements in Focus Interview with Hagit Ofran», Peace Now, August 2007. http://archive.peacenow.org/entries/archive3996.

راجع أيضًا:
Amos Harel, «Peace Now report: Settlements build on just 9 percent of state-allocated land», Haaretz, July 07, 2007.
https://www.haaretz.com/1.4950348.

(23) Peace Now, «Middle East Peace Reports», September 2, 2008, Vol. 10, Issue 1.
http://www.peacenow.org/mepr.asp?rid=&cid=5290

الموجودين حاليًا في الضفَّة الغربيَّة بهدف «تدمير إمكانيَّة الحلّ القائم على دولتيْن»[24]. أمَّا، غزَّة فتتعرَّض لحصارٍ قاتل، بحيث لا يدخلها من حاجات السكَّان إلَّا ما يكفي لمنع حدوث مجاعة، كما صرَّح ريتشارد فالك ـ المقرِّرُ الخاصّ للأمم المتَّحدة لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلَّة[25]. وبالرَّغم من الانسحاب من غزَّة، والذي تمَّ بقصد تجميد عمليَّة «السلام» كما يعترف المسؤولون الإسرائيليُّون[26]، تبقى غزَّة قانونًا تحت الاحتلال، بسبب التحكُّم الفعليّ بحدودها وجوِّها وأرضها وبحرها وكهربائها ومائها[27]، وبسبب من كون الأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة تشكِّل بالنسبة للأمم المتَّحدة وحدة كاملة: الضفَّة وغزَّة معًا، فطالما بقيت إحدى المنطقتيْن خاضعة للاحتلال فبحسب الأمم المتَّحدة تكون الضفَّة وغزَّة معًا في حالة احتلال[28].

هذه وقائعٌ وليست اتِّهامات[29]، وهي التي دعت الكثير من الأكاديميِّين والناشطين (ومنهم يهود ومنهم إسرائيليُّون) والشخصيَّات

---

(24) Sara Miller, «Peace Now: Israel planning 73,300 new homes in West Bank», Haaretz, March 02, 2009. https://www.haaretz.com/1.5082433

(25) Richard Falk, «Gaza: Silence is not an option», UN Press Release, Dec 09, 2008. http://domino.un.org/unispal.nsf/3822b5e39951876a-85256b6e0058a478/31dd18391da1e61e8525751a004f5006!OpenDocument

(26) Ari Shavit, The big freeze, Haaretz, Oct 10 2004. https://www.haaretz.com/1.4710587

(27) Human Rights Watch, «Q & A on Hostilities between Israel and Hamas», December 31, 2008. http://www.hrw.org/en/news/2008/12/31/q-hostilities-between-israel-and-hamas

(28) Amy Goodman, «A Debate on Israel's Invasion of Gaza: UNRWA's Christopher Gunness v. Israel Project's Meagan Buren», Democracy Now, 2009-01-05.

(29) لقراءة تفنيدٍ للدعاية الصهيونيَّة أثناء العدوان على غزَّة كانون الأوَّل 2008 ـ كانون الثاني 2009، راجع: خريستو المرّ، «دعاية مذبحة: الدعاية الإسرائيليَّة أثناء مذبحة غزَّة»، مجلَّة الآداب، عدد 4 6-، 2009.

الرسميَّة في الأمم المتَّحدة، إلى التعريف بإسرائيل على أنَّها دولة تمييز عنصريّ (أبرتهايد)[30].

ب ـ إسرائيل تسعى إلى السلام أم إلى الهيمنة؟

إنَّ الوقائع حول التدمير المنهجيّ وتسارع عمليَّة قضم الأراضي والاستعمار، واستمرار الاحتلال، تدلّ بشكلٍ واضح أنَّ حكومات نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ متّفقة، يسارًا ويمينًا، أن تستمرّ بالاحتلال وأن تقضم ما أمكن من الأراضي، وأن تُبقي السكَّان الفلسطينيِّين في أراضٍ معزولة مقطَّعَة الأوصال، أو معازل، كما كانت الحال في جنوب أفريقيا تحت نير التمييز العنصريّ.

وبالتالي، فإنَّ مسعى إسرائيل ليس إلى السلام، بل إلى الهيمنة. ومن هنا الدعوات إلى المقاطعة الاقتصاديَّة والثقافيَّة والأكاديميَّة لإسرائيل من أجل عزلها ودفع النظام العنصريّ إلى السقوط ليتأسَّس مكانه نظامٌ يتساوى فيه الإنسان بالإنسان الآخر، فيعيش الإنسان الفلسطينيّ حقوقه كاملةً، ومنها حقّ الحرِّيَّة والعودة والتنقُّل والسكن.. إلخ. لا شيء يمنع من أن يعيش كلّ الناس في سلام في فلسطين كلّها، مهما تكن ديانتهم أو طوائفهم، في ظلّ دولةٍ واحدة. هذا ما يحدث في عدَّة بلدان، حيث يعيش المسيحيُّون والمسلمون واليهود وعشرات الأديان والطوائف، أيًّا تكن بلادهم الأصليَّة، دون صدام، في ظلّ حماية دولة تحترم حقوق الإنسان. دولةٍ واحدة لأناسٍ متساوين، هذا هو الحلّ العادل.

---

(30) المرجع السابق.

ج ـ هل لإسرائيل حقٌّ إلهيٌّ في أرض فلسطين لأنَّها «أرض الميعاد» الإلهيّ «للشعب المختار»؟

لنوضح بدءًا عبارة «الشعب المختار». القراءة المسيحيَّة لكتاب العهد القديم ترى بأنَّه كان من المفترض من الشعب العبرانيّ أن يكون «شعب اللَّـه»، ليس عن طريق الاستعلاء وإنَّما عن طريق اتِّباع وصايا اللَّـه والعمل لتحقيق مقاصده، وهذه المقاصد هي المحبَّة والحياة، كما عرَّفنا بيسوع المسيح، وكما شهد الأنبياء في العهد القديم. هذا هو معنى «الاختيار»، فالاختيار ليس امتيازًا أعطاه اللَّـه لشعب، وإنَّما مسؤوليَّة دعوة الناس لعبادة إله واحد، إله حبٍّ وحياة، ومسؤوليَّة التعامل اليوميّ بين البشر بحسب «قلب اللَّـه»، أي بالمحبَّة والرحمة. إنَّ وجود دولة «إسرائيل»، كدولة لليهود فقط، يعني قلبًا للأوضاع، لأنَّه عوض أن يكون الشعب يعمل لتحقيق مقاصد اللَّـه، يحوِّل الشعب اللَّـه أداةً لخدمة مصالحه، وهذا يعني قلب مفهوم الشعب المختار ليحلّ محلّه مفهوم «الإله» المُختار، فالصهيونيَّة تستخدم «اللَّـه» كصنم حرب، تستعمله لتحقيق مقاصدها بالسؤدد والتسلُّط، وباحتلال الأرض، وهو ما يُتَرجَمُ مراكمةً للأرباح بواسطة الحرب. دولة الفصل العنصريّ تأسَّست وتتابع وجودها بواسطة آلة حرب مرتكزة على فكرٍ عنصريّ، وهي من وجهة نظر روحيَّة عمليَّة كفرٌ عمليٌّ باللَّـه، وتعبُّدٌ لصنم الذات الجماعيَّة.

أمَّا بالنسبة لعبارة «أرض الميعاد»، فالمسيحيُّون يرون أنَّ الرسالة التي أراد لها اللَّـه أن تتحقَّق بواسطة شعب العهد القديم، رسالة عيش الشعوب في عائلةٍ واحدة للَّـه، قد تحقَّقت بيسوع المسيح: هو ماسّيا الذي كان مُنتَظَرًا، وقد أتى، وبه تحقَّق وعد اللَّـه بتحقيق الأخوَّة البشريَّة، في كنف أبوّة اللَّـه، انطلاقًا من الشعب العبرانيّ الذي أتى منه يسوع جسديًّا. أرض الميعاد هي

المكان الذي يلتقي به البشر كإخوة، هي الكنيسة، وهي هذا العالم متحوّلًا إلى «كنيسة» إلى مكانٍ يعيش فيه الناس أخوة.

هكذا، فمن وجهة نظر هذه الرؤية المسيحيّة، شعب اللّـه الجديد هو الكنيسة العاملة على توحيد البشر كإخوة، وأرض الميعاد الجديدة هي العالم كلّه كعائلةٍ واحدة للّـه[31]. «الوعد الإلهيّ» ليس وعدًا بأرض من ترابٍ وحجارةٍ وشجر، إنّه وعد اللّـه بتحرير البشر وسكناه معهم، وهذا ما حقّقه المسيح بفتح طريق الملكوت، أي طريق التألّه بالروح القدس، بحسب القول المأثور «صار الإله إنسانًا ليصير الإنسان إلهًا» (القدّيس إيريناوس أسقف ليون، وبعده القدّيس أثناسيوس الإسكندري)[32].

---

(31) كوستي بندلي، «إسرائيل بين الدعوة والرفض»، منشورات النور 1985، ص 71 ـ 73.

(32) كلمة التألّه غير معتادة، ولهذا تحتاج لبعض التوضيح. هي لا تعني تغيّر في جوهر الإنسان فالإنسان يبقى إنسانًا مخلوقًا وذا جوهر إنسانيّ مخلوق، الكلمة لا تعدو كونها تعبيرًا عن الشركة التي دعا اللّـه إليها الإنسان، بحيث يصير الإنسان مشاركًا لما شاء اللّـه أن يشاركه، ونحن نعبّر بكلماتٍ مختلفة عن هذا الإيمان بالقول بأنّ الإنسان يُشارك اللّـه حياته، نوره، ملكوته. بطرس في إحدى رسائله ذكر إنّما «شركاء الطبيعة الإلهيّة» (2 بطرس 1 : 4)، وصاحب الرسالة إلى العبرانيّين يقول «شركاء الروح القدس» (عبرانيّين 6: 4)، هذه التعابير ليست تأكيدًا حول تحوُّل في طبيعة الإنسان، أو جوهره، وإنّما هي شركة شخصيّة بين أشخاص، بحيث يمنحنا اللّـه ما سُمّي بالقوى أو الطاقات الإلهيّة (energy) أي كلّ ما يمكن للإنسان مشاركته في االلّـه وممّا ليس هو جوهره. القدّيس غريغوريوس بالاماس يأتي في سلسلة من القدّيسين الذين تكلّموا ووضّحوا استعمال تعبير «التألّه». يمكن مراجعة الكتب الآتية حول الموضوع:

Monsaingeon, M., Palamas, G. (1990). De la déification de l'être humain. Switzerland: L'Age d'Homme.

Meyendorff, J., Meyendorff, J. (2002). Saint Grégoire Palamas et la mystique orthodoxe. France: Seuil.

Meyendorff, J. (1974). St. [i.e. Saint] Gregory Palamas and orthodox spirituality. United States: St. Vladimir's Seminary Press.

د ـ مسؤوليَّة حماية أخوة يسوع الصغار

إنَّ المسيحيّين، مهما كان عددهم، ومهما تكن التحدِّيات أمامهم، لا يمكنهم أن يكونوا مسيحيّين من دون المسيح، ولهذا فإنَّ العلاقة به هي أساس مسيحيَّتهم؛ فالهويَّة المسيحيَّة للإنسان تتحقَّق بالفعل عندما يسير في خطِّ الوحدة مع المسيح. لكنْ إلى ماذا دعاهم المسيح؟ وكيف أبلغهم أنَّه يمكنهم أن يكونوا واحدًا معه؟

إنَّ سرّ الشكر (القدَّاس الإلهيّ) هو المكان المميَّز للتوحُّد بالمسيح. فبتناول جسد ودم المسيح نتَّحد بشخصه (الجسد رمز الشخص) وتتدفَّق فينا حياته (الدم رمز الحياة). لكنَّ سرَّ الشكر، ككلِّ الأسرار، لا يفعل سحريًّا في الإنسان. نحن لسنا في مجال السحر، بل في مجال السرّ، أي مجال إطلالة اللَّـه إلى الإنسان من خلال موادّ الطبيعة، لكنَّها إطلالةٌ إن لم يلاقِها الإنسان بإطلالةٍ منه، فيتحرَّك إليها ويستقبلها ثم يتحرَّك بها في العالم عاملًا مع اللَّـه، بحسب مبدأ التناغم (synergy) بين اللَّـه والإنسان، فإنَّ إطلالة اللَّـه (أي حضوره) تبقى غير فاعلة في الإنسان. لهذا فإنَّ الاتِّحاد بالمسيح في سرّ الشكر يبقى مُعَطَّلًا إلَّا إذا عَمِلَ الإنسان بعد سرّ الشكر لكي يتمِّم «سرّ الأخ»، أي سرّ خدمة الناس. فماذا قال المسيح إذًا عن سرّ الأخ؟

«كلّ ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي قد فعلتموه»، هذه مسؤوليَّة المسيحيِّين الشخصيَّة والجماعيَّة، أمام وجوه الموجوعين والمظلومين: هل يتحرّك المسيحيُّون للتوحُّد بالمسيح من خلال رفع الظلم أمْ لا؟ المسيح في كلمته هذه يؤكِّد على أهمِّيَّة ما يُدعى عامَّةً «فعل الخير». ولكنَّه يحمِّل جملته كشفًا هائلًا: أنَّه هو وإخوته «الصغار» واحد، أنّ اللَّـه موجود في وجوه المستضعَفين المقهورين، والمتألِّمين، والعُطَّاش،

والجيَّاع، والمرضى، والمسجونين. ويتابع المسيح بتصريح أكثر جذريَّةً «كلّ ما لم تفعلوه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه»؛ وهنا يتجاوز المسيح تحميل المسيحيّين مسؤوليَّة السير في خطِّ التوحُّد به بتوحُّدهم بالموجوعين، ومحبّته الفاعلة بمحبَّتهم الفاعلة، ليقول إنَّ عدم فعل الشرّ لا يكفي، ليقول إنَّ الانسحاب أمام الظلم ليس أمرًا حياديًّا، ليس «عدم» فعل، ليقول إنَّ الانسحاب أمام الظلم فعلُ ابتعادٍ عن الحقّ، عن المسيح، فِعْلُ تَخَلٍّ عنه في وجوه المسحوقين. إنَّ حماية الصغار كما حمَّلنا إيَّاها المسيح هي مسؤوليَّة إيمانيَّة لا يمكن الانسحاب منها إلَّا بالانسحاب من خطِّ الوحدة مع المسيح نفسه، وبالتالي من خطِّ الوحدة مع اللّه نفسه.

الناس الأكثر اضطهادًا والأكثر مصلوبيَّةً أمام أعيننا، وفي منطقتنا، هم الفلسطينيُّون. الصدفة التاريخيَّة شاءت أنَّ هؤلاء الناس الذين عاشوا في أرض فلسطين، هم الذين قُتِلوا وهُجِّروا وتشرَّدوا، ولم يعد لهم «مِنْ مكانٍ يسندون إليه رؤوسهم»، مثلهم مثل يسوع. لا يمكن أن يُمحى هذا الواقع فقط لأنَّ هناك جريمة أو جرائم ارتكبها أناسٌ فلسطينيُّون يومًا ما، فلدى كلّ شعب الكثير من الناس الذين ارتكبوا الكثير من الجرائم والمجازر. وبالتالي، فإنَّ إعطاء أيِّ سبب للحكم على شعب بأكمله، أو للانسحاب من الدفاع عن شعبٍ بأكمله، لا يجوز؛ إذ إنَّه لا يعدو كونه تبريرًا لموقف حاقدٍ مُسْبَق، ولا يعدو كونه تركًا للمسيح وابتعادًا عن الحقّ، الحقّ الذي هو وجه المسيح، وبالتالي وجوه الفلسطينيّين أيضًا.

ألا يوجد لدينا غير قضيَّة الفلسطينيّين؟ طبعًا يوجد، ولكنَّ تغييب الفلسطينيّين عن خارطة المظلومين في قلوبنا، خَطر روحيّ، لأنَّه يخفي موقفًا حاقدًا أو عنصريًّا، ولأنَّ روحيًّا لا أولويَّات في الحبِّ؛ مَنْ يحبّ يحبّ، ولا يبخل بحبّه على البعض، ويحصره بالبعض الآخر. وجه المسيح هُوَ هُوَ في

كلّ المظلومين. بالإضافة إلى ذلك، فإنّه من البديهيّ أنّ كلّ حالات الظلم الموجودة في مجتمعنا يعيشها الفلسطينيُّون مضاعفةً بسبب تشريدهم وحالة اللامكان واللاأمان[33]، التي يعيشون فيها. وبالتالي فمادّيًا ووجدانيًا ظُلْمُهم مُضاعَفٌ. السعي إلى إحقاق العدل للفلسطينيّين هو مسؤوليّة روحيّة تجاه اللّـه وتجاه أنفُسِنا.

هـ ـ مسؤوليّة تحقيق الملكوت وتثبيت أُطُر المحبّة

إنّ مقاومة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ هي أيضًا ضرورةٌ روحيّةٌ مسيحيّة بسببٍ من البعدِ الأُخرويّ لوصيّة العناية بالإخوة «الصغار»، بُعدُ تجسيدِ ملكوت الحرّيّة، ملكوت الروح، في هذا العالم. هذا ما نفهمه من دعوة المسيح للآب «لا أطلب منك أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرّير»، «أنتم في العالم، ولكنّكم لستم من العالم»؛ وقول ملاك للرسل بعد الصعود فـ«ما بالُكُم واقِفينَ تَنظُرونَ إلى السَّماءِ» (أعمال 1: 11)، أنظروا إلى الأرض فناسها يحتاجون إليكم[34]؛ وكأنّ يسوع يقول لأتباعه أنا من ناس هذه الأرض، إنّ وجودكم في العالم هو لأجل إتمام عملي، إتمام الساعة التي «تأتي وهي الآن حاضرة»، «فاذهبوا وبشّروا كلّ الأمم» أنّ ملكوت المحبّة مفتوح منذ أسلَمْتُ الروحَ فقُمتُ على الصليب، وأعلنتُ قيامتي في اليوم الثالث. وهذا يعني يا أحبّائي أن تغيّروا هذا العالم ليصير «أرضًا جديدةً وسماءً جديدة» أو تتمّةً لهما، على أن يكتمل التجديد في اليوم الأخير. لهذا

---

(33) في إحدى أغاني فيروز جملة معبّرة تقول «عندي بيت وأرض صغيرة فأنا الآن يسكنني الأمان».

(34) يُعلّق الفيلسوف إيمانويل مونييه على هذه الآية قائلًا: «إنّ الذي ذهب سوف يعود. إنّ مهمّتكم هي عند أقدامكم». راجع: كوستي بندلي، «إله الإلحاد المُعاصر»، منشورات النور، بيروت، 1968، ص 85.

يا أحبَّائي قاوموا الظلم، بلا تمييز، أينما رأيتموه في وجهٍ موجوعٍ، فكلّ وجوه الناس وجهي، فلا أحتاج جنسيَّاتكم، ولا جوازات سفركم، ولا جوازات طوائفكم. لا تحبسوني بطوائفكم، ولا بأوطانكم، فأنا ساكن وجوهٍ وعابرُها في آن.

و ـ عبادة الإله الواحد ورفض عبادة الأصنام

بالإضافة إلى مسؤوليَّة تحقيق الملكوت، فإنَّ هناك مسؤوليَّةً أساس في كلِّ إيمانٍ توحيديّ، ألا وهي مسؤوليَّة عبادة اللَّـه الواحد، إله فوق كلِّ المخلوقات. إنَّ الاحتلال الصهيونيّ لأرض فلسطين، والتنكيل الذي تقوم به دولة الفصل العنصريّ بحقِّ الفلسطينيّين، قد وضع الإنسان اليهوديّ، كما والإنسان العربيّ، أمام تجارب إيمانيَّة خطرة تتلخَّص بخيانة اللَّـه والانزلاق إلى عبادة الأصنام.

الصهيونيَّة والفكر القوميّ

لقد رأت الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة أنَّ الصهيونيَّة هي «شكل من أشكال العنصريَّة» عام 1975[35] (قبل أن تعود، للأسف، عن هذا القرار في التسعينيَّات). عند نشوء الصهيونيَّة، كان المتديِّنون اليهود يرفضونها على أساس دينيّ (قلَّة قليلة تفعل ذلك حاليًّا) لاعتقادهم بأنَّ لماسيا (المسيح) المُنتظر وحده الحقّ بإقامة دولة؛ ولكنْ ما مهَّد لتنامي الصهيونيَّة هو تنامي

---

(35) وقد ذكَّرت الأمم المتَّحدة، في القرار نفسه، بعلاقات الصهيونيَّة بنظام الفصل العنصريّ القائم آنذاك في جنوب أفريقيا,United Nation, General Assembly 30th session, Resolution No 3379, Nov. 10, 1975. https://undocs.org/en/A/RES/3379(XXX) or https://unispal.un.org/UNISPAL.NSF/0/761C10635307 66A7052566A2005B74D1

المعاداة للساميَّة في أوروبا إثر انتشار القوميَّة فيها[36]، وتلقَّت دعمها النهائيّ إثر مذابح النظام النازيّ بحقّ الأوروبيّين المنتسبين للدين اليهوديّ.

الفكر القوميّ هو فكرٌ جديد نسبيًّا في تاريخ البشريَّة، فقد انتشر في أوروبا القرن الثامن عشر، كفكرٍ تقدُّميّ يحاول أن يتحرَّر من تبعيَّة الناس للملك بواسطة جمعها تحت عنوانٍ تحريريٍّ جديد يُطيحُ بولاية ملكٍ مطلقِ الصلاحيَّة، وصاحب «حقّ إلهيّ» ابتدعته الكنيسة الرسميَّة في أوروبا. لكنَّ الفكر القوميّ الأوروبيّ تدهور إلى فكرةٍ تجمع قومًا في عداءٍ لقوم «آخرين»، بحيث غرَّبت كلّ قوميَّة الناس من القوميَّات الأخرى؛ وهكذا، أنتج الفكر القوميّ ـ وليس الدِّين ـ حربَيْن عالميَّتَيْن. الصهيونيَّة أتت بجذورها من القوميَّة المنغلقة على ذاتها، وتجلَّت بعنصريَّة تجاه الفلسطينيّين. والعنصريَّة ليست أمرًا محصورًا بدين أو بفكرة (كالقوميَّة) بل هي وضعٌ روحيّ عابرٌ للدِّين وللفكر العلمانيّ على السواء؛ ففي العمق، العنصريَّة هي وليدةُ حركةِ انغلاقِ الإنسان على أخيه الإنسان، هي في التحليل الأخير وليدةُ الخطيئة الأصليَّة، خطيئة انغلاق الإنسان على ذاته ومحاولته الاستيلاء على الألوهة وتدمير أخيه (قايين وهابيل). إنَّ نظام الفصل العنصريّ يدفع الناس اليهود الذين ينشؤون في ظلِّه إلى العنصريَّة، إلى عبادة الذات الجماعيَّة اليهوديَّة، وهو بذلك نظامٌ يضحّي بإنسانيَّة بناته وأبنائه على مذبح صنم الجماعة. نظام الفصل العنصريّ عودة للركوع للأصنام.

الصهيونيَّة وصنم الذات الجماعيَّة

في ظلِّ نظام الفصل العنصريّ، تجربة المؤمن اليهوديّ كما غير المؤمن الذي يرى نفسه «يهوديًّا» بالوراثة، هي تجربة التمسّك بعبارة

(36) وليد الخالديّ، الصهيونيَّة في مئة عام، دار النهار، ط. 2، 2002، ص 11 ـ 15.

«الشعب المختار» بالمعنى الفوقيّ القمعيّ والرافض للآخر، على أرض فلسطين كـ«أرض موعودة، أي كملكيّة للجماعة».

بالرَّغم من الأصوات اليهوديَّة الشجاعة والتي كانت تتجاوب مع أفضل ما في التراث اليهوديّ، والتي بقيت معارضةً للحرب وللتمييز العنصريّ، من المريع كيف أنَّ معظم المجتمع الإسرائيليّ دَعَمَ مذبحة غزَّة الأخيرة[37]، ودعم بالتالي معنويًّا ما ارتُكِبَ فيها من مجازر[38]. وحتى في أوقات اللاحرب، ترى دولة نظام الفصل العنصريّ في فلسطينيّي غزَّة والضفَّة مصدرَ سوق عمالةٍ بخسة الثمن، بسبب الفقر الذي أتى نتيجة سياسة إسرائيليَّة مقصودة لتدمير التنمية (deliberate de-develop-ment) كما يعبِّر البروفسور في العلاقات الدوليَّة أفي شلايم[39]. هذا يعكس موقفًا متدهورًا، روحيًّا وأخلاقيًّا، يرى الإنسان من خلاله الآخرينَ أقلَّ إنسانيَّةٍ منه، وهذا هو لبّ العنصريَّة: أن يكون «الغريب» عن العنصر (اللون، أو الدين، أو الطائفة، أو الوطن) أقلّ إنسانيَّة. إنَّ العنصريَّة إجراميَّة بالكمون، بالإمكانيَّة (potentially)، وهي إجراميَّة بالفعل في الحالة الإسرائيليَّة التي نحن الآن بصددها[40]، ومن ناحية روحيَّة هي كُفْرٌ بإله تلك الوصايا الموجودة في العهد القديم التي تجعل من معاملة الغريب أساسًا إيمانيًّا، فالعهد القديم يورد على لسان اللّه أن «لا تَظلم الغريب

(37) Yossi Verter, «Poll: Most Israelis support continuing Gaza military op», Haaretz, Jan 01, 2009.
https://www.haaretz.com/1.5057203

(38) خريستو المرّ، دعاية مذبحة... مرجع مذكور.

(39) Avi Shlaim, «How Israel brought Gaza to the brink of humanitarian catastrophe», Guardian, 7 January 2009.
http://www.guardian.co.uk/world/2009/jan/07/gaza-israel-palestine

(40) ينطبق هذا على العنصريَّة في أيّ مكان، ومنها العنصريَّة المتفشِّية في لبنان.

ولا تُضايقه، فأنتم كنتم غرباء في أرض مصر» (خروج 22: 20)، و«لْيَكنْ عندكم الغريبُ النَّزيل فيما بينكم كالأصيلِ منكم. أحبُّوه مِثلما تُحبُّون أنفسَكم لأنَّكم كُنتم غُرباء في أرض مصر» (لاويين 19: 34)، «فأحبّوا الغريبَ لأنَّكم كنتم غرباء في أرض مصْر» (تثنية 10: 19).

إنَّ في العنصريَّة التي يعمِّمها نظام الفصل الإسرائيليّ عودةً لما ندَّد به حزقيال حينما هاجم أهل أورشليم لأنَّهم «يُعامِلونَ الغريبَ بالظُّلمِ، ويضطهدونَ اليتيمَ والأرملةَ» و«حتى وجهاءُ الشعبِ يغتصبونَ المِسكينَ ويَسرقونَهُ ويستغلُّونَ البائسَ ويُعامِلونَ الغريبَ بغَيرِ حَقٍّ» (حزقيال 22: 7 و29). أمَّا الحصار القاتل المفروض على غزَّة، وسياسة تدمير التنمية، فهما بمثابة بَصْقَةٍ على الآية التالية من التراث اليهوديّ «قلَّة من الطعام هي حياة الفقراء، من يحرمهم منها يرتكب اغتيالًا، إنَّه قاتل قريبه ذاك الذي ينتزع منه قوته، إنَّه يهرق الدم من يحرم الأجير حقَّه» (حكمة يشوع بن سيراخ 34: 20 ـ 22).

إنَّ «إسرائيل» كنظام فصل عنصريّ تسعى (رغم كلّ الكلام الإنشائيّ حول السلام) إلى استعباد الفلسطينيّين بشكلٍ غير مباشر وفرض أوضاعٍ لاإنسانيّة عليهم. هذه العنصريَّة، التي بيّنّا بعض وجوهها، هي في الواقع عبادةٌ لصنمِ الذات الجماعيَّة.

الصهيونيَّة: صنم الدولة والسؤدد

إنَّ المتمسِّكين بنظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ نظامًا مبنيًّا ومستمرًّا على جثث الفلسطينيّين وأنقاضِ قراهم وحيواتهم، يعبدون في الحقيقة دولة إسرائيل، كرمز للذات الجماعيَّة العنصريَّة، كبعلٍ جديد، ويبدو

تصرُّفهم استعادةً لتجربةِ عبادةِ العجلِ عند الخروج من مصر، ولكنَّه هذه المرَّة عجلٌ مصنوع ليس من ذهب وإنَّما من أفكار، وقوانين، ومؤسَّسات، وعسكر. وهذا بالضبط ما صرَّح به البروفسور إسرائيل شاحاك قائلًا إنَّ الصهيونيّين «متديِّنون، ولكنْ إلههم إنّما هو الأمَّة اليهوديَّة»[41]. وهذا ما عناه كوستي بندلي عندما قال إنّ الصهيونيَّة بعثٌ للإنحراف اليهوديّ القديم «إذ تحوّل هي أيضًا الشعب اليهوديّ من شعبٍ يستمدّ كيانه من اللّـه مبرّر وجوده... إلى «أمَّة» تسخِّر اللّـه لتفرض ذاتها في حلبة الصراع بين الأمم، على المصالح والهيمنة»[42]. إنَّ اللهاث الإسرائيليّ المتسارع من حربٍ إلى حرب، لا يبرِّره إطلاقًا «عدائيّة» مُفْتَرَضَةٌ للعرب تجاه اليهود، بل يمكن أن يُفهم من منظار نزعة الصهيونيَّة، كتيَّار عنصريّ، إلى رؤية البشر «الغرباء» وسائلَ جني أرباحٍ وسؤددٍ وتسلُّط. إنَّ في ذلك انزلاقًا متواصلًا ومتسارعًا إلى توظيف كلّ شيء، للتضحية بحياة الفلسطينيّين كما وبحياة وإنسانيَّة الناس المنتمين إلى اليهوديَّة، من أجل صنم الدولة والتسلُّط.

تجربة العرب: أصنام الذات الجماعيَّة والتسلُّط

من جهة العرب، فإنَّ الظلم الفادح اللاحق بالفلسطينيّين، متغذِّيًا بالظُّلمَيْن السياسيّ والاقتصاديّ الذي يرزحون تحته في بلادهم، قد يدفع بهم إلى الانزلاق إلى العنصريَّة، وذلك بسبب الالتباس الذي أنشأه وجود نظام الفصل العنصريّ لدولة «إسرائيل» بين الانتساب إلى دولة مُغتَصِبَة

---

(41) Pârequette Villeneuve, «Propos du Professeur Israel Shahak», Témoignage Chrétien, Paris, No 1362, 13 Août 1970, pp. 9-10

مذكور عند: كوستي بندلي، **إسرائيل بين الدعوة والرفض**، منشورات النور 1985، ص 79.

(42) المصدر نفسه، ص 78.

للحقوق، استعماريَّة، وقامعة، وإجراميَّة، وبين الانتماء إلى الدين اليهوديّ. تجربة الانزلاق إلى العنصريَّة الدينيَّة تطلّ إلينا عندما يختلط في حديث البعض كلمة إسرائيليّ وكلمة يهوديّ، والاثنان في الحقيقة ليسا واحدًا. إنَّ رفض الظلم الإسرائيليّ يدفع البعض كي ينتقدوا اليهود بدون تمييز بين «إسرائيل» كدولة تمييز عنصريّ، وبين أُناس ينتمون إلى دينٍ معيَّن. ولا شكّ أنَّ هذا التمييز صعب، لأنَّ دولة الاحتلال نفسها تعرّف عن ذاتها كدولة يهوديَّة، وتسعى، بشكلٍ واضحٍ وجليّ إلى جعل الدولة الإسرائيليَّة دولةَ صفاءٍ دينيّ بترحيل كلّ فلسطينيّ منها[43] (وهو ما حاوله تاريخيًّا منظّمو مجازر 1948[44]). ولكنْ وإنْ كان من الصعب، لأوَّل وهلة، التمييز بين الإسرائيليّ الصهيونيّ وبين اليهوديّ، كما وبين اليهود المدافعين والمحاربين عن نظام الفصل العنصريّ واليهود المناوئين له، فإنَّه من الواجب المطلق، إيمانيًّا وأخلاقيًّا، أن نتنبَّه إلى ضرورة إقامة هذا التمييز، وذلك كي لا نقع في العنصريَّة. إنَّ مواطنيّ العالم العربيّ، وبسبب جرائم دولة الفصل العنصريّ الإسرائيليّ، مهدَّدون بسمِّ الحقد، وبالتالي بالجنوح نحو العنصريَّة، أي نحو صنم الذات الجماعيَّة.

ومن جهة أُخرى، فإنَّ الطموح المشروع إلى هزم نظام الفصل العنصريّ ـ وليس هزم اليهود ـ مهدَّدٌ دائمًا بمنزلقٍ معروف في كلّ حركات التحرُّر العنفيَّة، ألَا وهو التمسّك بالعَسْكَرة ومظاهر القوَّة من أجل ذاتها، أي كغاية وليس كوسيلة؛ فيصير المناضلون مُهَدَّدون بالجنوح إلى التسلُّط من حيث لا يدرون، ومُهَدَّدون بالتالي بالانحناء أمام صنم الذات الجماعيَّة

(43) Haaretz Service and News Agencies, «Livni: National aspirations of Israel's Arabs can be met by Palestinian homeland», Dec 11, 2008. https://www.haaretz.com/1.5072337

(44) Ilan Pappe, «The Ethnic Cleansing of Palestine», One World Oxford , 2007.

(القوميَّة أو الدينيَّة) وصنم التسلُّط المرافق له؛ فنقع في الخطيئة الروحيَّة نفسها التي تهدِّد الذين انحنوا من اليهود أمام نظام الفصل العنصريّ وبَعل «دولة إسرائيل»؛ فإذا بالجميع يقدِّمون «الأضاحي» البشريَّة أمام صنم السؤدد ـ التسلُّط.

ولهذا، ومن وجهة نظر مسيحيَّة، إنْ كانت مقاومةٌ لدولة إسرائيل كنظام فصل عنصريّ إجراميّ، واجبةً إنسانيًّا، وضرورةً إيمانيَّةً من أجل حماية «إخوة يسوع الصغار»، فإنَّ أيَّة مقاومة لا بدَّ لها أن ترتبط بأقصى درجات الحيطة الروحيَّة، والإعلام المتنوِّر، لتفادي جنوح محرِّري الغد إلى قامعيِّ بعد غد؛ وإلى إفساد الحياة الروحيَّة للجميع، اليوم. وفي هذا الإطار، للمسيحيّين العرب دورٌ أساس مع المسلمين في الإضاءة على هذا الخطر الروحيّ الذي يتهدَّد الجميع، والذي ينبغي على الجميع السعي إلى تجنُّبه دون التخلّي عن مقاومة مشروع إسرائيل، ومقاومة مشروع أيّ فكرٍ عنصريٍّ آخر.

ز ـ نحو مسؤوليَّة إيمانيَّة

إنَّ مسؤوليَّة البشارة المسيحيَّة، وعبادة الإله الواحد، تدفعنا إلى مواجهة إسرائيل من منظار كونها دولةً قائمة على الجريمة والظلم، ودولةً يشكِّل نظامها العنصريّ انزلاقًا لليهود إلى عبادة صنم الذات الجماعيَّة (الدولة العنصريَّة) وصنم السؤدد ـ التسلُّط، كما يشكِّل دعوةً مفتوحةً في المنطقة إلى عبادة تلك الأصنام. إنَّ مواجهة إسرائيل تعني تحمُّل مسؤوليَّة الإيمان المسيحيّ الذي يتمحور حول المسيح الذي وحَّد نفسه بالمستضعفين، والمزاوجة سرّ الشكر وسرّ الأخ (الذي أشار إليه القدِّيس يوحنَّا الذهبيّ الفم)، والسعي لإقامة العدل انطلاقًا من مقتضيات المحبَّة.

من زاوية روحيَّة، لا يمكننا إلَّا أن نرى في الصهيونيَّة تيَّارًا وثنيًّا إستعلائيًّا، يتّخذ الإيمان الإبراهيميّ ليدعو باسم اللّـه بينما هو يدعو لعبادة صنم القوميَّة والتسلُّط. لهذا، فمواجهة إسرائيل تقتضي أيضًا مقاومةً روحيَّةً لتجربة الصنميَّة الكامنة خلف الصهيونيَّة والتي تهدِّدنا كلّنا، وذلك حتى لا ينتصر فينا، تحت مُسَمّى آخر، الفكرُ الكامنُ وراءَ الصهيونيَّةِ، فكر الخطيئة الأصليَّة، خطيئة وضع الذات ـ الفرديَّة أو الجماعيَّة ـ مكان اللّـه، وبالتالي تهديم الأخوَّة البشريَّة. ينبغي لكلّ مقاومة أن تُشدِّد على رؤية الإنسان، كلّ إنسان، ابنة أو ابنا للّـه في عائلته الواحدة القائمة على أبوَّته الشاملة، وعلى المساواة في الكرامة الإنسانيَّة، وإلَّا فلن تنتصر سوى قهقهة الشيطان خلف أيّ انتصار بشريّ.

أمام الاحتلال الإسرائيليّ لا يجوز الانسحاب وإنَّما المقاومة المرتبطة بمشروع تحرّر، وهي مقاومةٌ ينبغي أن تواجه بدون هوادة بُنى الظلم والموت، انطلاقًا من المسؤوليَّة الإيمانيَّة التي تفترضها عبادة اللّـه، إله الحياة؛ وأن تتسلَّح أيضًا بأقصى درجات الصرامة الروحيَّة لكي لا تنجرف إلى عبادة الأصنام؛ إنَّها مقاومةٌ تأخذ محمل الجدّ قول المسيح إنَّه جاء «لتكون لكم الحياة وتكون أوفر» (يوحنّا 10: 10)، وأنَّ «الحياة الأبديَّة هي أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيقيّ وحدك، ويعرفوا الذي أرْسَلْتَهُ يسوع المسيح» (يوحنا 17: 3)، رافضين كلّ صنمٍ[45]. في هذا المجال، تشكّل حركة المقاطعة وسيلة مقاومة فاعلة.

(45) «يا أحبَّائي، إهربوا من عبادة الأصنام» (1 كور 10: 14).

-3-

الإيمان المسيحيّ، فلسطين، والمقاطعة[46]

منذ انطلاق حركة المقاطعة الفلسطينيَّة من فلسطين إلى العالم، تبنَّتها جمعيَّاتٌ ومنظَّماتٌ شبابيَّةٌ وطلَّابيَّةٌ ونقابيَّة، بل تبنَّتها حكوماتٌ محلِّيَّةٌ في العالم أيضًا. انطلقتْ «حركةُ مقاطعة إسرائيل وسحبِ الاستثمارات منها وفرضِ العقوبات عليها» (BDS) من فلسطين المحتلَّة في 9/7/2005، من قِبَل أكثر من 170 منظَّمة أهليَّة وسياسيَّة فلسطينيَّة، واتَّخذتْ من شرعة حقوق الإنسان العالميَّة والنضال الجنوب أفريقيّ إلهامَها. وقد جاءت حركةُ BDS بعد انطلاق «الحملة الفلسطينيَّة للمقاطعة الأكاديميَّة والثقافيَّة لإسرائيل» (PACBI) في 9/7/2004، وبعد إعلان محكمة العدل الدوليَّة

(46) مقالة نُشرت في مجلَّة «الآداب» اللبنانيَّة خريستو المرّ، الإيمان المسيحيّ والمقاطعة وفلسطين، مجلَّة الآداب، العدد 6، 2019.

http://al-adab.com/article/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%B9%D8%A9-%D9%88%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86

أنَّ الجدار العازل الذي بناه نظامُ الفصل العنصريّ الإسرائيليّ غيرُ قانونيّ (9/4/2004)، وبعد اندلاع الانتفاضة الثانية (2000)، واتّفاق أوسلو الذي وُلد ميتًا (1993)، والانتفاضة الأولى (1987). وللتذكير، فإنَّه عند انطلاق حركة BDS سنة 2005 كان عددُ المستوطنين في الضفَّة الغربيَّة وغزَّة قد تضاعف بنسبة ٪270 منذ اتّفاق أوسلو، إذ وصل عددُهم إلى أكثر من نصف مليون (ازداد العدد من 199,900 في العام 1989 إلى 460,838 في العام 2005)[47].

أ ـ مجالات التقدُّم

استطاعت حركة BDS أن تنتشرَ انتشارًا واسعًا في بلاد العالم. فهي اليوم موجودة في 40 بلدًا كما تُبيّن الخارطةُ المرفقة. وقد حقَّقتْ تقدُّمًا على صُعُد المقاطعة الثقافيَّة والاقتصاديَّة والأكاديميَّة والرياضيَّة والسياحيَّة، وعلى مستوى الكنائس وصناديقِ التقاعد وغيرِ ذلك.

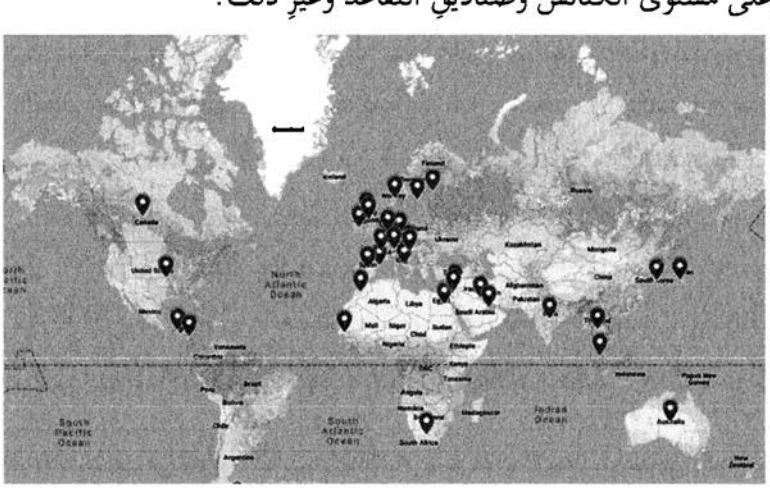

رسم 1: البلدان التي تنتشر فيها حركة المقاطعة (حزيران 2019)

«

(47) Foundation for Middle East Peace, Comprehensive Settlement Population 1972-2011 (2012, January 13, 2012). Retrieved from https://fmep.org/resource/comprehensive-settlement-population-1972-2010/

- **المقاطعة الثقافيَّة:**

ففي العام 2015، مثلًا، وقَّعتْ حوالى ألف شخصيَّة ثقافيَّة وفنِّيَّة في المملكة المتَّحدة تعهُّدًا بالمقاطعة الثقافيَّة لإسرائيل[48]. وقامت نشاطاتُ مقاطعةٍ ثقافيَّة في كلٍّ من كندا، وجمهوريَّة إيرلندا، وجنوب أفريقيا، وسويسرا، ولبنان، وتونس، ومصر، والأردن، وقطر، والولايات المتَّحدة، وغيرها من البلدان. كما دعمتْ حركةَ المقاطعة شخصيَّاتٌ ثقافيَّةٌ عالميَّةٌ وازنة مثل الراحل شالك دي (أحد المساهمين في شرعة حقوق الإنسان وأحد الناجين من المحرقة النازيَّة)، والمغنِّي الشهير رودجر ووترز، والصحفيَّة الكنديَّة المرموقة ناومي كلايْن، والكاتبة والأكاديميَّة الأميركيَّة إنجيلا دايفِس، ومنتجة الأفلام الهنديَّة ـ الأميركيَّة ميرا ناير. وقد قاطع حفلاتٍ ومهرجاناتٍ ومؤتمراتٍ وورشَ عمل أُقيمت في الكيان الصهيونيّ مشاهيرُ كثيرون من الفنَّانين والرياضيِّين والمثقَّفين[49].

- **المقاطعة الاقتصاديَّة:**

وعلى الصعيد الاقتصاديّ، حقَّقت المقاطعة تقدُّمًا ملموسًا. فمثلًا، يشير تقريرُ الأمم المتَّحدة الصادر سنة 2014 إلى أنَّ حركة BDS التي تقودها المنظَّماتُ المدنيَّةُ الفلسطينيَّة، ويتبنَّاها عشراتُ الألوف من الناشطين فيها حول العالم، مسؤولةٌ جزئيًّا عن 46% من الانخفاض في الاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة في إسرائيل؛ أمَّا المسؤول الآخر عن هذا

---

(48) https://hyperallergic.com/183208/nearly-1000-uk-artists-commit-to-cultural-boycott-of-israel/

(49) https://bdsmovement.net/ar/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9

الانخفاض فمردّه إلى الامتعاض العالميّ من العدوان الإجراميّ الإسرائيليّ على غزّة في ذلك العام[50].

وأدّى ضغطُ حركة المقاطعة، وحملاتها المثابرة والمُقْنعة، إلى وقف شركات متعدّدة لأعمالها في الكيان الإسرائيليّ، وإلى خسارتها فُرصَ عملٍ تقدَّر بمليارات الدولارات. من هذه الشركات فيوليا (Veolia) وأورانج (Orange). ففيوليا مثلًا خسرتْ عقودًا تُقدَّر بـ 20 مليار دولار في أنحاء مختلفة من العالم بعد الضغط عليها لمنعها من المشاركة في مشاريع تدعم الاستيطانَ في الضفَّة الغربيَّة.

كما تقود نقاباتٌ عمَّاليَّةٌ في أنحاء متفرّقة من العالم حملاتِ مقاطعةٍ فعَّالةً. على سبيل المثال، في كندا، صوَّتتْ نقابةُ عمَّال البريد لصالح المقاطعة سنة 2008، ودعمتْ نقابةَ عمّال البريد الفلسطينيَّة سنة 2015، وهي تدعم من العام 2016 منظَّمة «أوقِفوا الجدار» وغيرَها من المشاريع الفلسطينيَّة[51]. وفي النروج، تقود نقابةُ Fagforbundet حملاتٍ نشطةً ضدَّ شركتيْ G4S وSodaStream. وفي المملكة المتَّحدة تضغط نقاباتٌ كبرى على شركة الأمن البريطانيَّة G4S بسبب دورها في السجون الإسرائيليَّة وفي مركزٍ لتدريب الشرطة الإسرائيليَّة. أمَّا في فرنسا، فقد حشدتْ نقابةُ المزارعين الفرنسيَّة آلافَ الناس لدعم حملة ناجحة ضدَّ بناء ميناء في جنوب فرنسا كان يمكن استخدامُه لاستيراد الفواكه والخضروات الإسرائيليَّة. وفي جنوب أفريقيا، ردَّ عمَّالُ الرصيف في مدينة

(50) Foreign investment in Israel drops by 50%», June 25, 2015, https://www.news-week.com/foreign-investment-israel-slashed-by-half-329269

(51) http://laborforpalestine.net/wp/wp-content/uploads/2016/02/2016-02-11_Bulletin-70_BDS-Campaign-expanding.pdf

ديربان على عدوان غزّة في الفترة 2008 ـ 2009 برفض تفريغ المنتجات الإسرائيليّة. وفي السويد، حاصر اتّحادُ عمّال السفن السويديّين سنة 2010 أكثرَ من 500 طنّ من البضائع الآتية من «دولة الاستيطان العنصريّة»، أو الذاهبة إليها، احتجاجًا على هجومها على أسطول مساعدات إنسانيّة متّجهٍ إلى قطاع غزّة في محاولة لإنهاء الحصار المفروض عليه. وفي الولايات المتّحدة، رفض عمّالُ الرصيف في غير ولاية، مرارًا وتكرارًا، تفريغَ السفن الإسرائيليّة.

- **المقاطعة الأكاديميّة:**

وعلى الصعيد الأكاديميّ، صوّت أكثرُ من 30 جمعيّة طلّابيّة في الولايات المتّحدة، وجمعيّات طلّابيّة في 9 جامعات كنديّة مختلفة، لصالح الضغط على جامعاتهم من أجل سحب الاستثمارات من الشركات التي تساعد على انتهاك «إسرائيل» للقانون الدوليّ. وصادقتْ نقاباتُ الطلّاب الوطنيّة والمحلّيّة في جنوب إفريقيا والبرازيل وشيلي وقطر على حركة المقاطعة. أمّا في المملكة المتّحدة، فقد صوّت الاتّحادُ الوطنيّ للطلّاب، الذي يمثّل 7 ملايين طالب، وحملةُ الطلّاب السود، وأكثرُ من 25 نقابة طلّابيّة فرديّة، لصالح تأييد المقاطعة. وفي أيّار 2015، انضمّ أكثرُ من عشرة آلاف طالب وطالبة من جنوب إفريقيا إلى مظاهرة للمطالبة بدراسة المقاطعة. وفي العام 2019، انطلقتْ حملةٌ لرفض الاعتراف بالشهادات الصادرة عن جامعة أرييل المبنيّة على مستوطنة في الضفّة الغربيّة[52].

(52) No Academic Businees as Usual with Ariel University and all other Israeli Academic Institutions Illegally Built on Occupied Palestinian Land: A Call from Palestine», November 29, 2018. https://www.mohe.pna.ps/news?p=articles&news=5822.

ب ـ الإيمان والمقاطعة

لربَّما كان المرشدُ الأكبرُ للإنسان المسيحيّ في فعله الإنسانيّ (الاجتماع، السياسة، الثقافة) جملتيْن قالهما يسوعُ المسيح في حديثه إلى تلاميذه عن الملكوت، وفيهما يوضح الأسس التي عليها سيحكم اللّـهُ: بين مَن يحبُّ يسوعَ ويستحقُّ دخولَ الملكوت، ومَن أهملَ هذه المحبَّةَ ولا يستحقّ ذلك الدخول.

يُخبر يسوع تلاميذَه أنَّ مَن يدخل الملكوتَ هم مَن أطعموه وأشربوه وزاروه أثناء المرض والأسْر. ويُردف: «كلُّ ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار [الضعفاء، المظلومين...] فبي فعلتموه!» في هذه الجملة، يتماهى يسوعُ بالضعفاء والهامشيّين والمظلومين، ويَعتبر أنَّ إنهاءَ جوع الآخر، وعطشِه، وعزلتِه في المرض، ويأسِه في السجن، فعلٌ يقدّمه الإنسان إلى يسوع مباشرةً. هكذا، يجعل يسوعُ من التعاضد الإنسانيّ، الفاعلِ والخادمِ للآخر المظلوم، طريقًا إلى ملكوت اللّـه.

ثم يتابع يسوع بأنَّ الذين لا يدخلون الملكوتَ هم الذين رأوْا يسوعَ جائعًا ولم يطعموه، وعطشانَ ولم يسقوه، ومريضًا وسجينًا ولم يعودوه. ويوضح: «كلُّ ما لم تفعلوه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي لم تفعلوه». إنَّ كلام يسوع هذا أخطرُ من الأوَّل؛ ففيه يقول إنَّه لا يكفي لمَن يتَّبعوه أن يكونوا جيِّدين و«أوادم»، مكتفين بعدم فعل الشرّ، وإنَّما هم مُطالَبون بالتعاضد الفاعل المسؤول عن الآخر. التعاضد يُلزمنا بالعمل من أجل العدالة وإنهاء الظلم في حقّ الآخرين، ولا يقتصر على الانطواء على «أخلاقيَّاتٍ» فاترة تكتفي بالامتناع عن العمل الشرّير. إنَّ عدمَ الاهتمام بالآخرين، والإحجامَ عن العمل على دفع الظلم عنهم، تواطؤٌ مع الشرّ، ومساهمةٌ في استفحاله.

وهكذا، فإنَّ يسوع جعل من الإيمان به، ومِن طلب ملكوت اللّـه، إلهامًا للالتزام بابتكار مشاريع تعاضديَّةٍ بين البشر، تسعى إلى إنهاء الظلم في غير مجال (الجوع، العطش، العزلة، إلخ.). وهذا ما جعل تلميذَه الرسول يوحنَّا يكتب أنَّ مَن لا يحبُّ الإنسان الذي يراه لا يقدر أن يحبَّ اللّـهَ الذي لا يراه (يوحنّا 4: 20)؛ فالمحبَّة ليست مجرَّدَ شعور، وإنَّما هي عملٌ خلَّاقٌ أيضًا لحماية الكرامة الإنسانيَّة ورفعِ الظلمِ عن الآخر والذات. من وجهة نظرٍ مسيحيَّة، إذن، فإنَّ كلّ روحانيَّةٍ لا تُشْعل هذا العالمَ بمزيدٍ من الإنسانيَّة هي روحانيَّةٌ كاذبة.

• الدور الكنسيّ في فلسطين:

من هذه الزاوية، نفهم اجتماعَ ممثّلي ثلاث عشرة كنيسةً رسميَّة ومؤسَّسة فلسطينيَّة من أجل إطلاق «وقفة حقّ ـ فلسطين» (Kairos Palestine) عام 2009[53]. وقَّع المجتمعون على البيان التأسيسيّ، الذي قالوا فيه بشكلٍ لا لبس فيه:

---

(53) وهي الآتية: بطريركيَّة الروم الأرثوذكس (البطريرك ثيوفيلس الثالث)،البطريركيَّة اللاتينيَّة (البطريرك فؤاد طوال)، بطريركيَّة الأرمن الأرثوذكس (البطريرك توركوم مانوجيان)، بطريركيَّة الأقباط الأرثوذكس في القدس (المطران الأنبا أبراهام)، بطريركيَّة السريان الأرثوذكس (المطران سويريوس ملكي مراد)، بطريركيَّة الأحباش الأرثوذكس (المطران أبونا ماتياس)، النيابة البطريركيَّة المارونيَّة في القدس والأراضي الفلسطينيَّة (المطران بولس صيَّاح)، بطريركيَّة الروم الملكيّين الكاثوليك (المطران يوسف زريعي)، الكنيسة الإنجيليَّة اللوثريَّة في الأردن والأراضي المقدَّسة (المطران منيب يونان)، الكنيسة الأسقفيَّة في القدس والشرق الأوسط (المطران سهيل دواني)، النيابة البطريركيَّة للسريان الكاثوليك (المطران بيتر مالكي)، النيابة البطريركيَّة للأرمن الكاثوليك (المطران رفائيل ميناسيان)، حراسة الأراضي المقدَّسة (الأب بيير باتيستا بيتسابا).

«نعلن، نحن الفلسطينيّين المسيحيّين، في هذه الوثيقة التاريخيّة، أنَّ الاحتلال العسكريّ لأرضنا هو خطيئةٌ ضدَّ اللّـه والإنسان، وأنَّ اللاهوت الذي يبرّر هذا الاحتلالَ هو لاهوتٌ تحريفيٌّ بعيدٌ جدًّا عن التعاليم المسيحيَّة؛ حيث إنَّ اللاهوت المسيحيّ الحقّ هو لاهوتُ محبَّةٍ وتضامنٍ مع المظلوم، ودعوةٌ إلى إحقاق العدل والمساواة بين الشعوب... إنَّ استخدام الكتاب المقدَّس لتبرير (أو تأييد) تيَّاراتٍ ومواقفَ سياسيَّةٍ فيها ظلمٌ يفرضه إنسانٌ على إنسان، وشعبٌ على شعبٍ آخر، يحوّل الدينَ إلى إيديولوجيا بشريَّة، ويجرّد 'كلمةَ اللّـه' من قداستها وشموليَّتها وحقيقتها».

وتطرح الوثيقة «الحلّ الذي سيؤدّي للسلام العادل والدائم، ألا وهو إنهاءُ الاحتلال الإسرائيليّ للأرض الفلسطينيَّة، بالإضافة لكلّ أنواع التمييز العنصريّ...»، وتضيف أنَّ المحبَّة هي رؤيةُ «وجه اللّـه» في كلّ إنسان؛ فـ «كلُّ إنسان أخي وأختي.» غير أنَّها تستدرك:

«لكنَّ رؤية 'وجه اللّـه' في كلّ إنسان لا تعني قبولَ الشرّ، أو الاعتداءِ من قبَله، بل تقوم المحبَّةُ بإصلاح الشرّ ووقفِ الاعتداء. والظلمُ الواقع على الشعب الفلسطينيّ هو شرٌّ تجب مقاومتُه... تقع هذه المسؤوليَّة أوَّلًا على عاتق الفلسطينيّين أنفسهم، الواقعين تحت الاحتلال. فالمحبَّة المسيحيَّة تدعو إلى المقاومة، إلَّا أنَّ المحبَّة تضع حدًّا للشرّ بسلوك طرق العدل. إنَّنا نرى في المقاطعة وسحبِ الاستثمارات 'من الكيان الصهيونيّ' وسائلَ لاعنفيَّةً لتحقيق العدل والسلام والأمن للجميع»[54].

وفي كانون الأوَّل 2018، التقى 300 من ممثّلي الكنائس المسيحيَّة الفلسطينيَّة في «وقفة حقّ»، وحركة «وقفة حقّ من أجل العدالة» (Glob-

(54) وقفة حقّ. https://www.kairospalestine.ps/sites/default/files/Arabic.pdf

العالميَّة، وممثِّلون من المنظَّمات (al Kairos for Justice Movement الفلسطينيَّة المدنيَّة، في بيت لحم، في الذكرى التاسعة لتأسيس «وقفة حقّ ـ فلسطين»[55]. وتبنَّى اللقاءُ آنذاك موقفَ «التجمُّع الوطنيّ للمنظَّمات المسيحيَّة في فلسطين» (National Coalition for Christian Orga-nizations in Palestine - NCOPP) الصادر في رسالتها المفتوحة، في 12/6/2017، إلى مجلس الكنائس العالميّ[56]، وقد حيَّته حركةُ المقاطعة الفلسطينيَّة[57]. وأجمعت المطالبُ على الآتي: 1) اعتبار «إسرائيل» دولةَ فصلٍ عنصريّ من حيث القانون الدوليّ، والتصرُّف معها وفقًا لذلك. 2) اتِّخاذ موقفٍ لاهوتيّ واضح ضدَّ أيّ لاهوت، أو جماعة مسيحيَّة، تُبرِّر هذا الفصلَ العنصريّ. 3) اتِّخاذ موقف ضدَّ التطرُّف الدينيّ، وضدَّ أيّ محاولة لإنشاء دولة دينيَّة في أرضنا أو منطقتنا. 4) الدفاع عن حقِّنا وواجبنا في مقاومة الاحتلال بشكلٍ خلَّاقٍ وغير عنيف. 5) تأييد التدابير الاقتصاديَّة التي تضغط على إسرائيل لتبنِّي طريق العدالة والسلام ووقف الاحتلال. 6) تكثيف المقاطعة والوقوف إلى جانب أولئك الذين يدافعون عن حقِّ الفلسطينيِّين ردًّا على الهجمات الإسرائيليَّة على BDS. 7) إنشاء جماعات ضغط دفاعًا عن المسيحيِّين الفلسطينيِّين، والطعن علنًا وقانونيًّا بالمنظَّمات المسيحيَّة التي تشوِّه سمعةَ «التجمُّع الوطنيّ للمنظَّمات المسيحيَّة في فلسطين» وشرعيَّته.

---

(55) Kairos Palestine 9th Anniversary Conference Statement», https://www.kairospalestine.ps/index.php/resources/statements/kairos-palestine-9th-anniversary-conference-statement

(56) http://new.israelpalestinemissionnetwork.org/23-relationships/partnerships/348-open-letter-nccop

(57) https://bdsmovement.net/news/bnc-welcomes-call-christian-organizations-urging-world-council-churches-support-bds-movement

• **الكنائس في أميركا الشماليَّة:**

صوَّتتْ لصالح المقاطعة أيضًا كنائسُ متعدِّدةٌ في أميركا الشماليَّة، وسحبت استثماراتِها من الكيان الصهيونيّ.

من هذه الكنائس: Mennonite Central Committee (2013)[58]، وQuakers (2013)[59]، وUnited Methodist Church[60]، وUnited Church of Christ[61]، وThe Catholic Conference of Major Superiors of Men وThe Alliance of Baptists (2016)[62].

• **الكنيسة الكاثوليكيَّة:**

موقف الفاتيكان. شاركت النيابةُ البطريركيَّةُ المارونيَّة في القدس والأراضي الفلسطينيَّة في «وقفة حقّ» كما ذكرنا، واعترف الفاتيكان رسميًّا بالدولة الفلسطينيَّة سنة 2015. لكنَّ الفاتيكان ما يزال يتَّخذ موقفًا باهتًا ولاواقعيًّا من القضيَّة الفلسطينيَّة، مكتفيًا بخطابٍ تجنّبه الكثيرُ من الدول، داعيًا أطرافَ «النزاع» إلى «الحوار»، ومؤكِّدًا حقَّ إسرائيل في الوجود. حتّى البابا الفذّ الحاليّ، نصيرُ الضعفاء، يردِّد الكلامَ الديبلوماسيَّ عن «الحوار» و«المفاوضات» و«تطلُّعات الشعبيْن»، من دون أيِّ ذكرٍ للاحتلال، والتنكيلِ الممنهج بالفلسطينيِّين، وسياسات الاغتيالات بلا محاكمة، وسجنِ الأطفال،

(58) Cheryl Zehr Walker, «MCC U.S. board acts for peace through its investments,» March 26, 2013. https://mcc.org/stories/mcc-us-board-acts-peace-through-its-investments

(59) https://bdsmovement.net/news/breakthrough-quakers-spanning-3-us-states-call-boycott-divestment

(60) https://www.kairosresponse.org/pr_umc_divests_israeli_banks_jan2016.html

(61) https://www.uccpin.org/#!pressrelease/c1a36

(62) https://bdsmovement.net/news/alliance-baptists-divests-companies-profiting-israel%E2%80%99s-occupation-palestinian-land

والسجنِ الإداريّ، والتمييزِ العنصريّ ضدّ الفلسطينيّين الذين يحملون الجنسيَّةَ الإسرائيليَّة، وتدميرِ المنازل، ومصادرةِ الأراضي، وتدميرِ الوضع الصحّيّ، وإلى ما هنالك من سياساتٍ مدعومةٍ من الحكومات الإسرائيليَّة ومن الكنيست، ومن دعواتٍ إلى إبادة شعبٍ كامل. وقد استدعى موقفُ البابا ردًّا قاسيًا من الكنائس الفلسطينيَّة من خلال «وقفة حقّ»، التي أعلن أعضاؤها ما يأتي:

«بينما نشكر قداستَه على اهتمامه بالشعب الفلسطينيّ، نودّ في المبادرة المسيحيَّة الفلسطينيَّة / كايروس فلسطين إصدار تذكيرٍ بأنَّ الفلسطينيّين يموتون بالفعل، ولا يعيشون فقط في حالةٍ من العداء أو الصراع. أصبحتْ حياتُنا لا تُطاق. إنَّنا نموت كلَّ يوم، ونُضطَهد كلَّ يوم، ونُلقى في السجون كلَّ يوم، وتُصادر أرضُنا وبيوتُنا كلَّ يوم، ونُطرد من القدس مع أطفالنا كلَّ يوم. وهذا بسبب الاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ، الذي خنق الفلسطينيّين لعقودٍ عديدة، إلى جانب انتهاكه المستمرّ لحقوق الإنسان»[63].

لكنْ يبدو أنَّ الفاتيكان ما يزال يحتاج إلى الكثير من العمل لكي يتمكَّنَ من الوقوف موقفَ حقّ في هذا المجال. ولئن كان ما يزال يؤكّد أنّه «لا يمكنه أنْ يبقى صامتًا» عن اقتراح نقل السفارات إلى القدس[64]، فإنَّه يصمت عن الجرائم الإسرائيليَّة اليوميَّة ضدَّ الفلسطينيّين.

---

(63) Kairos Palestine on the statement made by His Holiness the Pope about peace in Palestine and Israel».
https://www.kairospalestine.ps/index.php/resources/statements/kairos-palestine-on-the-statement-made-by-his-holiness-the-pope-about-peace-in-palestine-and-israel

(64) U.N., European Union and Pope Criticize Trump's Jerusalem Announcement
U.N., European Union and Pope Criticize Trump's Jerusalem Announcement, New York Times, Dec 6, 2017, https://www.nytimes.com/2017/12/06/world/europe/trump-jerusalem-pope.html

أمَّا بطريركيَّةُ اللاتين في فلسطين، وهي تابعة للفاتيكان، فقد انتقدتْ بشكل حادّ القانونَ الذي صادق الكنيست عليه في 19/7/2018، وادَّعى أنَّ إسرائيل هي «دولة الشعب اليهوديّ» حصرًا، مهمِّشًا السكَّان الفلسطينيِّين الأصليِّين داخل فلسطين المحتلَّة عام 1948.

- **الدور الكنسيّ في المشرق العربيّ:**

تتنوَّع المواقفُ الكنسيَّة حيال فلسطين في العالم العربيّ. ففي مصر، وقف البابا شنودة، بابا الكنيسة المرقسيَّة[65]، موقفًا مناهضًا لـ «إسرائيل»، مانعًا حجَّ الأقباط إلى فلسطين ما دامت تحت الاحتلال، وأطلق كلماته: «لا للاحتلال، لا للتهويد، لا للتدويل، لن نتنازل عن عروبة القدس». لكنَّ البابا الحاليّ تواضروس تراجع عن هذا الموقف المقاطِع، وزار القدس في العام 2015، مخالفًا موقفَ الكنيسة التاريخيّ[66]. ومع ذلك، بقي الموقف اللاهوتيّ الرسميّ معاديًا للاستيطان في المناطق المحتلَّة عام 67، وهو ما برز في الوقفة الاحتجاجيَّة للرهبان الأقباط ضدَّ سلطة الاستيطان الرسميَّة في ساحة كنيسة القيامة في القدس، ما أدَّى إلى قمع السلطات الغاصبة[67].

---

(65) نسبة إلى القدّيس الرسول مرقس، مؤسّسِ الكنيسة.

(66) http://www.almayadeen.net/news/politics/609957/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%AB%D9%8A%D8%B1-%D8%AC%D8%AF%D9%84%D8%A7

(67) A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%AA%D8%B9%D8%AA%D8%AF%D9%8A-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%87%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D8%A9-%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%A7%D9%85

أمَّا في منطقة أنطاكية وسائر المشرق (سوريا، لبنان، العراق، الخليج العربيّ)، فقد زار البطريركُ الماروني الكاردينال بشارة بطرس الراعي الكيانَ الصهيونيّ (فلسطين المحتلَّة) سنة 2014، مُتذرِّعًا بالضرورات الرعائيَّة، وبرغبته في مرافقة البابا الحاليّ في زيارته إلى فلسطين (وهو ما لم يكن مطلوبًا). وبقي موقفُ الراعي غيرَ مبرَّر منطقيًّا؛ فالبطريرك المارونيّ الراحل الكاردينال نصر اللّه بطرس صفير لم يُرِدْ أن يرافق البابا السابق في زيارته إلى سوريا لأسباب سياسيَّة معروفة، وكان الأحرى بالبطريرك الحاليّ أنْ يقف الموقفَ نفسَه من الاحتلال العنصريّ، الذي يستدعي مواقفَ أكثر حزمًا من الموقف من أيِّ سلطةٍ في العالم العربيّ. فنظرةُ شعوبنا إلى الكيان الصهيونيّ تختلف نوعيًّا عن نظرتها إلى أيّ نظامٍ آخر، لكون الكيان المذكور كتلةً استيطانيَّةً غريبةً، معاديةً للوجود الفلسطينيّ ذاته، ولمطامع شعوبنا العربيَّة في الوحدة والتحرُّر من الاستعمار، وتعيث خرابًا في فلسطين ولبنان، ولا تزال تحتلّ أجزاءً عزيزةً من لبنان وسوريا.

وفي المقابل، فإنَّ الكنائس الكاثوليكيَّة[68] في المشرق تقف مجتمعةً موقفًا رافضًا للكيان الاستيطانيّ. ففي المؤتمر السادس والعشرين لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك الذي عُقد في تشرين الثاني 2018 في البطريركيَّة الكلدانيَّة في بغداد، أعلن هؤلاء البطاركة تضامنهم «مع الشعب الفلسطينيّ الذي لا يزال يئنّ تحت وطأة الاحتلال»، وطالبوا «بإقرار الدولة الفلسطينيَّة ضمن حلّ الدولتيْن، وعودةِ اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم»، وجدَّدوا رفضَهم الكامل «لقرار إعلان القدس عاصمةً لإسرائيل ونقل السفارة الأميركيَّة إليها وجعلِ إسرائيل دولةً قوميَّةً لليهود»؛ وأكَّدوا أنَّ «سياسة الدمار الغربيَّة في الشرق هي نفسها التي تسبَّبتْ بقتل وتهجير الملايين من بلداننا، بمَنْ فيهم المسيحيُّون. وبهذه السياسة نفسها، ظهر

(68) الكنيسة المارونيَّة جزء من هذا التجمُّع.

الإرهابُ واستقرّ في بلداننا وارتدّ على الغرب نفسه الذي ولّده...» وهذا يتناغم جزئيًّا مع مواقف الأساقفة الكاثوليك في فلسطين، ولكنّه يبقى دونها حدّةً ونوعيّة. فالأساقفة الفلسطينيّون، بواسطة «لجنة العدل والسلام»، أعلنوا رفضهم لأيّ مظهرٍ من مظاهر التطبيع، جازمين أنّ حياةَ الفلسطينيّين «في كلا المجتمعيْن الإسرائيليّ والفلسطينيّ، بعيدةٌ كلّ البعد عن أن تكون حياةً طبيعيّة. ومن ثم [فإنّ] التصرُّف كأنّ الأمور في حالة طبيعيّة هو تجاهلٌ لامتهان حقوق الإنسان الأساسيّة». ومع أنّ الكنيسة «مُلزَمة...، من أجل ضمان إدارة رعاياها ومدارسها ومؤسّساتها العديدة، بأن تتعامل مع السلطات المسؤولة في المناطق التي تعمل الكنيسة فيها...»، فإنّ عليها «ألّا تنسى حقيقةَ الواقع، فتعتّم على الظلم الموجود». وقالت لجنة العدل والسلام:

«إنّ موقف الكنيسة هو التزامُ العدل والتنديد بكلّ ظلم. [فهي] تميّز بصورةٍ مستمرّة بين ما هو ضروريّ ولا بدّ منه في هذه العلاقات مع سلطات الاحتلال، لضمانِ ما يلزم للمعيشة اليوميّة؛ وبين ما يجب تجنُّبُه، أيْ إقامة علاقات ونشاطات توحي وكأنّ الوضعَ طبيعيّ... بل هي مُجبرة على رفع صوتها، وعلى مقاومة الشرّ، وعلى العمل من غير كللٍ من أجل التغيير. مثلَ الأنبياء في القديم، الكنيسةُ هيئة نبويّة تدلُّ على الظلم وتندِّد به... علاوةً على ذلك، الكنيسة المحلّيّة في إسرائيل وفلسطين تتحمّل مسؤوليّةً تذكير الكنيسة الجامعة بأنّ قضيّة إسرائيل وفلسطين ما زالت جرحًا مفتوحًا مزمنًا، وأنّه لا يمكن اعتبارُ الوضع طبيعيًّا»[69].

(69) بيان صادر عن لجنة العدل والسلام بخصوص مسألة التطبيع، الاثنين 22 مايو، 2017. https://www.lpj.org/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9/?lang=ar

أمَّا الكنيسة الأرثوذكسيَّة، فتقف، رسميًّا، بشكلٍ صارمٍ ضدّ وجود الكيان الصهيونيّ، ولا تراه سوى كيانٍ استيطانيّ. في الستينيَّات والسبعينيَّات، كانت مواقفُ «المجمع الأرثوذكسيّ» شديدةَ الوضوح وعاليةَ النبرة، وأبرزُها: بيانُ المجمع الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ عام 1975، وخطابُ البطريرك إلياس الرابع إلى مؤتمر القمَّة الإسلاميّ المنعقد في لاهور والداعم لحقّ الفلسطينيّين[70]، وخطابُ البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم في مؤتمر القمَّة الإسلاميّ المنعقد في الرياض سنة 1981[71]. وفي ذلك البيان، يعلن المجمع بوضوح دعوتَه إلى نبذ العمل السياسيّ الطائفيّ وأيّ كيان مسيحيّ في لبنان. ويشدّد على ما يأتي:

«لقد أوضحنا في لاهور، وفي المحافل الكنسيَّة في الخارج، أنَّنا نُنادي بفلسطينيَّة القدس، ولا نكتفي بحمايات للأماكن المقدَّسة كان واضعو المعاهدات الدوليَّة يذكرونها لمَّا كان الأجنبيّ مسيطرًا على فلسطين. لكنَّ النضال الفلسطينيّ أثبت للعالم أنَّ القدس قلبُ فلسطين النابض. وإذا تبنَّينا فلسطين العظيمة تبنّيًا صادقًا، تهون التضحياتُ في سبيلها. ولعلَّ

(70) وممَّا جاء في كلمة البطريرك إلياس الرابع في لاهور: «وإنَّ ترابها، إذا انعتق بالعدل وللعدل بعد مجاهدةٍ موصولة، إنَّما هو مصدرُ بركاتٍ للإنسان الجديد الذي سيظهر في عالمنا، لرفع الظلم عن أرضه ونفسه... إنَّ هذا الشعب لا يزال حيًّا نابضًا مكافحًا بغية الرجوع. وإنْ كان من عودة حقّ فهي له، لأنَّه بذلك يكون قد التحق بمَنشأه واستقرّ في بيته... إنَّ الصهيونيَّة أتت بانكفاءٍ عنصريٍّة، وعنجهيَّةٍ عسكريَّة، وإجلاء السكَّان.» نشرة بطريركيَّة الروم الأرثوذكس الصادرة في آذار 1974، متوافر على الفايسبوك:
/https://www.facebook.com/Patriarch.Elias.IV/posts/612416992127341

(71) ممّا جاء في كلمة البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم: «القدس لأهلها لا للعنصريَّة. فالعنصريَّة في القدس ـ كما هي في كلّ مكان ـ لطخة في جبين الحقّ والعدالة.»
«البطريرك إغناطيوس الرابع زار المملكة أيضًا وشارك في أعمال القمّة الإسلاميّة منتصرًا للبنان،» النهار، 2017/11/3.

أعظم ما في لبنان من رساليَّة اليوم يقوم على أنْ يتجنَّدَ بكامل طاقاته في سبيل قضيَّة هي مفتاحُ قضايانا. وإيماننا راسخ بأنَّ فلسطين مستعادة لسكَّانها الأصليِّين قدرةٌ للعرب»[72].

ومن يعرف أجواء 1975 في لبنان يفهم جرأة رسالةٍ كهذه وعمقها، ومدى قناعة من كتبوها بضرورة الالتزام برفع الظلم عن الفلسطينيِّين.

لكنَّ هذه النبرة خفتتْ مع خفوت مركزيَّة القضيَّة الفلسطينيَّة. وهذا الخفوت تسبَّب به، من بين أمورٍ أخرى، اتِّفاقُ أوسلو الذي لم يخدع المفاوضين الفلسطينيِّين فحسب، وإنَّما الوعيَ العربيَّ نفسَه أيضًا. فحاليًّا، لا يأتي المجمعُ الأرثوذكسيُّ الأنطاكيّ على ذكر فلسطين في بياناته إلَّا بشقّ النفس. لكنْ يبقى «المزاجُ» الأرثوذكسيّ العامّ مناهضًا لدولة الاحتلال[73]، مدعومًا من مواقف تاريخيَّةٍ بارزةٍ لوجوه رسميَّة ولاهوتيَّة تركتْ بصمتَها في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيَّة الأنطاكيَّة طوال القرن العشرين، أبرزُها المطران جورج خضر (أحدُ مؤسِّسي «حركة الشبيبة الأرثوذكسيَّة»)، والدكتور كوستي بندلي (أحدُ أبرز قادة الحركة نفسها)؛ وقد رفضا معًا أيَّ تسويغٍ لاهوتيٍّ مسيحيّ لقيام دولة الاستيطان، وما يزال هذا هو موقفَ الكنيسة الأرثوذكسيَّة حتى اليوم.

• فالمطران جورج خضر، الذي تنحَّى مؤخَّرًا عن مطرانيَّة جبل لبنان لبلوغه سنًّا متقدِّمةً، تطرَّق مرارًا إلى القضيَّة الفلسطينيَّة، وجُمعتْ مقالاتٌ له في كتاب بعنوان: فلسطين المستعادة (1969)، يرفض فيها

---

(72) «بيان المجمع الأنطاكيّ المقدَّس 1975،» مجلَّة النور، 1، 1984، ص 19.

(73) لا نستند إلى استبيان علميّ في الموضوع، لكن هذا ما نلاحظه في الكنيسة الأرثوذكسيَّة.

وجودَ الكيان الصهيونيّ تحت أيَّة ذريعة، لأنَّ دولة الاستيطان «حُبِلَ بها بالإثم ووُلِدَتْ في الخطيئة» كما قال غيرَ مرَّة. وبقيتْ تلك الدولةُ مرفوضةً لديه أخلاقيًّا وروحيًّا لأنَّها كيانٌ قائم على الظلم، ولا مصالحة مع الظلم. وللمطران خضر صورةٌ صافيةٌ عن حقيقة المطامع الصهيونيَّة؛ فهو يرى أنَّ شعبَ دولة الاستيطان:

«يتكلَّم على التطبيع، أيْ على التداخل في ما بيننا، غير أنَّ فلسفتَه كلّها هي ألَّا يعيشَ بالمساواة في الكرامة بيننا وبينه. ولذلك كان مضمونُ التطبيع عنده أن يبقى مسيطِرًا؛ أي أنَّ رغبتَه الحقيقيَّة الظاهرة في كلِّ النصوص الصهيونيَّة أنْ يسخِّرَنا لمجده، لتفوّقِه، لاستغلالِه إيَّانا. ويستعمل كلمة حضاريَّة، 'التطبيع،' وهي كلمةٌ حقٌّ عنده يُراد بها باطل. هناك حالةٌ يمكن التطبيعُ معها، هي حالةُ سقوط الفلسفة الصهيونيَّة... فإنْ لم تسقط الصهيونيَّة، تكون الدولةُ العبريَّةُ على موقفها الإقصائيّ الصميميّ للعرب، وتكون العلاقاتُ بيننا وبينها حلولًا ترقيعيَّةً، هي نهايتُنا نحن على المستوى الحضاريّ والإنسانيّ، ولو بقيتْ على الخريطة رقعةٌ تُسمَّى فلسطين. والهزالة التي تكون عليها فلسطينُ هذه ستنتشر سرطانًا في كلِّ الجسم العربيّ»[74].

ويرفض خضر تصنيفَ دول الغرب للمقاومين بالـ «إرهابيِّين». لذلك يكتب أنَّ «الأكذوبة الكبرى تقضي بأنْ يصنَّف الفلسطينيّ، الفقير، المقهور وحده في هذه البقعة من العالم، إرهابيًّا»[75]. ويرى أنَّ القداسة «ليست للأماكن الدينيَّة ولكنْ لشعب فلسطين»[76]. وعلى الرَّغم من إيمانه بالوسائل اللاعنفيَّة، فإنَّه يقترب من الإقرار بضرورة النضال العنفيّ عندما

(74) المطران جورج خضر، «العرب» النهار، 2002/3/30.

(75) خضر، «الميلاد والإرهاب» النهار، 2001/1/22.

(76) خضر، «غزّة» النهار، 2009/1/3.

يشيد بالمناضلين الفلسطينيّين: «من يحاسب هذا 'الوحش الطالع من الهاوية' الذي انقضَّ على أهل نابلس ورام اللّـه وبيت لحم وسواها؟ أيُّ جاورجيوس ينقذ فلسطينَ العذراءَ من التنّين؟ ستقوم فلسطين ليس فقط بمقادسها، ولكنْ بمجاهديها الميامين»[77].

هذا، ويرفض المطران خضر «حلَّ» الدولتيْن، ولا يقبل به، إلّا إنْ لم يكن من بديلٍ حاليًّا، على أن يتمّ السعيُ لاحقًا لتحرير فلسطين: «أنا لستُ مع الدولتيْن إلى الأبد. لستُ مع الثنائيَّة. مشتهى قلبي أنْ أرى فلسطينَ مُستعادةً، ولكنْ قد يتطلَّبُ هذا مراحلَ وجهودًا شاقَّةً وكلمةً واحدةً للعرب»[78]. ويجزم: «لا تنتهي القضيَّةُ بترتيب البيت العربيّ في فلسطينَ مصغَّرةٍ خجولةٍ هزيلة. المسألة ليست في إنشاء هذا الكيان، ولكنْ في اعتراف الفلسطينيّين أو عدم اعترافهم بالدولة اليهوديَّة.... إذا تضمَّن إنشاءُ الدولتيْن تبادلًا ديبلوماسيًّا بينهما، انتهت القضيَّةُ الفلسطينيَّة. لإسرائيل أنْ تبقى على مستوى الواقع، لا على المستوى الحقوقيّ (de jure)، ليس فقط لأنَّنا نتمنَّى أنْ تتوحَّد كلُّ أرض فلسطين التاريخيَّة، ولكنْ لأنَّنا نُنْكر الإيديولوجيا الصهيونيَّة»[79].

• أمَّا اللاهوتي الدكتور كوستي بندلي، فقد قام بجهدٍ فكريّ كبير لنسفِ أيِّ أساسٍ لاهوتيٍّ يدعم وجودَ دولة إسرائيل. يوضح بندلي استنادًا إلى قراءة لاهوتيَّة مسيحيَّة أنَّ عبارة «شعب اللّـه» تعني أنَّ هذا الشعب عليه أن يستمدَّ من اللّـه معنى وجوده وغايته[80]؛ فـ«الاختيار» ليس المقصودُ به

(77) خضر، «دخول يسوع إلى أورشليم» النهار، 2002/4/24.

(78) خضر، «ماذا بعد غزّة؟» النهار، 2009/1/24.

(79) خضر، «غزّة»، مصدر سبق ذكره.

(80) كوستي بندلي، إسرائيل بين الدعوة والرفض، لبنان: منشورات النور، 1985، ص 21.

إعطاءَ صكّ استعلاءٍ على باقي الشعوب، وإنَّما هو اختيارٌ من اللّـه لمجموعةٍ يريدُها أن تَخدمَ مقاصدَه، التي هي جمعُ الإنسانيَّة في عائلةٍ واحدةٍ للّـه.

إلَّا أنَّ الأمور بعد المسيح ليست كما قبله. فالمسيح أسَّس شعبًا جديدًا للّـه، هو الكنيسةُ العاملةُ على توحيد البشر. الكنيسة، بحسب بندلي، «هي شعبُ اللّـه المختار الجديد، المدعوُّ إلى تتميم الدور الذي أخفق إسرائيل القديمُ [العبرانيُّون] في الاضطلاع به...»[81]. الكنيسة، شعبُ اللّـه الجديد، هي الجماعة العاملة على تحويل الأرض إلى مكانٍ ينشأ فيه الملكوت، أيْ إلى عالمٍ يتجسَّد فيه العدل وينتفي عنه الظلم، ويتجسَّد فيه التعاضدُ والمساواةُ وتنتفي عنه العنصريَّةُ والسلب ـ سلبُ الأرض وسلبُ الكرامة الإنسانيَّة.

ويوضح بندلي أنَّ «أرض الميعاد الحقيقيَّة... إنَّما هي الأرضُ بكاملها، المدعوَّةُ أنْ تتحوَّل إلى ملكوت اللّـه، أيْ إلى عائلةٍ واحدة... يملك فيها اللّـه»[82]. هي الملكوت الآتي والمتجسِّد بشكلٍ غير كاملٍ، اليوم، وكلَّ يوم.

وبهذا يسحب بندلي الذرائعَ اللاهوتيَّةَ ممَّن يودّ أن يستخدم كتابَ المسيحيِّين المقدَّس (الذي يتضمَّن كتابَ العهد القديم اليهوديّ)، من أجل التنظير للاستيطان القائم في فلسطين.

• هذا، ولا تزال الكنيسةُ الأنطاكيَّة الأرثوذكسيَّة تُنتِج لاهوتيِّين وكتَّابًا في خطّ خضر وبندلي تجاه فلسطين. من هؤلاء الأب الدكتور

(81) المصدر نفسه، ص 71.

(82) المصدر نفسه، ص 73.

جورج مسّوح، المعروف في الوسط الثقافيّ والكنسيّ في لبنان وسوريا[83]؛ والدكتور أسعد قطّان[84]؛ والدكتور نقولا أبو مراد[85]؛ وكاتبُ هذه السطور[86]. ويشتركون جميعُهم في كونهم ينتمون إلى «حركة الشبيبة الأرثوذكسيَّة» التي أسّسها خضر مع مجموعة من الشباب السوريّين واللبنانيّين سنة 1943[87].

ج ـ ملاحظات على الواقع السياسيّ

برزتْ مؤخَّرًا مواقفُ لبعض السياسيّين المسيحيّين في لبنان «دفاعًا» عن القضيَّة الفلسطينيَّة، إلّا أنَّ أصالةَ هذا الدفاع يشوبها الكثيرُ من الشكّ؛ فمن يتكلَّم دعمًا للقضيَّة الفلسطينيَّة، ولكنَّه يتكلَّم بعنصريَّةٍ على غيرهم (السوريّين مثلًا)، لا يمكن الوثوقُ بثبات مواقفه العميقة.

ومن جهةٍ أخرى، هناك انغماسٌ لدى بعض السياسيّين المنتمين إلى الكنيسة الأرثوذكسيَّة في العربدة الطائفيَّة. فقد تعالت أصواتٌ سياسيَّةٌ عديدة في السنوات الأخيرة تطالب بـ «حقوق الطائفة»، وهي عبارة مخادعة تسعى في الواقع إلى الدفاع عن مصالح بعض المتنفّذين في

---

(83) https://youtu.be/XgN7M9DB2b8

(84) https://youtu.be/9ScAJUcVxZE

(85) https://youtu.be/ea6GoIKc6hs

(86) https://www.christoelmorr.net

(87) «حركة الشبيبة الأرثوذكسيَّة» هي حركة روحيَّة تسعى إلى نشر تلك التعاليم، وتقوية الإيمان المسيحيّ، وإيجادِ ثقافةٍ تستوحي عناصرَها من روح الكنيسة الأرثوذكسيَّة. وهي تعالج المشاكل الاجتماعيَّة التي تتعلَّق بالمبادئ المسيحيَّة العامَّة، وترفض التعصُّب الأعمى والطائفيَّة السياسيَّة.

http://www.mjoa.org/

الطائفة، وإذا بهم يشتركون «في رقصة الطوائف على أشلاء لبنان»، بتعبير إلياس خوري[88]. وبعد أنْ نبذ كثيرون منهم هذه الرقصةَ الطائفيَّة خلال الحرب اللبنانيَّة، ها هم يخوضونها اليوم مع بقيَّة الطوائف. وفي قلب حمّى الرقصة الطائفيَّة المناهضة للآخر «الغريب»، نسي كثيرٌ من المسيحيِّين أنَّ المسيح يتجلَّى في كلِّ غريب، وأنَّهم مدعوُّون أن يعانقوا يسوعَ ويحبُّوه في كلِّ غريب. ونسُوا أنَّ المسيح طلب إليهم أن يكونوا ملحَ العالم، أن يغيِّروا نكهتَه: فإنْ كانت نكهةُ العالم اليوم طائفيَّةً، فهم مُطالبون بأنْ يكونوا لاطائفيِّين؛ وإنْ كانت نكهةُ العالم اليوم كراهيةَ الغريب، فهم مُطالبون بأن يكونوا حماةً للغريب ومدافعين عنه، لأنَّه ـ كيسوع ـ «لا يَجد مكانًا يُلقي فيه رأسَه».

د ـ الفقر والحرِّيَّة والمساواة

إنَّ أوطاننا تحتاج إلى أُناسٍ يقاومون سياساتِ الموت العنصريَّةَ والقمعيَّةَ، خارجيَّة كانت أو داخليَّة، وذلك من أجل حياة الإنسان وكرامته وفرحه في هذا العالم بالذات. إنَّها تحتاج إلى «تأوين» الإيمان (أي جعله آنيًّا) برؤًى سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ تسعى إلى إرساء بُنى العدالة عوضًا من الظلم، وبُنى المساواة بدلًا من الانقضاض على المغانم القبليَّة الطائفيَّة، وبُنى المشاركة مكانَ الاستئثار، وبُنى الحرِّيَّة والفرح محلَّ العبوديَّة للتمييز العنصريّ أو للبطش الداخليّ.

إنَّ تحدِّي شعوبنا، اليوم وغدًا، هو أن تجمعَ الخبزَ بالحرِّيَّة. فقضيَّةُ الفقر لا تتطلَّب البذلَ والعطاءَ فقط، وإنَّما كذلك تغييرَ البُنى الجائرة

(88) إلياس خوري، «حطام السفينة» السفير، 1986/10/18، ص 9.

(الخارجيَّة والداخليَّة) في المجتمعات. وبالنسبة إلى الموقف من الكيان الاستيطانيّ الصهيونيّ تحديدًا، فإنَّ المبتغى بعد التحرُّر منه هو تحقيقُ الحرِّيَّة بين أبناء الوطن الواحد. فالحرِّيَّة من العدوّ المستوطِن لا تكتمل إلَّا بالحرِّيَّة من أيِّ قامعٍ داخليّ، والخلاصُ من الظلم الصهيونيّ والغربيّ لا يكتمل إلَّا بالخلاص من أيّ ظلمٍ داخليّ، والأمنُ من الاعتداء لا يمكن أن يكون على حساب الحرِّيَّة. فـ «من واجب الحاكم أن يثبّت الحكمَ ويوفِّر الأمنَ والاطمئنان للجميع. ولكنْ لا يجوز له، أيًّا كان نوع الحكم، أن يستبدّ، فيُذِلّ إنسانًا أو يقتله بسبب حرِّيَّته»، كما أعلن مجلسُ البطاركة الكاثوليك بجرأةٍ نبويَّة[89].

أمَّا اليوم، فإنَّ إيمان المسيحيِّين بنزول المسيح إلى الجحيم، ليقيمَ أسرى الموت من الموت، يحتِّم عليهم النزولَ إلى جحيم هذا العالم، وإلى الجحيم الفلسطينيّ بالتحديد. هناك سيجدون مسيحَهم، وسيشاركونه القيامةَ إلى النور والحياة. هذان النزول والقيامة متاحان لكلّ إنسان، وذلك بالالتزام بحركة المقاطعة (BDS)، من أجل القيام نصرة الشعب الفلسطينيّ في توقه إلى الحرِّيَّة والكرامة، والسلام القائم على العدل، والتحرُّر من ظلم نظام التمييز العنصريّ الصهيونيّ وأدواته القضائيَّة والثقافيَّة والماليَّة والأكاديميَّة؛ هذا النظام الذي يقتل الفلسطينيِّين أساسًا ويقمعهم، ولكنَّه يسبي أيضًا إنسانيَّةَ الذين التزموا به فجعلهم جزءًا في آلة قمعه الوحشيّ؛

---

(89) الرسالة الراعوية لبطاركة الشرق الكاثوليك: مسيحيو الشرق اليوم، مخاوف وآمال، الجمعة 3 أغسطس، 2018.
https://www.lpj.org/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AB/?lang=ar

وصولًا إلى وطن فلسطينيّ يجمع بين الخبز والحرّيّة، ويساوي بين بناته وأبنائه[90].

في إطار المشروع التحرّريّ، هناك أمران مهمّان، الأوّل هو تحرير الوعي من احتلال الدعاية الاستعماريّة، والثاني هو إيجاد جواب عن التساؤل حول وسائل التحرّر وإن كان يجب أن تكون عنفيّة أم لا عنفيّة. وعلى هذا سنجيب في القسم الثاني.

(90) يقول المطران خضر: «ولكنْ ماذا بعد التحرير؟ أيّ شكل للدولة هو مسيحيّ حقًّا؟»، ويقول: «يبدو لي أنَّ الدولة العلمانيّة التي تحترم كلَّ دين، وترحّب بكلّ مواطنٍ كفؤ في المنزلة اللائقة بخدمته، هي الأقربُ إلى قلب اللّـه... ولا ننسينَّ أنَّ دولةً للمسيحيّين أو دولةً للمسلمين يمكن أن تكون أبعدَ الكيانات عن الحرّيّة والعدل، وأنَّ لها باسم الدين أن تُبطلَ كلَّ قيمةٍ إنسانيّة، وأن تجعل مجتمعَها سجنًا رهيبًا. الدولة الدينيّة رهيبة جدًّا لأنّنا لا نعرف في التاريخ دولةً كانت حقًّا حكْمَ اللّـه في الأرض، ولكنّنا نعرف دولًا ثيوقراطيّةً يتحكّم بها رجالُ دين، كائنةً ما كانت التسميات...» المطران جورج خضر، الكنيسة والدولة، لبنان: منشورات النور، 1982، ص 39 ـ 40.

القسم الثاني

الوعي والتحرُّر:
نضال عنفيّ أم نضال لاعنفيّ؟

ـ 1 ـ

احتلال الوعي: مثال من دعاية الفصل العنصريّ أثناء مذبحة غزَّة عام 2008[91]

«تعرفون الحقّ والحقّ يحرِّركم» (يوحنّا 8: 32).

إنَّ أثر الدعاية الإعلاميَّة قد يصل إلى ذهن كلّ إنسان، مهما كان قريبًا جغرافيًّا من فلسطين؛ ذلك أنَّ جهلًا بتفاصيل الحقائق يجعله عرضةً لتصديق الكذب المنقول في الإعلام لكونه مَصوغًا بطريقة منطقيَّة مقْنعة. ومع ذلك، فإنَّه يمكن كشفُ الكذب بإيضاح الوقائع. فمثلًا، يمْكن لصهيونيٍّ أن يُعلَن أنَّ «إسرائيل انسحبتْ من غزَّة» ليوحي بأنَّ غزَّة غيرُ مُحتَلَّة؛ ويمكن أن يشير إلى أنَّ صواريخ حماس «تُمطر على جنوب إسرائيل» ليوحي بأنَّ إسرائيل

(91) هذا النصّ مبنيّ على محاضرة أُلقيَت بالإنكليزيَّة في لقاء تثقيفيّ حول غزَّة في مدينة تورونتو الكنديَّة في 2009/1/10، وقد اشترك في تنظيمه تجمُّع «أساتذة من أجل فلسطين» وهو عضو في «التحالف من أجل مناهضة الفصل العنصريّ الإسرائيليّ» الذي أُسّس عام 2008 (http://www.caiaweb.org/faculty/)

http://www.faculty4palestine.ca

تواجه خطرًا ماحقًا على حياة السكّان؛ وأنَّ «من حقّ إسرائيل» من ثم «أنْ تُدافع عن نفسها» وأن تهاجم غزّة ما دامت «حماس لا تعترف بإسرائيل ولا يمكن أن تتفاوض معها». لكنَّ الواقع أنَّ هذه الأقوال كاذبة. وهذا النوع من تحليل الكذب الإعلاميّ سيكون موضوع مقالتنا، معتمدين بشكلٍ أساس على مصادر الأمم المتّحدة ومنظّمات حقوق الإنسان وصحافيّين إسرائيليّين.

ادِّعاء رقم 1: هذه الحرب مشروعة

لكي تكون حربٌ ما مشروعة فيجب أن تكون الملاذَ الأخيرَ لبلدٍ أو مجموعة. وبناءً على هذا المبدأ، أوردتْ مجلّة الإيكونوميست ثلاثة شروطٍ ضروريَّة لتكون حربٌ ما مشروعة: «على البلد أن يكون قد استنفد كلّ الإمكانيّات الأُخرى للدفاع عن نفسه، وأن يتناسبَ الهجوم مع الهدف، وأن يكون لدى ذلك البلد حظٌّ معقولٌ في الوصول إلى أهدافه. لكنَّ إسرائيل، في كلٍّ من هذه الاختبارات، هي على أرض مهزوزة بأكثرَ ممَّا تريد أن تعترف»[92]. فإسرائيل لم تسعَ إلى تجديد الهدنة، بل إلى تدميرها (أنظر رقم 4 لاحقًا)، واستعمالُها المفرط للقوَّة العسكريَّة وللحصار لا يتناسب مع رغبتها المُعلَنَة في «السلام» والحفاظ على حياة المدنيّين، ولم يكن ممكنًا أنْ تُحقّق أهدافها (التي ظلّت على كلّ حال غير ثابتة). وعليه، فإنْ أخذنا بتحليل مجلّة الإيكونوميست وحده، فإنَّ هذه الحرب في الواقع لم تكن مشروعة.

ادِّعاء رقم 2: هذه الحرب ضروريَّة ولا يمكن تجنُّبها

هذا ما قاله إيهود أولمرت بالنسبة إلى الهجوم البرّيّ مثلًا[93]. لكنَّ الباحثة الإسرائيليَّة في علم الاجتماع جوليا تشايتن تُشير إلى أنَّ هذه

(92) The Economist, «Gaza: the rights and wrongs.» Dec 30, 2008. https://www.economist.com/weeklyedition/2009-01-03

(93) Barak Ravid, «Peres: No Gaza truce right now, Hamas needs a 'real lesson'.» Haaretz, Jan 04, 2009. https://www.haaretz.com/1.5058367

«الحرب» خاطئة ولاأخلاقيَّة وتخلق المزيدَ من الحقد[94]. ويضيف فيليب ويلكوكس، القنصلُ السابق للولايات المتَّحدة في القدس المحتلَّة، أنَّها «حرب» «غير ضروريَّة ووحشيَّة»[95]: فقد كانت غير ضروريَّة، لأنَّ حماس كانت تسعى إلى تجديد الهدنة فحسب؛ أمَّا وحشيَّتها فهو ما أثبتته منظَّماتٌ حقوقيَّةٌ ورسميُّون في الأمم المتَّحدة كما سنوضح لاحقًا.

ادِّعاء رقم 3: غزَّة لم تعد تحت الاحتلال؛ فلقد انسحبنا من غزَّة، ولكنَّهم ما زالوا يقصفوننا بصواريخهم. إنَّ إسرائيل تريد السلام، والطرف الآخر هو الذي يريد الحرب

بيْد أنَّ منظَّمة هيومن رايتس ووتش أعلنتْ أنَّها «تعتبر الوضعَ في غزَّة ما يزال وضعَ احتلال بالرَّغم من انسحاب القوَّات الإسرائيليَّة والمستوطنين عام 2005، وذلك لأنَّ إسرائيل ما تزال تتحكَّم بجوِّ غزَّة وبحرها وأرضها، كما تتحكَّم بكهربائها ومياهها ومجاريرها وشبكات اتِّصالها»[96]. ويُعلِّق الناطق باسم الأونروا كريستوفر غانّز قائلًا: «في القانون الدوليّ، هناك مفهوم التحكُّم الفعليّ [وهو]: إذا كنتَ تتحكَّم بجوِّ مكانٍ ما وبأرضه وبحره وحدوده، فأنتَ تحتلّه. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ هناك أرضًا محتلَّة واحدة من وجهة نظر الأمم المتَّحدة. ولهذا فما دام جنديّ إسرائيليّ واحد يحتلّ الضفَّة الغربيَّة، فغزَّة أيضًا مُحتَلَّة»[97].

---

(94) Julia Chaitin, «Darkness in Qassam-Land,» Washington Post, Wednesday, December 31, 2008; Page A15
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/12/30/AR2008123002661.html

(95) BBC World News, Jan 02, 2009; 11:00 p.m. (Toronto)

(96) Human Rights Watch, «Q & A on Hostilities between Israel and Hamas,» December 31, 2008
http://www.hrw.org/en/news/2008/12/31/q-hostilities-between-israel-and-hamas

(97) Amy Goodman, «A Debate on Israel's Invasion of Gaza: UNRWA's Christopher Gunness v. Israel Project's Meagan Buren,» Democracy Now, 2009-01-05
http://www.democracynow.org/2009/1/5/a_debate_on_israels_invasion_of

لا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ الانسحاب من غزَّة لم يكن يهدف إلى السلام، بل إلى تجميد محاولات السلام. فعند سؤال مساعد شارون، دوف فيسغلاس، إنْ كان هدف الانسحاب من غزَّة هو «تجميد العمليَّة السياسيَّة بشكل شرعيّ»، أجاب بوضوح «هذا بالضبط ما فعلناه»، وأردف أنَّ «العمليَّة السياسيَّة رزمةٌ من المفاهيم والالتزامات... هي إقامة دولة فلسطينيَّة مع كلِّ الأخطار الأمنيَّة التي تكمن فيها... هي إخلاء المستوطنات، هي عودة اللاجئين، هي تقسيم القدس. وكلّ هذا قد تجمَّد الآن... المغزى [من الانسحاب] هو تجميد العمليَّة السياسيَّة. وعندما تجمّدها، تمنع قيامَ دولة فلسطينيَّة، تمنع النقاش في موضوع اللاجئين والحدود والقدس»[98]. إذن، فهذان الادّعاءان بأنَّ إسرائيل ترغب في السلام، وأنَّ غزَّة ليست تحت الاحتلال، ساقطَان.

ادِّعاء رقم 4: إنَّ حماس هي التي تسبَّبتْ بانهيار الهدنة التي كانت قائمة

تقول منظَّمة غوش شالوم (كتلة السلام) الإسرائيليَّة «إنَّ التدهور نحو الحرب كان من الممكن والواجب تجنّبُه. إنَّ دولة إسرائيل هي التي خرقت الهدنة من خلال غارة «دقّ النفق» عشيَّة انتخابات الولايات المتَّحدة قبل شهريْن. ومنذ ذلك الحين تابع الجيش [الإسرائيليّ] إذكاءَ نار التصعيد بغاراتٍ وعمليَّاتِ قتلٍ محسوبة، وذلك كلَّما تراجع إطلاقُ الصواريخ على إسرائيل»[99]. وذكَر الصحافيّ روبيرت فيسك بأنَّ «إسرائيل خرقت [الهدنة]، أوَّلًا في 11/4 [2008] عندما قتل قصفُها ستَّة فلسطينيّين، ثم في 11/17

(98) Ari Shavit, «The big freeze,» Haaretz, Oct 10, 2004. https://www.haaretz.com/1.4710587

(99) Gosh Shalom, «The war in Gaza – vicious folly of a bankrupt government,» Dec 29, 2008
/http://zope.gush-shalom.org/home/en/channels/press_releases/1230491211

عندما قتل قصفٌ آخر أربعة فلسطينيّين آخرين»[100]. أمَّا يوري أفنيري، العضوُ السابق في البرلمان الإسرائيليّ، فيقول «إنَّ وقف إطلاق النار [الهدنة] لم ينهرْ لأنَّه، بدايةً، لم يكن هناك وقفٌ حقيقيٌّ لإطلاق النار؛ فالشرط الأساس لأيّ وقف إطلاق نار في قطاع غزَّة يجب أن يكون فتحَ معابر الحدود، [إذ] لا يمكن أن تكون ثمَّة حياةٌ في غزَّة من دون تدفُّقٍ للبضائع... إنَّ هؤلاء الذين قرَّروا أن يُغلِقوا المعابر ـ أيًّا كانت الذريعة ـ كانوا يعْلمون أنْ لا وقف حقيقيًّا لإطلاق النار في ظلِّ هذه الشروط»[101]. وبالفعل، فإنَّ حكومة الاحتلال لم تكن تسمح إلَّا بدخول 20% فقط من البضائع اللازمة للحياة إلى غزَّة خلال الهدنة، كما يذكر جيمي كارتر، الذي يشرح كيف أنَّه خلال محادثاته لتمديد الهدنة «اقترحَتِ الحكومة الإسرائيليَّة بشكلٍ غير رسميّ أنَّها قد تسمح بدخول 15% من الإمدادات الطبيعيَّة»[102]. وهكذا، فإنَّ إسرائيل هي التي سعت بشكلٍ منهجيٍّ إلى انهيار الهدنة وعدم تجديدها.

ادِّعاء رقم 5: حماس تقوم بحفر الأنفاق لتهريب السلاح

تكرَّر هذا الادِّعاء في الإعلام[103]؛ لكنْ إذا كان ممكنًا حصولُ حماس على السلاح عبر الأنفاق، فإنَّ هذه الأخيرة كان لا بدَّ منها من أجل

---

(100) Robert Fisk, «Why do they hate the West so much, we will ask,» The Independent, Jan 07, 2009
http://www.independent.co.uk/opinion/commentators/fisk/robert-fisk-why-do-they-hate-the-west-so-much-we-will-ask-1230046.html

(101) Uri Avnery, «Molten Lead,» Jan 03, 2009
/http://zope.gush-shalom.org/home/en/channels/avnery/1230937462

(102) Jimmy Carter, «An Unnecessary War,» The Washington Post, Jan 09, 2009, A15
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/01/07/AR2009010702645.html

(103) BBC World News, Jan 04, 2009, 9:15 a.m. (Toronto)

تأمين الموادّ الأوّليّة الضروريّة للحياة بعد فرض الحصار الرهيب، إذ «سمحتْ لمليون ونصف مليون فلسطينيّ بالحصول على الطعام والوقود والمساعدات التي كانت تمرّ بإسرائيل» كما يقول الصحافيّ ديون نيسّينباوم[104]. إنّ ضرب الأنفاق هو في الحقيقة تشديدٌ للحصار الإجراميّ، الذي تتواطأ معه الحكوماتُ «الديموقراطيّة»، ثم إنّه من حقّ أيّ شعب يتعرّض للاحتلال والحصار والاضطهاد أن يسعى بكافّة السبل إلى التخلُّص من الوضع اللاإنسانيّ المفروض عليه؛ وقد يلجأ إلى النضال العنفيّ، أو اللاعنفيّ بأسلحةٍ لا تقتل العدوّ، ولكنّها تهزمه (إعلام، مقاطعة، سحب استثمارات، عصيان مدنيّ...). إنّ مشكلة إسرائيل ليست في وجود السلاح، بل في وجهته، وفي رؤية التحرُّر الكامنة وراءه. ما من منطقٍ حقٍّ إنسانيٍّ، وعدالةٍ، وراء مطالبة الشعب الفلسطينيّ بأن يبقى ساكنًا، وألّا يفعل إلّا ما يريده جلّادوه. إنّ أبا النضال اللاعنفيّ غاندي قال، هو نفسُه: «حيثما لا يوجد خيارٌ إلّا بين الجبن والعنف، فإنّه ينبغي حسمُ الأمر لصالح حلّ عنيف»[105].

ادّعاء رقم 6: حماس «تُمطر» صواريخها على إسرائيل

أوّلًا، إنّ كلمة «تُمطر» تُستَعمل للإيحاء بأنّ تهديد «صواريخ» حماس هائل، وأنّ إسرائيل ومدنيّيها مهدَّدون بالموت الوشيك[106]. غير أنّ الواقع

---

(104) Dion Nissenbaum, «Israel prepares possible Gaza invasion», McClatchy-Tribune, Dec. 28, 2008
https://www.mcclatchydc.com/news/nation-world/world/article24517987.html

(105) كوستي بندلي، «نضال عنفيّ أو لاعنفيّ لإحقاق العدالة؟»، منشورات النور، 1988، ص 127.

(106) Shmulik Haddad, «Mortar shells, Qassam rockets rain on Israel's south,» Yediot Ahronot, Dec 06, 2008
http://www.ynet.co.il/english/articles/0,7340,L-3554849,00.html

هو أنَّ تأثير هذه الصواريخ لا يُقارَن بتأثير الهجوم الجوّي والبحريّ والبرّيّ لجيش إسرائيل النظاميّ على سكّان غزّة. فإنْ تسبَّبتْ في السنوات السبع الأخيرة بمقتل سبعة عشر إسرائيليًّا فقط[107]، و«أرهبتْ»، كما ذكر لاري درفنر من الجيروزاليم بوست، «25,000 إنسان في سديروت وضواحيها... فإنَّ إسرائيل، في المقابل، أرهبتْ 1.5 مليون غزّاويّ، وسجنتهم داخل حدودهم الضيِّقة بشكلٍ رهيب، وخنقت اقتصادهم، وقتلتْ وجرحت الآلاف منهم»[108].

ثم إنَّ الترسانة الإسرائيليَّة لا تُقارَن بقدرة حماس العسكريَّة؛ فإسرائيل هي القوَّة العسكريَّة الكبرى في المنطقة، ومن الأكبر في العالم، وتمتلك أسلحة نوويَّة. أضف إلى ذلك أنَّ حماس كانت تسعى إلى تجديد الهدنة، بينما إسرائيل هي التي كسرت الهدنة. وفي هذا الصدد، يوضح جيمي كارتر أنَّ قياديّي حماس «وافقوا أن ينظروا في وقف إطلاق نار في غزَّة فقط [أيْ من دون الضفَّة] شرط ألَّا تهاجم إسرائيل غزَّة، وأن تسمح بدخول المساعدات الإنسانيَّة بشكلٍ طبيعيّ لتوزيعها على الفلسطينيِّين»؛ بل إنَّهم «وافقوا أيضًا على القبول بأيّ معاهدة سلام... شرط أن تحظى بموافقة الأكثريَّة من الفلسطينيِّين في استفتاء»[109].

---

(107) Matthew Brett, «Obama-Gaza: No Surprise,» Jan 04, 2009, Zmag. https:// zcomm.org/category/topic/social-policy/page/339/ OR https://canadiandimension.com/blog/view/obama-gaza-no-surprise

(108) Larry Derfner, «Rattling the Cage: Accept Hamas's offer,» The Jerusalem Post, Dec 24, 2009.
https://www.jpost.com/opinion/columnists/rattling-the-cage-accept-hamass-offer

(109) مرجع سابق: Jimmy Carter, «An Unnecessary War»...

ادِّعاء رقم 7: إنَّ الدفاع عن سكَّان إسرائيل هو واجب إسرائيل الأخلاقيّ

السكَّان في خطر:

«نصف مليون إسرائيليّ هم تحت النيران»: هكذا عَنْوَنَتْ يديعوت أحرونوت أحدَ أعدادها[110]، وصرَّح الناطق باسم الحكومة الإسرائيليَّة بأنَّ «على إسرائيل أن تدافع عن نفسها ضدّ الصواريخ التي تُرهِبُ مدننا الجنوبيَّة»[111]. وبناءً عليه، فإنَّ الهجوم على غزَّة هو واجب إسرائيل «الأخلاقيّ» تجاه سكَّانها. إلَّا أنَّ هذا الادِّعاء ساقط: فقد رأينا كيف خرقتْ إسرائيل الهدنة وسعت بشكلٍ منهجيّ إلى سقوطها؛ كما أنَّ الحكومة الإسرائيليَّة كانت قد خطَّطت لهذا الهجوم على غزَّة قبل ستَّة أشهر من حدوثه، أيْ في وقت سريان الهدنة، ولم يكن ثمَّة إطلاقٌ للصواريخ، على ما تشير هآرتس[112]. ولِمَنْ يظنّ أنَّ إسرائيل كانت تستعدّ عسكريًّا للهجوم على غزَّة في حال خرْقِ حماس للهدنة، فإنَّ تصريحًا لمسؤول أمن أوروبّي عام 2004 يشكِّل أفضل ردّ، إذ يقول: «لقد توقَّعوا [الإسرائيليُّون] الفشل [وقف إطلاق النار]، وبالفعل ضمنوه... كانت هناك استفزازاتٌ [إسرائيليَّة] متواصلة، وانعدامُ خطواتٍ لبناء الثقة، وتصاريحُ [إسرائيليَّة] لا تساعد. إنَّ وزير الدفاع الإسرائيليّ يُعلن علانيةً أنَّ حماس تُعيد تجميع قواها، وأنَّ على قوَّات الدفاع الإسرائيليَّة أن تعدّ ذاتها لهجومٍ ضخم. عندها تبدأ حماس تستعدّ لاحتمالٍ كهذا. بالنسبة

---

(110) مرجع سابق: Tom Segev, «Trying to 'teach Hamas a lesson' is fundamentally wrong,» Haaretz, Dec 29, 2008
https://www.haaretz.com/1.5079438

(111) مرجع سابق: Uri Avnery, «Molten Lead»...

(112) Barak David, «Disinformation, secrecy and lies: How the Gaza offensive came about», Haaretz, Dec 28, 2008. https://www.haaretz.com/1.5078932

إلى إسرائيل يشكّل ذلك دليلًا على أطروحتها الأساسيَّة... إسرائيل تُهاجم، حماس تردّ، قوّات الدفاع الإسرائيليَّة تشعر بأنَّها مُبرَّرة، والهدنة تصبح في خبر كان»[113]. وأهمّ من ذلك كلّه هو أنَّ «الدفاع» عن السكّان، أو أيّ قانون آخر، لا يُبرّر الاستعمالَ غيرَ المتكافئ للقوَّة العسكريَّة واستهداف المدنيّين!

هجوم إسرائيل البرّيّ ردٌّ على هجوم حماس:

هذا الادّعاء أيضًا تردَّد صداه في وسائل الإعلام[114]. أمَّا رئاسة الاتّحاد الأوروبّيّ فزعمتْ أنَّ العمليَّة البرّيَّة «دفاعيَّة، لا هجوميَّة»[115]. لكنَّنا بيَّنّا أنَّ إسرائيل هي التي سعت إلى خرق الهدنة؛ زد على ذلك أنَّه لا يحقّ لأيَّة دولة أو مجموعة أن تخرق القوانين الدوليَّة وأن ترتكب الجرائم. يحلّل ريتشارد فالك، المقرّرُ الخاص للأمم المتَّحدة لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلَّة، الوضعَ على الشكل التالي: «إنَّ الهجمات الصاروخيَّة ضدَّ المدنيّين في إسرائيل غير قانونيَّة. ولكنّ عدم قانونيَّتها لا تُعطي إسرائيل أيّ حقّ، لا كقوَّة احتلال ولا كدولة ذات سيادة، في أن تخرق القانونَ الإنسانيّ الدوليّ وأن ترتكب جرائمَ حرب أو جرائمَ ضدّ الإنسانيَّة، ردًّا على هذه الهجمات»[116]. ويجب أن نتذكّر أيضًا أنَّ إسرائيل هي البادئة بالهجوم بواسطة الحصار القاتل الذي فرضته، ذاك الحصار الذي وصفه

---

(113) ICG Middle East Report, N°21, 26 January 2004, «Dealing with Hamas,» p. 26. https://www.files.ethz.ch/isn/27423/021_dealing_with_hamas.pdf

(114) مثلًا: CP 24 news channel, Jan 03, 2009; 5:30 p.m. (Toronto)

(115) Haaretz Service and Reuters, «EU presidency: Israel ground op in Gaza 'defensive not offensive'», Haaretz, Jan 03, 2009. https://www.reuters.com/article/idUSL2333613

(116) Richard Falk, «Statement by Prof. Richard Falk United Nations Special Rapporteur for Human Rights in the Occupied Territory», UN, Dec 27, 2008. https://newsarchive.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=9427&LangID=E

يوري أفنيري بأنّه استمرارٌ لإطلاق النار؛ وشرح مفاعيلَه ريتشارد فالك قائلًا: «إنَّ تصرُّفاتٍ إسرائيليَّةً سابقةً [للهجوم]، وخاصَّةً الإغلاق الكامل لـ [معابر] الدخول والخروج من قطاع غزَّة، أدَّت إلى نقصٍ حادٍّ في الأدوية والوقود (والطعام)، الأمر الذي أدَّى إلى عدم تمكُّن المستشفيات من تقديم أدوية أو معدَّات مناسبة للجرحى»[117]. ثم إنَّ مقارنة إطلاق الصواريخ بالهجوم الإسرائيليّ على غزَّة يتجاهل «الطبيعة غير المتكافئة للردّ الإسرائيليّ، الذي قتل خلال يومَيْن مئاتِ الفلسطينيّين، ومنهم العديدُ من المدنيّين، بينما لم يُقتَل سوى 17 إسرائيليًّا بصواريخ الفلسطينيّين خلال السنوات السبع الأخيرة»، كما يقول الصحافيّ بول ستريت[118]. من هذا المنظار الواقعيّ، يمكن للإنسان أنْ يرى أنَّ تصرُّف حماس هو ردّ فعل على الهجوم الإسرائيليّ المتواصل منذ التطهير العرقيّ[119] الذي قامت به المجموعاتُ الصهيونيَّة عام 1948، وحتى حصار غزَّة القاتل.

ادِّعاء رقم 8: ماذا كنتم ستفعلون لو أطلق أحدُهم صواريخَه على بيوتكم؟

إنَّه المنطق نفسه الذي اتَّبعه، صيفَ 2006، مندوبُ إسرائيل في الأمم المتَّحدة آنذاك، دان غيللرمان، حين صرَّح بالتالي: «أنتم محقُّون في أنَّنا نفْرط في القوَّة... [لكنْ] إنْ كانت مُدُنُكم تُطلق عليها الصواريخُ كما تُطلَق على مُدُنِنا، فستستخدمون قوَّةً أكبرَ من أيَّة قوَّةٍ نستخدمها»[120]. وقد حاول

---

(117) المرجع نفسه.

(118) مرجع سابق: ...Matthew Brett, «Obama-Gaza...»

(119) Ilan Pappe, «The Ethnic Cleansing of Palestine,» One World Oxford, 2007.

(120) Clyde Haberman, «At Israel Rally, A Word Fails,» New York Times, July 18, 2006, p. B1.

البعضُ خلال الهجوم على غزَّة استمالة المجتمع الأميركيّ متسائلين عمَّا كان سيفعله المواطنون الأميركيُّون لو أنَّ الصواريخ كانت تنهمر على بيوتهم من كندا والمكسيك؟ إلَّا أنَّ هذا الكلام يتجاهل واقعَ الاحتلال: فليس الموضوع أنَّ هناك دولةً فلسطينيَّة تعتدي على دولةٍ أُخرى، بل فلسطينيُّون يعيشون منذ عام 1948 تحت القمع والتعسُّف والخطف والقتل والتهديد وإرهاب الدولة الإسرائيليّ. فكما يُجيب المعلِّقُ دينيس راهكونين «إنْ كانت هاتان الدولتان [كندا والمكسيك] خاضعتيْن للاحتلال أو الحصار، بشكلٍ غير قانونيّ، من قِبَل الولايات المتَّحدة، [وخاضعَتيْن] لـ 60 عامًا من القمع والإخضاع الشرسَيْن؛ وإنْ مَنعتْ، أو أَلْغَت، الولاياتُ المتَّحدة بالقوَّة كلّ محاولات التغيير السلميّ، فعندها تكون أعمالُ هجومٍ كتلك محاولاتٍ مفهومةً، بل مُبَرَّرَةً أيضًا، لاستعادة حرِّيَّة مؤجَّلة بشكلٍ لا يُطاق»[121]. ثم إنَّ هذا التساؤل يتغاضى عن أنَّ إسرائيل، لا حماس، هي التي كسرتْ ستَّة أشهر من الهدنة كما بيّنّا؛ وأنَّ الفلسطينيِّين يعيشون بشكلٍ مستمرّ تحت واقع القصف والقتل الإسرائيليَّيْن.

ادِّعاء رقم 9: هذه حربٌ بين الديموقراطيَّة والإرهاب

حماس هي منظَّمة إرهابيَّة

وهذا مخالف للواقع، وهو أنَّ حماس، كما كتب الصحافيُّ الإسرائيليّ توم سيغيف، «حركة وطنيَّة دينيَّة، ومعظم سكَّان غزَّة يؤمنون بخطِّها»[122].

---

(121) Dennis Rahkonen, «The Truth About Those Hamas Rockets,» Online Journal, Jan 01 2009.
https://dissidentvoice.org/2008/12/the-truth-about-those-hamas-rockets

(122) مرجع سابق: Tom Segev, «Trying to 'teach ...»

إسرائيل لن تتحاور مع منظّمة إرهابيّة، كما أنّ حماس لن تتحاور مطلقًا مع إسرائيل

فلقد صرّح مثلًا ميغن بورن، مستشارُ إحدى المنظّمات الداعمة لإسرائيل، بأنّ «حماس لن تتفاوض أبدًا مع إسرائيل»[123]. ولكنّ الناطق باسم الأونروا، كريستوفر غانّز، يؤكّد أنّه «كانت هناك محادثاتٌ في القاهرة قادت إلى وقف إطلاق نار بدأ في 19 حزيران هذا العام [2008]»[124]. إذن، هذا الادّعاء الكاذب هو مجرّد تبرير للهجوم على الفلسطينيّين، بل ذهبتْ حماس إلى أبعد من مجرّد التفاوض على هدنة، وذلك بإعلانها القبولَ بحلّ الدولتين[125].

إسرائيل هي الديموقراطيّة الوحيدة في الشرق الأوسط

يحتاج هذا الادّعاء المتواصل إلى أن ننقضه بالإشارة إلى بضعة تصرُّفات تدلّ على طبيعة النظام الإسرائيليّ.

إنّ تصرُّف الحكومة الصهيونيّة أثناء العدوان الإسرائيليّ على غزّة كان واضحًا من حيث قمعه للحرّيّات الصحافيّة، إذ منعَتْ حكومة الاحتلال الصحافيّينَ من دخول غزّة[126]، وكما تعلّق منظّمة هيومان رايتس واتش، فقد «كان هناك منعٌ كامل للصحافيّين الأجانب [من الدخول]... إنّ المحكمة

(123) مرجع سابق: Amy Goodman, «A Debate on Israel's ...» ...

(124) مرجع سابق: Amy Goodman, «A Debate on Israel's ...»...

(125) Alain Gresh, «Khaled Mechaal : Nous voulons un Etat dans les frontières de 1967» lundi 22 décembre 2008.
http://blog.mondediplo.net/2008-12-22-Khaled-Mechaal-Nous-voulons-un-Etat-dans-les

(126) كما أعلنت مثلًا: BBC World News, Jan 02 2009; 11:00 p.m. (Toronto)

العليا الإسرائيليّة قد حكمت في 31 كانون الأوّل 2008 بأنّ الحكومة الإسرائيليّة يجب أن تسمح لـ 12 صحفيًّا أجنبيًّا بالدخول إلى غزّة. أمّا الحكومة الإسرائيليّة فقالت بأنّها ستسمح لثمانية صحافيّين بالدخول إلى غزّة كلّما فُتحت الحدود على معبر إريتز، ولكنْ حتى الآن [5 كانون الثاني] بقي المعبر مُغلقًا»[127]. والنظام القضائيّ في إسرائيل يسمح باعتقال حوالى 11,000 فلسطينيّ[128]، ومنهم مَن اعتُقل من دون مجرّد توجيه تُهَم إليه[129]، وبعضُهم نوّابٌ انتخبهم الشعبُ الفلسطينيّ ديموقراطيًّا. أمّا قياديُّو الشعب الفلسطينيّ الطليقون فيُغتالون مع عائلاتهم وجيرانهم، باعتراف المسؤولين الإسرائيليّين العلنيّ، ودون رادع. إنّ هذا الوضع الذي يعيشه الفلسطينيُّون هو من السوء بحيث إنّ إيهود باراك اعترف يومًا لأحد الصحافيّين بأنّه لو وُلِدَ فلسطينيًّا لكان التحق بمنظّمة «إرهابيّة»[130].

وأمّا على المستوى الوزاريّ، فإنّنا نرى وزيرًا، هو ميئير شيتريت، يقترح في اجتماع وزاريّ: «فلنخْتَرْ أحد أحياء غزّة ولْنُسَوِّهِ بالأرض»[131]. ويضيف

---

(127) Human Rights Watch, «Israel: Allow Media and Rights Monitors Access to Gaza: Total Ban on Foreign Journalists Since Offensive Began», Jan 05, 2009. http://www.hrw.org/en/news/2009/01/05/israel-allow-media-and-rights-monitors-access-gaza

(128) Aljazeera, «Israel frees Palestinian prisoners,» Monday, August 25, 2008. https://www.aljazeera.com/news/2008/8/25/israel-frees-palestinian-prisoners-4

(129) B'tselem, «Statistics on administrative detention» http://www.btselem.org/english/Administrative_Detention/Statistics.asp

(130) Charles D. Smith, Palestine and the Arab-Israeli Conflict, 4th ed. (Boston: Bedford/St. Martin's, 2001), p. 490

مذكور عند:

Stephen Shalom, «Question and Answer on Gaza,» January 16, 2009. https://zcomm.org/znetarticle/question-and-answer-on-gaza-by-stephen1-shalom

(131) Attila Somfalvi, «Sheetrit: We should level Gaza neighborhoods,» Yediot Ahronot , Feb 10, 2008 https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3504922,00.html

بعنصريَّةٍ جليَّة: «نحن لا نتكلَّم مع الغزَّاويِّين باللغة التي يفهمونها؛ يجب أن نتكلَّم معهم بالغزَّاويّ لا بالعبريّ»[132].

وما هو أكثر فداحةً من تعليقات هذا الوزير هو تعليقاتُ معظم الصحافة الإسرائيليَّة. فَها إنَّ يديعوت أحرونوت، كما يعلِّق سوماس ميلني في صحيفة الغارديان البريطانيَّة، «تتفاخر بأنَّ عنصر المفاجأة قد زاد من عدد الناس الذين قُتِلوا». واليوميَّة معاريف توافقها الرأيَ: «تركناهم في صدمة ورعب»[133]. وفي عدد يديعوت أحرونوت نفسه، تقول الصحيفة «إنّ القرار بالهجوم يوم السبت كان ضربةً من الذكاء: فليس من المفترض بإسرائيل أن تبدأ حربًا يوم السبت»[134]. أمَّا ناحوم بارنيا، أحدُ الصحافيين الإسرائيليِّين المعروفين، فيعلِّق بأنَّ «التأخير أفضلُ من عدم الفعل... لقد كانت [الحرب] ضروريَّة ليس فقط بسبب الوضع غير المحتمل في القرى المحيطة بغزَّة، ولكنْ أساسًا بسبب الضرر المتواصل لقدرة إسرائيل على الردع»[135]، مُعْلِنًا هكذا بوضوح تفضيله للحرب لتلقين الفلسطينيِّين والعرب «درسًا» يردعهم في المستقبل.

هذا بالإضافة إلى أنَّ «الحرب» نفسها على غزَّة ليست سوى

---

(132) Kol Israel radio, «Amos Oz against Gaza invasion: `Ceasefire with Hamas,`» Feb. 12, 2008. http://www.anjameulenbelt.nl/weblog/2008/02/14/amos-oz

(133) Seumas Milne, «Israel's onslaught on Gaza is a crime that cannot succeed,» The Guardian, Tuesday 30 December 2008. https://www.theguardian.com/commentisfree/2008/dec/30/israel-and-the-palestinians-middle-east

(134) AFP with The Daily Star, The Daily Star, Dec. 29, 2008 http://www.dailystar.com.lb/article.asp?edition_id=10&categ_id=2&article_id=98727

(135) مرجع سابق: Dion Nissenbaum, «Israel prepares possible»

جريمة[136]. وفي هذا الصدد، صرَّح ريتشارد فالك بأنَّ «الغارات الجوِّيَّة الإسرائيليَّة على قطاع غزَّة تمثِّل خروقًا فادحة للقانون الدولي الإنسانيّ... هذه الخروق تتضمَّن: (1) العقاب الجماعيّ [إذ] إنَّ كامل الـ 1.5 مليون إنسان الذين يعيشون في قطاع غزَّة المكتظّ يتعرَّضون للعقاب من أجل تصرُّفات بضعة مقاتلين. (2) استهداف المدنيِّين [إذ] إنَّ الغارات الجوِّيَّة كانت تستهدف مناطق مدنيَّة في واحدةٍ من أكثر قطع الأرض اكتظاظًا في العالم... (3) ردٌّ عسكريّ غير متكافئ»[137]. وحتى في تمُّوز 2007، أيْ قبل أكثر من عام على الهجوم على غزَّة، كانت منظَّمة أوكسفام التي تُعنى بالتغذية قد شرحت المعاناة التي يسبِّبها الحصارُ الإسرائيليّ (قطع المياه، الأمراض...)[138]؛ وقال ريتشارد فالك في 9 كانون الأوَّل، قبل الهجوم الإسرائيليّ على غزَّة: «يبدو أنَّه من الإلزاميّ لمحكمة الجنايات الدوليَّة أن تحقِّق في الوضع، وأن تُحدِّد ما إذا كان يجب على القيادات الإسرائيليَّة المدنيَّة والعسكريَّة المسؤولة عن حصار غزَّة أن تُتَّهَم وأن تُلاحَق قضائيًّا لخرقها القانون الجنائيّ الدوليّ... هذه أزمة إنسانيَّة يفرضها مسؤولون سياسيُّون عن عمد»[139].

إنَّ الوقائع التي ذكرناها توضِّح نوعيَّة الديموقراطيَّة الإسرائيليَّة: إنَّها ديموقراطيَّة سمحتْ في 2009/1/9 للمتحدِّث باسم جيش الاحتلال الإسرائيليّ بأن يعلن أنَّ «اتِّجاه القيادة [هو] أن نقتل أكبر عدد ممكن.»

---

(136) مرجع سابق: Seumas Milne, «Israel's onslaught»...

(137) مرجع سابق: Richard Falk, «Statement by Prof. Richard Falk...»

(138) Oxfam, «Gaza refugees facing massive water cuts, disease», July 06, 2007. http://www.oxfam.org/node/181

(139) Richard Falk, «Gaza: Silence is not an option», UN Press Release, Dec 09, 2008. https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/31DD18391DA1E61E-8525751A004F5006

ويعلّق الصحافيّ الإسرائيليّ جيديون ليفي قائلًا: «حتى لو كان [المتحدّث] يُشير إلى مقاتلي حماس، فإنَّ هذا الاتّجاه ما يزال يثير القشعريرة»[140]؛ ذلك أنّه اتّجاهٌ يُشير إلى الذهنيَّة العنصريَّة القابعة خلف واجهة «الديموقراطيَّة». وهذه العنصريَّة هي التي يُشير إليها الصحافيّ الإسرائيليّ توم سيغيف عندما ينتقد حكومته بقسوة قائلًا إنَّ إسرائيل تضرب الفلسطينيّين «لكي تعلّمهم درسًا.» ويُضيف: «إنّه الافتراض الذي رافق المشروعَ الصهيونيّ منذ نشوئه: نحن ممثّلو التقدُّم والتنوير، بينما العرب تجمّعُ رعاعٍ بدائيّ، وأولادُ جهلة يجب تربيتهم وتعليمهم الحكمة ـ على طريقة الجزرة والعصا»[141]. أمَّا ريتشارد فالك، فاتّهم في حزيران 2007 إسرائيل بالنازيَّة إذ يقول: «هل هو تصريح غير مسؤول ومبالغ فيه أن يقارِنَ المرءُ بين معاملة الفلسطينيّين [من قِبَلِ إسرائيل] وبين التاريخ الإجراميّ للوحشيَّة الجماعيَّة للنازيَّة؟ لا أعتقد ذلك. إنَّ التطوُّرات الأخيرة في غزَّة مُقلقة بشكلٍ خاصّ، لأنَّها تعبّر بشكلٍ جليّ عن نيَّة مقصودة من قبل إسرائيل وحلفائها لإخضاع جماعةٍ بشريَّةٍ كاملةٍ للظروف المهدِّدة للحياة... إنَّ الاقتراح القائل بأنَّ هذا النمط من السلوك يُعتَبَرُ محرقةً قيد التنفيذ هو دعوةٌ يائسةٌ إلى حكومات العالم والرأي العام العالميّ للتصرُّف بسرعة من أجل منع هذه التوجُّهات الحاليَّة نحو الإبادة الجماعيَّة من أن تُتَوَّج بمأساة»[142]. وتتَّخذ تصريحاتُ الكاردينال ريناتو مارتينو، وزير العدل والسلام في الفاتيكان، الوجهة نفسَها حين يُصرّح بأنَّ «الناس غير القادرين على الدفاع عن أنفسهم هم الذين

---

(140) Gideon Levy, «The time of the righteous», Haaretz, Jan 09, 2009. https:// www.haaretz.com/1.5060777

(141) مرجع سابق: Tom Segev, «Trying to 'teach Hamas...»...

(142) Richard Falk UN Special Rapporteur for Human Rights in the Occupied Territory, «Slouching toward a Palestinian Holocaust», June 29, 2007. https:// link.springer.com/chapter/10.1057%2F9780230107922_7

يدفعون الثمن دائمًا. أنظرْ إلى الأوضاع في غزَّة: إنَّها تشبه أكثر فأكثر مخيَّمَ اعتقالٍ جماعيّ»[143]. أمَّا فالك فيتابع، في كانون الأوَّل 2008، نقده الشديد للنظام الإسرائيليّ، ويُلاحظ كيف أنَّ الإدانات المتصاعدة لإسرائيل من قبل «رسميِّين في الأمم المتَّحدة، عادةً ما يكونون حذرين، لم نشهدْ لها مثيلًا منذ نظام الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا»[144].

ادِّعاء رقم 10: أيًّا يكن الأمر، فإنَّ إسرائيل تحارب بأخلاقيَّة وإنسانيَّة

ادَّعى باراك أنَّ الجيش الإسرائيليّ يُحارب بمعايير أخلاقيَّة قصوى[145]. أمَّا أولمرت، فأعلن أنَّ الجيش الإسرائيليّ هو «أكثرُ الجيوش أخلاقيَّة في العالم»[146]: فهو يحذِّر الفلسطينيِّين قبل قصف بيوتهم، ولا يستهدف المدنيِّين عن قصد، بل يتجنَّبهم قدْر الإمكان؛ وكلّ المشكلة هي أنَّ حماس تتَّخذ المدنيِّين دروعًا بشريَّة، وهو ما يتسبَّب بوقوع إصابات بين المدنيِّين. ولكنْ، فَلْنَرَ الآن الواقع خلف هذا الخطاب الإعلاميّ.

إنَّنا نُرسل تحذيرات إلى الفلسطينيِّين قبل القصف

تشير منظَّمة هيومان رايتس واتش إلى أنَّ القانون الإنسانيّ الدوليّ «يفرض على الأطراف المتحاربة إعطاء إنذارٍ مسبَّق فعَّال بالهجمات التي

(143) JPost.com staff and AP, «Gaza resembles concentration camp», The Jerusalem Post, Jan. 8, 2009. (See also, https://www.jpost.com/israel/israel-shocked-at-cardinals-comments)

(144) مرجع سابق: Richard Falk, «Gaza: Silence is not an option»...

(145) Mark Weiss, «Cabinet to endorse legal backing for IDF troops», The Jerusalem Post, Jan. 22, 2009. https://www.jpost.com/israel/cabinet-to-endorse-legal-backing-for-idf-troops

(146) Yaakov Katz, «IDF the Most Moral Army in the World», June 11, 2006. https://www.jpost.com/israel/idf-the-most-moral-army-in-the-world

يمكن أن تؤثّر في المدنيّين، وذلك بقدْر ما تسمح الظروف. ويجب أن يأخذ تقديرُ هذا الأمر في الاعتبار توقيتَ الإنذار، وكذلك قدرةَ المدنيّين على مغادرة المنطقة»[147]. ولكنْ، بحسب ممثّل منظّمة أوكسفام في غزّة، «لا يوجد مكانٌ آمن»، كما أنّ الفلسطينيّين «الذين حاولوا الفرارَ من القتال مُنعوا من مغادرة القطاع»[148]؛ فالواقع الإجراميّ هو أنّ الهجوم على غزّة «هو الصراعُ الوحيدُ في العالم الذي يُمنع فيه السكّانُ من مجرّد الفرار»، على ما أشار أنطونيو غوتيريس، رئيسُ المفوّضيّة السامية للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين[149].

نحن لا نستهدف المدنيّين

هذا ادّعاء يكذّبه الصحافيّون الإسرائيليّون أنفسُهم. يُشير سوماس ميلني في الغارديان مثلًا إلى أنّ «كلّ التقارير تُظهِرُ مصابين من الأطفال والنساء. الأمم المتّحدة تقول إنّ 25% من المصابين هم من المدنيّين، وإسرائيل لا تهتمّ ولم تحاول أن تهتمّ»[150]. وبالفعل، فالأطبّاء المعالجون كانوا يُصرّحون بأنّ «الناس يموتون الآن بسبب نقص المخزون [الطبّيّ]» و«بين المئات [من المصابين] رأينا حتى الآن مُقاتِلَيْن،» وكان الأطفال والنساء يشكّلون في 2008/12/30 حوالى 25% من القتلى و45% من

(147) هيومان رايتس واتش، «سؤال وجواب عن الأعمال العدائيّة بين إسرائيل وحزب اللّه»، 16 تمّوز، 2006.
https://www.hrw.org/ar/news/2006/07/16/230291

(148) Oxfam, «Gaza: Oxfam supported health worker killed and ambulance destroyed in Israeli shelling».
https://www.oxfam.org/en/press-releases/gaza-oxfam-supported-health-worker-killed-and-ambulance-destroyed-israeli-shelling

(149) UNHCR Briefing Notes [United Nations High Commissioner for Refugees], 6 January 2009.

(150) مرجع سابق: Seumas Milne, «Israel's onslaught ...»...

الجرحى[151]. أمَّا في 2009/1/6، فقد قصفتْ إسرائيل مدرسة الفاخورة التابعة للأمم المتَّحدة في غزَّة، قرب مخيَّم اللاجئين في جباليا، والتي تأوي اللاجئين من القصف[152]. وعندما زعمتْ إسرائيل أنَّ القصف استهدف عناصرَ عسكريَّة لحماس في المدرسة أو قربها، ردَّ مسؤولو الأونروا بأنَّهم «واثقون بنسبة 99.9% بأنَّه لم يكن يوجد أيّ مقاتل أو عمل عسكريّ في المدرسة»[153]. وقبل 15 ساعة من قصف مدرسة الفاخورة قصفتْ قوَّاتُ الاحتلال الإسرائيليّ مدرسة «أسماء» الابتدائيَّة في مخيَّم الشاطئ للاّجئين شمال مدينة غزَّة، وقتلتْ 3 من عائلة السلطان[154]. ومَنْ تراه ينسى استهدافات الجيش الإسرائيليّ للمدنيّين في لبنان، التي يذكِّر بها الصحافيّ روبرت فيسك[155]، وهي استهدافاتٌ خلَّفتْ 17,000 قتيل عام 1982 معظمُهم من النساء والأطفال، و1,700 قتيل في مخيّميْ صبرا وشاتيلا تحت وقع أبصار ذلك الجيش وتسهيلاته العسكريَّة ومسؤوليّته القانونيَّة، و106 قتلى في مجزرة قانا عام 1996، وأكثر من 1200 قتيل في قصفه للبنان صيف 2006، حيث ارتكب ذلك الجيش مجزرة مَرْوَحين التي ذهب ضحيَّتها أناسٌ «أُمِروا بأن يتركوا بيوتهم من قِبَل الإسرائيليّين، ثمّ ذُبِحوا بواسطة مروحيَّة إسرائيليَّة»، بتعبير فيسك!

---

(151) BBC. «Casualties rise in Gaza offensive», Jan 06, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7812286.stm

(152) BBC, «Strike on Gaza school 'kills 30'», Jan 06 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7814054.stm

(153) Akiva Eldar, Amos Harel, Amira Hass, Avi Issacharoff and Anshel Pfeffer, «UN rejects IDF claim Gaza militants operated from bombed-out school», Haaretz, 2009-01-07. https://www.haaretz.com/1.5059715

(154) المرجع نفسه.

(155) مرجع سابق: Robert Fisk, «Why do they hate ...»...

هذا الكلام ينفيه الصحافيّ روفين بيداتزور من هآرتس، حين يكتب «إنَّ قوّات الدفاع الإسرائيليّة، التي خطّطتْ لمهاجمة بنايات وأماكن مأهولة من قبل مئات الناس، لم تحذّر هؤلاء مُسبَقًا لكي يرحلوا، وإنّما تعمّدتْ أن تقتل عددًا كبيرًا منهم»[156]. وقد ذكرتْ هآرتس أيضًا أنَّ رئيس الأركان الإسرائيليّ أشكينازي قال «إنَّ استعمال قوّة نار كبيرة أمرٌ لا يمكن تجنّبُه حتى في الأماكن الأكثر اكتظاظًا بالسكّان»[157]، وذلك بحجّة حماية الجنود. وهذا ما سبَّب الفظائع، حتى إنَّ «اللجنة العالميّة للصليب الأحمر اتّهمتْ إسرائيل بالإخفاق في مسؤوليّاتها الدوليّة بعدما واجه فريقها مشاهدَ صادمة. فقد عثر فريق طبّيّ على 12 جثّة في بيت مقصوف [في منطقة زيتون]، وبجانبها 4 أطفال صغار جدًّا، وضعفاء إلى درجة عجزهم عن الوقوف، منتظرين إلى جانب أمّهاتهم الموتى...»، وصرّح بيير ويتّاش رئيسُ هيئة الصليب الأحمر الدوليّ «هذا حادث فظيع. لا بدَّ من أنَّ القوّات العسكريّة الإسرائيليّة كانت على علمٍ بالوضع، ولكنّها لم تُساعد الجرحى. كما أنّهم لم يتركوا لنا، أو للهلال الأحمر الفلسطينيّ، مجالًا لمساعدة الجرحى»[158]. وهذا النقد فريدٌ من نوعه، لأنَّ مؤسّسة الصليب الأحمر تتّخذ عادةً موقفًا حياديًّا من أفرقاء النزاعات. وذكرتْ هيومان رايتس واتش أنَّ «الهجوم على وسط مدينة غزّة حصلَ بعد أن حذّرتْ قوّات الدفاع

(156) Reuven Pedatzur, «The mistakes of Cast Lead», Haaretz, Jan 08, 2009. https://www.haaretz.com/1.5059994

(157) Amos Harel and Avi Issacharoff, «Price of stubbornness over Gaza exit is dead soldiers», Haaretz, Jan 06, 2009

(158) BBC, «Israel accused over Gaza wounded», January 08, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7817926.stm

الإسرائيليَّة سكَّان مدينة غزَّة طالبةً إليهم التوجُّه إلى وسط المدينة»[159]. وأكَّد المحلِّل العسكريّ لدى هيومن رايتس واتش، مارك غارلاسكو، أنَّ إسرائيل «حذَّرت المدنيِّين طالبةً منهم التوجُّه إلى مراكز المدن، و[لكنَّها] قصفتْ في وقتٍ لاحق وسط مدينة غزَّة بسلاحٍ يجب ألَّا يُستخدم أبدًا في المناطق المكتظَّة بالسكَّان»[160].

ولكنَّ حماس تتَّخذ المدنيِّين دروعًا بشريَّة

إنَّ مقاتلي حماس هم من سكَّان غزَّة، وهي من المناطق الأكثر اكتظاظًا على وجه الأرض، كما سبق الذكر. ولهذا، فإنَّهم عمليًّا لا يملكون سوى القتال من داخل مدنهم. وإنْ حدث أنِ اتَّخذ مقاتلو حماس المدنيِّينَ دروعًا بشريَّة بشكل متعمَّد، فذلك أمرٌ يجب أن يُدان. لكنَّ المؤكَّد هو أنَّ الجيش الإسرائيليّ قد اتَّخذ المدنيِّين الفلسطينيِّين دروعًا بشريَّة. فمنظَّمة العفو الدوليَّة ذكرتْ أنَّ «جنودًا إسرائيليِّين دخلوا منازلَ فلسطينيِّين واتَّخذوا فيها مواقع، مُجبِرين العائلات على أن يبقوا في أرض إحدى الغرف، بينما استعملوا بقيَّة المنزل قاعدةً عسكريَّةً وموقعَ قنص؛ وهذا يزيد من نسبة المخاطر على العائلات الفلسطينيَّة المعنيَّة، ويعني أنَّ جنود الاحتلال استَعملوا فعليًّا العائلات الفلسطينيَّة كدروعٍ بشريَّة... وفي الماضي، احتلّ الجنود الإسرائيليُّون بيوتًا فلسطينيَّة، ساجنين ساكنيها عمليًّا، كي يستعملوها مواقعَ رصدٍ

---

(159) Human Rights Watch, «Israel: Stop Shelling Crowded Gaza City: Effect of 155mm Artillery Indiscriminate in Populated Areas», January 16, 2009. http://www.hrw.org/en/news/2009/01/16/israel-stop-shelling-crowded-gaza-city

(160) المرجع نفسه.

عسكريّ وإطلاق نار. وفي حالات أُخرى، أجبروا مدنيّين فلسطينيّين، تحت تهديد السلاح، على أن يدخلوا قبلهم إلى مبانٍ كانوا يخشون أن يُهاجَموا من داخلها»[161].

إسرائيل ليست ضدَّ الفلسطينيّين؛ الفلسطينيُّون هم مثلنا ضحايا حماس

لكنَّ الصحافي الإسرائيليّ توم سيغيف يوضح أنَّ «إسرائيل طالما ظنَّت أنَّ تسبيب الألم للمدنيّين الفلسطينيّين سيدفعهم إلى أن يثوروا على قادتهم الوطنيّين»[162]، ومن ثم فإنَّ استهدافهم نتيجةٌ لسياسة إسرائيليَّة واعية ومقصودة. وهذا ما جعل هآرتس تعَنْوِن أحدَ مقالاتها بالتالي: «إنَّ ضرب غزَّة لا يستهدف حماس، إنَّه يستهدف كلّ الفلسطينيين»[163]، والوقائع على الأرض واضحة: فالطبيب النرويجيّ إريك فوس، الذي يعمل في مستشفى الشفاء، صرَّح بـ «أنَّ مقاتلي حماس لم يكونوا سوى أقلِّيَّة ضئيلة من المصابين الذين أُتي بهم»[164]؛ يُضاف إلى ذلك أنَّ القصف الذي بدأ به جيشُ الاحتلال هجومَه على غزَّة كان المقصود منه أن يكون مُفاجِئًا من أجل إلحاق أكبرِ عددٍ ممكن من القتلى بين المدنيّين؛ فبالإضافة إلى أنَّه بدأ يومَ سبت، فإنَّ إسرائيل، على ما يوضح باراك دافيد من هآرتس،

(161) Amnesty International, «Gaza Civilians Endangered by the Military Tactics of Both Sides», Jan 08 2009.
https://www.amnesty.org/en/latest/press-release/2009/01/gaza-military-tactics-both-sides-endangering-civilians-says-amnesty-inte

(162) مرجع سابق: Tom Segev, «Trying to 'teach Hamas ...»...

(163) Amira Haas, «Gaza strike is not against Hamas, it's against all Palestinians», Haaretz, Dec 29, 2008. https://www.haaretz.com/1.5079330

(164) Hazem Balousha and Chris McGreal, «United Nation Warns of a 'Catastrophe unfolding'», The Globe and Mail, Jan 05, 2009, p. A8.

«تابعتْ إرسال معلوماتٍ مُضَلِّلَة تُعلن فيها أنَّها ستفتح المعابر إلى غزَّة، وأنَّ أولمرت سيقرِّر إنْ كان سينفِّذ الضربة بعد ثلاث محادثات يوم الأحد - أيْ بعد يوم واحد من إصدار الأمر فعليًّا. وقال أحدُ الرسميِّين في وزارة الدفاع إنَّ «حماس سحبتْ موظَّفيها من مراكزها بعد اجتماع مجلس الوزراء [الإسرائيليّ] الأربعاء، ولكنَّ المنظَّمة [حماس] أعادتهم عندما سمعوا أنَّ كلّ شيء قد تأجَّل إلى الأحد»[165].

أمَّا مقرّر الأمم المتَّحدة الخاصّ للغذاء، فقد وجد أنَّ «سوء التغذية الحادّ هو في مستوى الدول الأفقر جنوبَ الصحارى الجنوبيَّة [في أفريقيا]؛ ذلك أنَّ أكثر من نصف العائلات الفلسطينيَّة لا تأكل أكثرَ من وجبة واحدة في اليوم»[166]، و«لا تزال إسرائيل تواصل محاصرتها لغزَّة إلى أقصى حدّ، وتسمح بدخول الكمِّيَّاتِ التي تكفي من الطعام والوقود لـ [مجرَّد] منع المجاعة والأمراض الجماعيِّين»[167]. وصرَّح جون غينغ، رئيسُ بعثة الأمم المتَّحدة للإغاثة في غزَّة، بأنَّ «لدينا كارثة في غزَّة بالنسبة إلى المدنيِّين. الناس في مدينة غزَّة والشمال لا يحصلون على الماء الآن. هذا بالإضافة إلى أنَّهم لا يحصلون على الكهرباء. إنَّهم في فخّ، إنَّهم في صدمة، إنَّهم مُرْهَبون. إنَّ لاإنسانيَّة هذا الوضع، وانعدامَ التحرُّك من أجل إنهائه، يتركانهم مذهولين»[168]. وكلّ ذلك يُشير إلى أنَّ إسرائيل كانت تتقصَّد أذى المدنيِّين وقتل أكبر عددٍ منهم.

---

(165) مرجع سابق: Barak David, «Disinformation...»

(166) مرجع سابق: Jimmy Carter, «An Unnecessary War»...

(167) مرجع سابق: Richard Falk, «Gaza: Silence is not an option»...

(168) مرجع سابق: Hazem Balousha and Chris McGreal, «United Nation Warns of a 'Catastrophe unfolding'»...

ادِّعاء رقم 11: لا توجد أزمة إنسانيَّة في غزَّة

وهكذا، أعلنتْ تسيبي ليفني من باريس أنْ «لا أزمة إنسانيَّة في القطاع، وبالتالي لا ضرورة لهُدنة إنسانيّة»[169]. ومثلها أكَّد أمين عامّ مجلس وزراء الاحتلال أوفيد يهيذكيل الأمرَ عينه[170]. أمَّا الكولونيل موشي ليفي، فقال «إنَّ حماس تحاول أن تخلق مظهر أزمة إنسانيَّة، ولكنْ نحن والمنظَّمات الإنسانيَّة نمنع حدوث ذلك»[171].

غير أنَّ الواقع على الأرض معاكسٌ تمامًا. فقد ذكر كارتر أنَّه لم يكن يدخل غزَّة قبل الهجوم الأخير سوى 20% من حاجات السكَّان. وصرَّحتْ منظَّمة أوكسفام للتغذية أثناء الهجوم بأنَّ «250,000 إنسان لا تصلهم المياه في غزَّة»[172]. وأكَّد كسويل غيلارد، المنسِّقُ الإنسانيّ الأمميّ في الأراضي الفلسطينيَّة، وجود «حالة طوارئ حرجة في قطاع غزَّة. إنَّها، بمطلق أيّ تعريف، أزمة إنسانيَّة، وأكثر»[173]. ومع أنَّ الضابط في جيش الاحتلال أفيتال كيبوفتز أعلن أنَّ «برنامج الغذاء العالميّ توقَّف عن إرسال الغذاء إلى هناك [غزَّة]

(169) Kim Sengupta, Gazans face 'humanitarian crisis' as Israeli raids intensify, The Independent, Jan 02, 2009.
http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/gazans-face-lsquo-humanitarian-crisisrsquo-as-israeli-raids-intensify-1221111.html

(170) Taghreed El-Khodary, «Gaza Hospital Fills Up, Mainly With Civilians», New York times, Jan 04, 2009.
http://www.nytimes.com/2009/01/05/world/middleeast/05gaza.html?em

(171) Rannie Amiri, «What Humanitarian Crisis? Livni's Big Lie», Counter Punch, Jan 09, 2009. https://www.counterpunch.org/2009/01/09/livni-s-big-lie

(172) BBCWorld News, Jan 04, 2009, 6:07 p.m. (Toronto)

(173) AFP, «Israeli guns bombard Gaza in escalation of Hamas war», Jan 03, 2009 https://www.youtube.com/watch?v=aLFSkYMa-_M

لأنَّ مستودعاتهم مليئة حتى القمَّة»[174]، متّهمًا حماس بعدم السماح بتوزيع الغذاء، فإنَّ كريستين فان نيوفينهويسي، ممثِّلةَ برنامج الغذاء العالميّ في الأراضي الفلسطينيَّة، ردَّت بأنَّ المستودعات مليئة إلى أقلّ من النصف[175].

ادِّعاء رقم 12: في النهاية كلّ حربٍ بشعةٌ، ولا بدَّ من أن يسقط ضحايا مدنيُّون في أيَّة حرب

هذا كان لسان حال دان غيللرمان، المندوب الإسرائيليّ السابق في الأمم المتَّحدة[176]. لكنْ أثناء «الحرب» نفسها لا بدَّ من أن يحترم أيّ فريق القوانين الدوليَّة. والحال، أنَّ كلّ ما ذكرناه سابقًا يُشير إلى أنَّ الهجوم على غزَّة لم يكن حربًا، وإنَّما مذبحة، يقوم بها، عن سابق تخطيط، فريقٌ مدجَّجٌ بكلّ أنواع الأسلحة، ضدَّ أُناس ما يزالون يحيون تحت وطأة احتلاله وحصاره. إنَّ المذبحة الأخيرة لم تبدأ بالهجوم في كانون الأوَّل 2008، وإنَّما مع إعلان غزَّة «كيانًا معاديًا» وبدء الحصار في أيلول 2007[177]؛ أمَّا المذبحة الأولى فكانت في أيَّار 1948، عندما تأسَّس نظام الفصل العنصريّ كمشروعٍ استعماريّ على أرض فلسطين على جثث الفلسطينيِّين وأنقاض قراهم.

---

(174) Agence France-Presse, «Israel offensive heightens Gaza humanitarian crisis: aid agencies», Jan 04, 2009.
https://www.abc.net.au/news/2009-01-05/israel-offensive-heightens-gaza-humanitarian/256264
or http://ca.news.yahoo.com/s/afp/090104/health/mideast_conflict_gaza_israel_relief

(175) مرجع سابق.

(176) BBC World News, Jan 04, 2009, 9:15 a.m. (Toronto)

(177) Scott Wilson, «Israeli Panel Declares Gaza a 'Hostile Entity': Strip's Supply of Fuel, Electricity to Be Cut», Washington Post, September 20, 2007; Page A14.
https://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/09/19/AR2007091901156.html

كلّ هذه الادّعاءات تهدف إلى إعماء البصيرة والبصر عن واقع أنَّ ما يحدث ليس حربًا أو دفاعًا، بل هجومٌ ومذبحةٌ منظَّمة، وأنَّ تفادي هذا الهجوم كان ممكنًا لو أرادت إسرائيل ذلك، وأنَّ غزَّة ما زالت تحت الاحتلال وتخضع لمذبحةٍ يوميَّة منذ الحصار، وأنَّ جيش الاحتلال اتَّخذ المدنيّين الفلسطينيّين دروعًا بشريَّة وتعمَّد إيذاءهم، وأنَّ غزَّة معسكرُ اعتقال تُمارَس فيه جرائمُ جماعيَّةٌ تشبه جرائمَ النازيَّة في خلفيَّتها العنصريَّة، وأنَّ النظام الصهيونيّ نظامُ فصلٍ عنصريّ يشبه نظامَ جنوب أفريقيا البائد.

إنَّ الفظائع التي يرتكبها هذا النظام تنبع بالضبط من خلفيَّته العنصريَّة هذه. وهذا ما رآه العديد من الناشطين، والمفكّرين، والمدافعين عن حقوق الإنسان، والرسميّين، ومنهم إسرائيليّون، عندما وصفوا النظام الإسرائيليّ بأنَّه نظام فصل عنصريّ، ومنهم المدَّعي العام الإسرائيليّ السابق ميكايل بن يائير[178]، وناشر صحيفة هآرتس أموس شوكِن[179]، والصحافيّ الإسرائيليّ شاهار إيلان[180]، والمؤرِّخ الإسرائيليّ إيلان بابي[181]، والمطران الجنوب أفريقيّ ديزموند توتو[182]، ورئيس الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة الأب ميغيل

(178) Michael Ben-Yair, «The war's seventh day», Haaretz, Mar 03, 2002. https://www.haaretz.com/1.5237968

(179) Amos Schocken , «Citizenship law makes Israel an apartheid state», Haaretz, June 27, 2008. https://www.haaretz.com/1.4996790

(180) Shahar Ilan, «A wall runs through it», Haaretz, Nov 19, 2007. https://www.haaretz.com/1.4750808

(181) Ilan Pappe, «Citizenship law makes Israel an apartheid state», June 30, 2008.

(182) Alan Cowell, «Tutu criticizes Israel on trip to Holy Land», St. Petersburg Times, Dec 24, 1989.

ديسكوتو بروكمان[183]، ووزير خارجيَّة البرازيل فالتر بومار الذي صرَّح بأنَّه «يكون من المناسب أن تُطَبَّق على الحكومة الإسرائيليَّة المعاملة نفسُها التي كانت قد تلقَّتها حكومةُ الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا»[184].

إنَّ نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ يستدعي مشاركة الحركات الطلَّابيَّة والنقابيَّة والثقافيَّة في العالم في مقاطعة إسرائيل وفرضِ عقوباتٍ عليها وسحب الاستثمارات منها[185]. ويتطلَّب مقاومةً على الصعيد الإعلاميّ لفضح الأكاذيب وكشف الحقائق، ومنها كشفُ وجه العنصريَّة خلف قناع الديموقراطيَّة، وجه حقيقة نظام الفصل العنصريّ. هناك تحرُّرٌ ضروريٌّ للوعي من الاحتلال الدعائيّ.

(183) Miguel D'Escoto Brockman, «At the 57th Plenary Meeting on Agenda Item 16, the Question of Palestine», U.N. Headquarters, 24 November 2008. https://www.un.org/en/ga/president/63/pdf/statements/20081124-palestine.pdf

(184) Cnaan Liphshiz, «Canada schools blasted for ban on anti-Israel 'apartheid' poster», Haaretz, Feb 27, 2009. https://www.haaretz.com/1.5080868

(185) http://www.bdsmovement.net/

ـ 2 ـ

فلسطين: وسائل تحرير عنفيَّة أم لاعنفيَّة؟[186]

«حيثما لا يوجد إلّا خيار بين الجبن والعنف، ينبغي حسم الأمر لصالح الحلّ العنيف» (المهاتما غاندي).

أمام كلّ مذبحة تحدث في غزَّة يعود السؤال حول فاعليَّة الردّ الفلسطينيّ العسكريّ وجدواه. وإن تركنا جانبًا المستسلمين والمتخاذلين، فهناك أُناس يطرحون السؤال بصدق، وهؤلاء ينقسمون إلى فئتيْن: الأولى تقول بأنَّ المفاوضات هي الحلّ، وهو الموقف ذاته الذي اتَّخذته السلطة الفلسطينيَّة، والثانية تنطلق من اعتبارات مختلفة لتقول بأنَّ النضال هو الحلّ. فأين جانب الصواب وجانب الخطأ في كلٍّ من هذين الموقفيْن؟

---

(185) خريستو المرّ، فلسطين: وسائل تحرير عنفيَّة أم لا عنفيَّة؟، صحيفة الأخبار، الإثنين 15 أيلول 2014.

https://al-akhbar.com/Opinion/37892

يمكن الاستزادة من المرجع التالي، الأساس لهذا المقطع: كوستي بندلي، «نضال عنفيّ أم لاعنفيّ لإحقاق العدالة؟»، منشورات النور، بيروت، 1988.

إنَّ الإنسان الذي احتفظ بكرامته الإنسانيَّة، لا يمكنه أن يختار ألَّا يفعل شيئًا تجاه الظلم الذي يقع عليه أو على غيره، لا يمكنه أن يتابع حياته كأنَّ شيئًا لم يكن، لأنَّه لا يرضى بأنْ يكتفي بالأكل والشرب والتناسل واللهو، وإلَّا بقي على المستوى الحيوانيّ للعيش من دون تمييزٍ بين الظلم والعدل، حتّى الحيوانات لا تستسلم بسهولة إلى التدجين أو السّجْن. المقاومة عملٌ إنسانيٌّ يولد عليه الأطفال، الذين يشعلون ثوراتهم الخاصَّة ضدَّ قمع الأهل لهم وعدم احترامهم لهم، ولو اتَّخذت تلك الثورات شكل العصيان و«العناد» والسلبيَّة. بالطبع، على أرض الواقع قد لا يكون الإنسان قادرًا على رفع الظلم في لحظةٍ ما، ولكنَّه يبقى قادرًا دائمًا على المقاومة، ولو كانت مقاومته محصورة في مرحلة ما بالتمسُّك بمبادئَ محدَّدة، وبتعليم تلك المبادئ، وبرفض الانصياع لبعض الأمور الرمزيَّة. لقد كان المناضل نيلسون مانديلا يقول بأنَّه كان يعصي أوامر سجَّانه بأمورٍ بسيطة، إذ كان مثلًا يتباطأ عندما يأمره السجَّان بأن يمشي بسرعة؛ وبهذا العمل البسيط كان يحفظ كرامته كإنسانٍ حرّ. إذًا، انطلاقًا من أنَّه لا بدَّ للإنسان الذي قرَّر أن يعيش إنسانيَّته من أن يفعل شيئًا تجاه الظلم، نطرح السؤال: ما الذي يمكن للإنسان اليوم أن يفعله من أجل الفلسطينيِّين في فلسطين أو في الخارج؟ هل التفاوض هو الحلّ؟ هل النضال بالسلاح هو الحلّ؟ هل النضال اللاعنفيّ هو الحلّ؟

أ ـ مفاوضات أم لا؟

ماذا عن المفاوضات؟ لا شكّ في أنَّه لا بدَّ من التفاوض يومًا ما مع العدوّ أو الخصم. غاندي تفاوض مع العدوّ مرَّاتٍ عدَّة، لكنَّه فعل من دون أن يرمي سلاحه: نضاله اللاعنفيّ. وفشلت مفاوضات وبدأت أُخرى،

ولكنْ كان المحتلّ دائمًا تحت ضغط النضال اللاعنفيّ؛ إلى أن جلس مع العدوّ البريطانيّ ليقرّ العدوّ بهزيمته ويوقف الاحتلال مجبورًا. إنَّ التفاوض بين الضحيَّة والجلَّاد من دون سلاح النضال هو بكلّ بساطة مهزلة، مهزلة إنسانيَّة، ومهزلة سياسيَّة، ومهزلة منطقيَّة، ومهزلة حتى من وجهة النظرة العلميَّة، لأنَّ «تفاوضًا» كهذا يستخدم أدواتٍ نعلم مسبقًا أنَّه لا يمكننا بواسطتها أن نصل إلى نتيجة لمصلحة المظلوم. عندما يجلس صاحبُ حقٍّ إلى مائدة المفاوضات لا يمكنه أن يأتي صِفْرَ اليديْن ليتكلّم.

المفاوضات ليست كلامًا وتبادل حكمة، ولا هي مجرَّد تبادل مُحاججة فكريَّة، ولو أنَّها توسَّلت العقل والمنطق. عندما تأتي الضحيَّة لتتفاوض مع الجلَّاد، بلا وسائل قوَّة تضغطُ بها على الجلَّاد، تكون تأتي للتسليم بشروط الجلَّاد. يجب أن يستخدم صاحب الحقّ وسائلَ القوَّةِ لكي يقبل الظالم بالتراجع عن ظلمه والتسليم بحقوق المظلوم، كما يجب ألّا يرمي وسائل القوَّة بمجرَّد الجلوس للتفاوض، بل عليه أن يظلّ ممسكًا بأساليب القوَّة حتى الوصول إلى الحقوق كاملة. إنَّ المحتلّ الصهيونيّ، ومطلق أيّ محتلّ، لن يتراجع عن احتلاله إلَّا مضطرًّا. بلا قوَّة لا يوجد تفاوض يوجد فقط استسلام، ولو اتَّخذ الاستسلام سنواتٍ ليكتمل. إذ أخذنا مثالًا يوميًّا واضحًا، نرى أنَّه بلا ضغط على أصحاب العمل لا أمل للعمَّال في أيَّة بقعةٍ من العالم بالوصول إلى حقوقهم. هذه مسلَّمة بديهيَّة في عصرنا، وعليها يقوم كلّ العمل النقابيّ. بلا قوَّة لا يمكن الوصول إلى حقوق، ولا حتى إذا انتهج الإنسان «المفاوضات».

في الوضع الفلسطينيّ، ألقت السلطة الفلسطينيَّة السلاح عمليًّا، وحماس كانت بصدد الانضمام إلى مسار السلطة أخيرًا، والسلطة تفاوض منذ خمسة وعشرين عامًا، واعترفت بإسرائيل. مقابل ماذا؟ مقابل توسُّع

المستوطنات، وقضم الأراضي، وتتابع الكذب والتسويف، والاتّهامات الإسرائيليَّة للقيادات الفلسطينيَّة المتعاقبة بعدم الجدِّيَّة، وتسويقها للعالم بأنَّه لا يوجد في الطرف المقابل شريك «سلام». لماذا يتصرَّف الإسرائيليُّون هكذا؟ لأنَّهم يعلمون أنَّ مَن رمى وسائل القوَّة وجلس على طاولة «مفاوضات» ليس له أيّ تأثير، بل هو خاض عمليَّة استسلام. وللأسف، إنَّ السلطة الفلسطينيَّة تصرّ حتى الآن أن تكون بلا تأثير، لأنَّها قرَّرت أن تكون بلا قوَّة.

ب ـ ما هي القوَّة؟

لكنْ ما هي القوَّة؟ إضراب العمَّال هو قوَّة لأنَّه تهديد لمصالح أرباب العمل ولأرباحهم، ولهذا يتجاوب أرباب العمل مع العمَّال ومطالبهم. كلّ إنسان يعلم أنَّ وعظ أرباب العمل بما أتى في الكتب المقدَّسة، أو في شرعة حقوق الإنسان، لا يكفي وحده لإحقاق حقوق العمَّال. هكذا أيضًا، فإنَّ المدافعين عن حقوقهم السليبة في فلسطين، الساعين لرفع الظلم والاحتلال، وإلى تفكيك نظام الفصل العنصريّ الصهيونيّ ورميه (وليس رمي اليهود) في قمامة التاريخ، يجب أن يستخدموا وسائل القوَّة من أجل الوصول إلى استرداد حقوقهم، واسترداد أرضهم، للعيش عليها بكرامة. ووسائل القوَّة التي يمكن للإنسان استخدامها في نضاله هي نوعان: وسائل لاعنفيَّة ووسائل عنفيَّة، والفلسطينيُّون بالفعل يستخدمون هذين النوعيْن، فهناك وسائل عنفيَّة مسلَّحة (لا توازي في مطلق الأحوال وسائل المُحتَلّ الصهيونيّ المدجَّج بأحدث الأسلحة وأشدّها فتكًا)، وهناك حركة المقاطعة التي أطلقتها النقابات والمنظَّمات غير الحكوميَّة الفلسطينيَّة منذ ندائها الشهير في تمُّوز عام 2005.

وإنْ كانت المقاومة العسكريَّة معروفةً لدى الجميع، ويعتبرها المجتمع عامَّة تعبير قوَّة، فإنَّ المقاومة اللاعنفيَّة مثل المقاطعة الاقتصاديَّة والأكاديميَّة والثقافيَّة غير معروفة كفاية، وتثير حفيظة البعض، وتهكُّم البعض الآخر. لكنَّ الواقع أنَّ هذه المقاطعات هي فعل قوَّة ولها تأثيرٌ بالغ في العدوّ. إذا أخذنا المقاطعة الاقتصاديَّة مثلًا، فإنَّها تضرب مصالح العدوّ الاقتصاديَّة، وهي لهذا موجعةٌ أكثر بكثير من بعض أوجه المقاومة العنفيَّة غير الفاعلة، والتي يتَّخذ منها العدوّ وسيلة غسل دماغ إعلاميَّة يبرِّر بها أعماله الوحشيَّة لدى الرأي العام في الداخل والخارج. ومن دلائل أهمِّيَّة المقاطعة كوسيلة ضغطٍ وتأثير، القلق الذي أبداه رجال الأعمال الإسرائيليُّون من المقاطعة الاقتصاديَّة، ووضعُ المقاطعةِ على جدول أعمال حكومات العدوّ، وصرف المال والجهد السياسيّ لتلك الحكومات من أجل إيقاف المقاطعة، أو الحدّ من مفاعيلها. وجدير بالذكر أنَّ الخسارة التي كبَّدتها المقاطعة الاقتصاديَّة لاقتصاد الاحتلال بلغت العام الماضي 30 مليون دولار، ويعتبر الإسرائيليُّون تلك المقاطعة «حربًا مستمرَّة» ضدَّ حكمهم.

إنَّ أكثر صواريخ الفلسطينيِّين لا تُخيف بالفعل حكومة الاحتلال، بل تستخدمها فزَّاعة للإسرائيليِّين وللرأي العامّ العالميّ (وهذا الأخير موجود ويتفاعل مع القضيَّة الفلسطينيَّة). ولهذا، محقُّون هم الذين ينتقدون فاعليَّة الصواريخ التي يُطلقها الفلسطينيُّون في ردِّ فعلهم الدفاعيّ، ومدى جدواها بالنسبة لتحقيق هدف التحرير. إلَّا أنَّ المنتقدين لا يقولون لنا ما العمل إذًا؟ هل يرمي الفلسطينيُّون السلاح بالكامل؟ هل يجلسون في بيوتهم ليموتوا تحت ركامها؟ ثم إنَّ هؤلاء ينسون أنَّ إسرائيل التي لا تحسب حسابًا جدِّيًا لصواريخ غزَّة من ناحية قدرتها على التدمير، تحسب ألف حساب لصواريخ المقاومة اللبنانيَّة وقوَّتها العسكريَّة، وكذلك للأثر الاقتصاديّ للصواريخ

التي تُطلقها المقاومة الفلسطينيَّة، فوقوع صواريخ قرب مطار تل أبيب أدَّى إلى امتناع شركات الطيران عن التوجُّه إلى ذاك المطار مُكبِّدًا العدوّ خسائر اقتصاديَّة كبيرة جدًّا. أيّ من نوعَي المقاومة هو الأجدى، إذًا: المقاومة العنفيَّة أم المقاومة اللاعنفيَّة؟

ج ـ المقاومة العنفيَّة

يمكن الانطلاق من خلفيَّاتٍ أخلاقيَّة فلسفيَّة أو دينيَّة لاعتبار قتل الإنسان، مطلق أيّ إنسان، أنّه شرّ، فالإنسان مخلوق على «صورة اللّـه» (مسيحيًّا) والخَلقُ كلّهم «عيال اللّـه» (إسلاميًّا). وبغضّ النظر عن الرؤية الدينيَّة، يمكننا القول بأنَّ الإنسان مولودٌ للحياة، ويجب أن يُتاح له أن يحيا ويخطئ ويعود عن أخطائه، وهذا يفترض احترام حياته وعدم قتله، خصوصًا أنَّ هناك عواملَ كثيرة، غير ذاتيَّة، تؤثّر في انحرافاته. ومن هنا الأفضليَّة هي لعدم قتل الآخر، وللمقاومة اللاعنفيَّة حيثما أمكن، ولمحاكمة المجرمين.

ولكنْ، إنْ استحالت المقاومة اللاعنفيَّة (فلسطينيًّا، برهنت ثورة الحجارة أنَّ المقاومة اللاعنفيَّة ممكنة)، يمكن خوض النضال العنفيّ بالسلاح من أجل التحرير على أساس أنَّه أهون الشرَّيْن: شرّ سحق العدوّ للشعب المعتدى عليه، وشرّ العنف والقتل الذي سيلحق بالعدوّ. وإن كان يمكن لإنسانٍ ما أن يرفض أن يدافع عن نفسه عنفيًّا عندما يتعلَّق الأمر بتهديد له بالذات كشخص، فإنَّه لا يمكنه تبرير رفضه للعنف بشكلٍ قطعيّ، إذا ما كان مسؤولًا عن غيره، إذ يغدو عليه لزامًا أن يحمي حياتهم، انطلاقًا من مبدأ الدفاع عن حياة الإنسان الآخر المُستَضعَف، وإلَّا كان موقفه أقرب إلى الجُبن. لهذا، قد نجد تبريرًا (مسيحيًّا حتى) لاستخدام العنف وقتل المُعتدي، كعمل يُعَبِّر عن مسؤوليَّة الإنسان الإيمانيَّة تجاه عيال اللّـه، وإن

كان البعض يعتبر القتلَ بحدّ ذاته شرًّا، فإنَّ قتل المُعتدي هو شرٌّ لا بدَّ منه، شرٌّ يضطرّنا إليه شرّ المعتدي الذي يدمّر ويسحق كرامة وحياة شعب بكامله.

أواليَّات نفسيَّة تسمِّم النضال العنفيّ

إلَّا أنَّ العنف يحمل في طيَّاته محاذيرَ خطيرةً قد تطيح بالأهداف التي من أجلها استُخدِم. فقد بيَّن علم النفس أنَّ هناك أواليَّاتٍ (mechanisms) نفسيَّةً تساهم في انحراف النضال العنفيّ، من هدف الدفاع عن الحياة، ليتحوَّل إلى عدوانٍ تدميريّ، لا رادع له.

الأواليَّة الأولى التي تساهم في هذا الانحراف، هي ما يدعوه الاختصاصيّ النفسيّ د. كوستي بندلي «محاولة تناسي الإنسان لفنائيَّته»، إذ يتخيَّل الإنسان بأنَّ الموت الذي يهدِّده لا ينبع من وجوده ذاته، وإنَّما من عدوان عدوّه عليه، وبالتالي يوهم نفسه أنَّه بقتله عدوّه يتخلَّص من الموت الذي يهدِّده، ما يدفع الإنسان إلى الانجراف إلى قتل وتدمير الآخر حتّى عندما لا يكون ذلك ضروريًّا، أي حتى ولو لم يكن ذلك في سبيل الدفاع عن حياة أبرياء. وبانسياقه إلى هذا النمط التدميريّ، يشعر الإنسان بأنَّه انتقل من وضع الذي يتذوَّق الموت على يد الآخر إلى وضع ذاك الذي يذيق الموت للآخر، فيتوهَّم بأنَّه غدا سيِّد الحياة والموت، ولكأنَّه أصبح مساويًا للإله بطريقةٍ مشوَّهة. وما يغذّي هذا الانسياق إلى تدمير الآخرين، هو أنَّه يُعيدُ الإنسان إلى وهمه الطفوليّ بالاقتدار الكلّيّ، هذا الوهم الذي بيَّن علم النفس وجوده في الطفل. كما تؤجِّج هذا الانزلاق من مقاومةٍ عنفيَّة هدفها الحفاظ على الحياة إلى رغبةٍ بتدمير الآخر مجَّانًا، الإحباطاتُ الحياتيَّة المختلفة (إحباطات عائليَّة، اقتصاديَّة، إلخ) التي تُشعِرُ الإنسان بهشاشة وجوده، ما قد يدفعه إلى الانزلاق إلى التسلُّط على الآخرين وإلى إبادتهم

تأكيدًا لوجوده، مكتسبًا بذلك شيئًا من الشعور الوهميّ بأنّه كلّيُّ القدرة، وبأنَّ وجوده بالتالي غير خاضعٍ للهشاشة والفناء، فيُسكِتُ هكذا في ذاته رهبةَ الموت.

الأواليَّة النفسيَّة الثانية هي تلك المعروفة بـ «التماهي بالمعتدي»، حيث يستبطن المظلوم موقف المعتدي الظالم، وطريقة تصرُّفاته ويتبنَّاهما. وإذا به يمارس التدمير، ليشعر بأنَّه يتحوَّل من موقف الضعيف إلى موقع «القويّ». وإذا به يتوجَّه بعدوانه إلى مَن هو أضعف منه (عوض أن يتوجَّه إلى المُعتدي)، فيتحوَّل هكذا المظلومُ إلى ظالمٍ، صغيرًا كان أو كبيرًا، لمن هو مظلوم مثله من العدوّ المشترك، وإذا المظلوم يتمثَّل بالعدوّ الذي من المفترض أن يحارب ظلمه ويتسلَّط على الذين يقاتل من أجلهم!

وهناك أواليَّة «الإسقاط» التي ينتهجها الإنسان، بشكلٍ لا واعٍ، لتبرير ظلمه ومواقفه وتصرُّفاته العدوانيَّة تجاه فردٍ أو مجموعة. والإسقاط هو عبارة عن عمليَّة لاواعية، يهرب فيها الإنسان من مواجهة حقيقة مشاعره (عدائيَّة، رغبة بالتدمير) ويضعها في الآخر، موضوع تلك المشاعر. إنَّها عبارة عن تخلُّصٍ من كلّ ما هو سيّء فينا باتّهام الآخرين به. هكذا، وبواسطة الإسقاط، قد يصوِّرُ الإنسان عدوَّه على أنَّه شرٌّ مطلق، ورمزٌ للشرّ، فينزع عنه إنسانيَّته، ويبرِّر بذلك انطلاق عدوانيَّته ضدَّه بلا رادع، لا بل تصير تلك العدوانيَّة مهما كانت وحشيَّة (تعذيب، قتل الأبرياء والأطفال والأمَّهات، حرق الآخرين وهم أحياء) مبرَّرَة على أساس أنَّها خيرٌ مطلق، ودفاعٌ عن النفس، بل وعملُ صلاحٍ.

أخيرًا هناك أواليَّة الأمثلَة (idealization)، وهي نزعة الإنسان إلى المُماهاةِ بين ذاته وبين المثال الأعلى الذي يدين به (دين، فكر، عقيدة، إلخ)؛ بحيث يصير المثال الأعلى مرآةً للذات، يتأمَّل فيها المرء ذاته كما

يتوهَّمها، عاشقًا ذاته بنرجسيَّة. هذه المماهاة بين الذات والمثال الأعلى تَجعلُ الإنسان يتوهَّم أنَّه والمثال الأعلى واحد، وإذا بعشقه للمثال الأعلى مرآةً ينظر بها إلى ذاته وكأنَّها صارت مُطلَقَةً ومثاليَّةً ومُتَخطِّيةً للمحدوديَّات والنقصان. ولهذا، فإنَّ صراع الإنسان الخاضع لأواليَّة الأمثَلَة، يكون أشرس ما يكون مع أُناسٍ ينطلقون من منطلقاته الفكريَّة أو الدينيَّة نفسها، ولكنْ يختلفون معه في الفكر والتصرُّف. شراسته هذه تنبع من كون هؤلاء المنطلقين من مبادئه نفسها، والمختلفون عنه في النتائج (فكر، تصرُّف) التي توصَّلوا إليها، إنَّما يبرهنون أنَّه يمكن أن يكونَ على خطًا، وأنَّ رؤيته للمثال الأعلى كما يفهمه يمكن أن تخضع للنقاش. كلّ هذا يجعله يفقد رؤيته لذاته وكأنَّها مطلقةٌ وعظيمة، ويفقد بالتالي تلك الأرضيَّة الوهميَّة التي ارتكز عليها، بنرجسيَّةٍ، لكي يعلِّي شأنه تجاه مَنْ لا يدينون بمثاله الأعلى، ومن هنا يخوض أشرس الصراع مع هؤلاء الذين اختلفوا معه إذا كانوا منطلقين من الدين نفسه، أو الطائفة، أو المبدأ.

شروطٌ للمقاومة العنفيَّة

من أجل ذلك كلّه، يجب أن يفرض المقاومون، الذين ينتهجون أسلوب النضال العنفيّ، على أنفسهم شروطًا صارمة في النضال، وذلك كي لا تحيد المقاومة عن أهدافها، فالعنف كما رأينا يجنح بسهولة عن هدف التحرير المرسوم، ليصل إلى ممارساتٍ عدوانيَّة تدميريَّة وبالتالي لاأخلاقيّة، باسم الدين، أو باسم «الحرِّيَّة»، أو باسم الحفاظ على «الأمن»، وهو ما رأيناه مرارًا في لبنان، وفي فلسطين، ونراه يوميًّا في سوريا، ومرَّت به ثوراتٌ كثيرة (فرنسا، روسيا).

إنَّ الشرط الأساس الذي يجب أن تُخاض المقاومة العنفيَّة على أساسه هو حصر العنف في إزالة الظلم والقهر، لكي يبقى التركيز على هدف

الدفاع عن الإنسان، وينزع المقاومون من ذواتهم فتيل الانزلاق إلى مواقفَ لاإنسانيَّة. وينتج من هذا الشرط الأساس الشروط الآتية:

1 ـ اجتناب احتقار الخصم وتجريده من إنسانيَّته، خصوصًا أنَّنا نعرف في أيَّامنا أنَّ الظلم الواقع على مجموعةٍ من الناس هو وليد البنى الموضوعة أكثر ممَّا هو وليد فردٍ محدَّد أو أفراد.

2 ـ محاولة كبح الخصم وتجنُّب إبادته ما أمكن.

3 ـ احترام حياة الخصم إلى أبعد حدٍّ ممكن. ولهذا، يجب الامتناع القطعيّ عن قتل الجريح. فعدم احترام حياة الخصم يُفعِّل في الإنسان عدم احترام الحياة الإنسانيَّة بشكلٍ عامّ، ما ينعكس لاحقًا على التعامل مع الخصوم السياسيِّين ذوي الرأي المختلف في المجموعة المقاوِمة.

4 ـ استبعاد كلّ عمل يُقصَد منه التشفِّي والانتقام، لكي لا ينسحب هذا النمط من التفكير على حياة المقاومين وتصرُّفاتهم، فتدمِّرهم إنسانيًّا، إذ يصيرون شبيهين بجلَّاديهم، فيتصرَّفون بنفسيَّة الجلَّاد وخصاله مع شعبهم نفسه، وهو ما شهدناه بين فتح وحماس، وشهدناه في صراعات بلادٍ مختلفة، كسوريا ولبنان.

5 ـ الامتناع عن تعذيب الخصم.

6 ـ الامتناع عن التنكيل بجثَّة الخصم بعد الموت.

7 ـ الامتناع عن تقديس الموت بحدِّ ذاته، خوفًا من جنوح النضال العنفيّ إلى التسلُّط والتدمير.

8 ـ تجنُّب مَذْهَبَةَ العنف وتمجيده، فالعنف وسيلة اضطراريَّة وليست هدفًا، هو وسيلة للتحرير وليس شيئًا يُعتدّ به بحدِّ ذاته. ولهذا

فالتركيز يجب أن يبقى على الهدف، ألا وهو تحرير الإنسان وحماية حياته وكرامته.

د ـ المقاومة اللاعنفيَّة

ماذا الآن عن المقاومة اللاعنفيَّة؟ المقاومة اللاعنفيَّة تكون أفضل وأجدى عندما لا تكون المقاومة العنفيَّة مُمكنة أو ضروريَّة. المقاومة اللاعنفيَّة قد لا تعود مجديةً إذا ما استفحل عنفُ عدوٍّ ساحقٍ (مواجهة النازيَّة لاعنفيًّا بعد استتبابها لم يكن ممكنًا، بينما مواجهة إسرائيل في الضفَّة بثورة حجارة كان ممكنًا)، وهي غير ضروريَّة عند الشعوب غير الخاضعة للاحتلال، فالمناصرون للقضيَّة الفلسطينيَّة في أوروبا والأميركيَّتيْن اليوم، يقاومون إسرائيل بتظاهرات لاعنفيَّة، ويضغطون على حكوماتهم. لقد كان العالم متعاطفًا أكثر مع القضيَّة الفلسطينيَّة عندما كانت ثورة الحجارة قائمة، وهو متعاطفٌ اليوم بسبب فداحة القتل والتدمير الذي يمارسه الاحتلال. ولأنَّ حكومة العدوّ لم تكن قادرةً أن تسحق ثورة الحجارة بقوَّة السلاح، اضطرَّت أن تحاول القضاء عليها بواسطة المفاوضات وخديعة أوسلو، التي انطلت على الجانب الفلسطينيّ، إذ سلَّم بسلاح المقاومة اللاعنفيَّة قبل الوصول إلى حلٍّ نهائيٍّ، وتمكَّن العدوّ هكذا من وضع حدٍّ، ولو إلى حين، لثورة الحجارة، وعملت السلطة الفلسطينيَّة في الضفَّة وكأنَّها شرطةٌ للاحتلال، بذريعة المفاوضات وعمليَّة «السلام». إنّ للمقاومة اللاعنفيَّة، عندما تكون مُتاحة، فوائدَ جمَّةً تتفوَّق فيها على المقاومة العنفيَّة، وهي:

1 ـ تسمح بوجود تجانس بين الوسيلة والغاية.

2 ـ تسمح بمواجهة تفوُّق الخصم بالسلاح، ويبقى ثمن المواجهة اللاعنفيَّة أقلّ من ثمن المواجهة العنفيَّة.

3 ـ تسمح بمشاركة واسعة من الشعب في عمليَّة تحريره ما يسمح للشعب بتبنّي الانتصار والدفاع عنه، وذلك عوض أن تنتصر للشعب مجموعةٌ مسلَّحة صغيرة تنقلب لاحقًا على الشعب باسم الثورة والنضال، فتستأثر بالسلطة ويتحوَّل المنتصرون إلى مجموعةٍ مستغِلَّة وساحقة للشعب.

4 ـ تنزع من جمهور العدوّ ذريعة القمع، وتثير الانقسام في صفوفه:

أ. تفضح الطبيعة اللاعقلانيَّة والجرائميَّة المستترة لنظام المُعتدي.

ب. تُكسب القضيَّة العادلة مصداقيَّةً لدى الأكثريَّة الصامتة أو المتردِّدة.

ج. تنزع الخوف من العدوّ أو الخصم، هذا الخوف الذي قد يدفع العدوّ أو الخصم إلى الاستئساد في الدفاع عن مواقعه.

د. تسبّب الإحراج للعدوّ أو الخصم، ذلك أنَّه من السهل على أيِّ حكم تعسُّفي أن يقمع مقاومة عنفيَّة، يعرف تمامًا كيف يواجهها ويمتلك وسائلها أكثر من المظلوم، من أن يقمع مقاومة لاعنفيَّة لا يعرف ماذا يفعل تجاهها، وإن قمعها بالعنف (اللغة الوحيدة التي يتّقنها) ألَّب الرأي العام عليه، وكان هناك حظٌّ لشقّ صفوفه نفسها تمهيدًا لانهياره.

هـ ـ ما الحلّ؟

إذًا في النهاية، نستخلص أنَّ التفاوض ليس أسلوبًا ناجعًا إن لم يكن يستند إلى عناصر قوَّة تفرض شروطًا على الظالم، وأنَّ القوَّة لا بدَّ من أن تستند إلى النضال وليس إلى الاستكانة، وأنَّ النضال له وجهان عنفيّ ولا

عنفيّ. وإن كان النضال العنفيّ لا بدَّ منه أحيانًا على أساس أنَّه أهون الشرَّيْن، شرّ سحق المظلوم وشرّ قتل الظالم، فإنَّه يجب أن يُخاض في إطار جملةٍ من القوانين الصارمة كي لا ينحرف عن هدفه، ولا ينقلب المحرِّرون إلى ظُلَّامٍ لشعوبهم، أي كي ينجح النضال العنفيّ بالفعل وليس بالشكل فقط. ونستخلص أنَّ النضال اللاعنفيّ (وليس اللاعنف السلبيّ الخاضع)، عندما يكون ممكنًا وضروريًّا، هو الأسلوب المفضَّل والأنجع لأنَّه يوائم الوسيلة والغاية، ويسمح لأوسع قطاعاتٍ من الشعب بالمشاركة في عمليَّة التحرير الذاتيّ، ويسمح بمواجهة التفوُّق العسكريّ للعدوّ، وينزع الخوف من صفوفه فيُضعف من استئساده في الدفاع عن مواقعه، ويشقّ صفوف جمهوره، ويسبِّب الإحراج لحكَّامه.. وأخيرًا، فإنَّ النضال اللاعنفيّ لا تتخلَّله جملةُ المحاذير الخطيرة التي ذكرناها والتي يعاني منها النضال العنفيّ.

هكذا، وعلى سؤالنا الأوَّليّ ما هو الحلّ: تفاوضٌ أم سلاحٌ أم لا عنف؟ نقول إنَّ الجواب يكمن في النضال العاقل الذي يبقى واعيًا إلى جوانب القصور والفائدة في كلِّ أسلوبٍ نضاليّ، لكي يستخدم الأسلوب الأنجع والممكن، أو بالأحرى خليط الأساليب الأنجع والممكنة، للوصول إلى التحرير المُستدام، الذي يستمرّ بعد التحرير، هذا التحرير الذي نراه آتيًا في فلسطين.

وبالنسبة لثقافة المقاطعة هناك التباسات ممكنة حولها، ولذلك لا بدّ من إيضاح بعض جوانبها من خلال دراسة بعض الحالات، وهو موضوع القسم الثالث.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القسم الثالث

ثقافة المقاطعة

ـ1ـ

الإنسان والمبادئ: حملة المقاطعة لإسرائيل نموذجًا[187]

عندما قامت «حملة مقاطعة إسرائيل» في لبنان بحملةٍ تدعو لمقاطعة فيلم «المرأة الخارقة» كون بطلة الفيلم دعمت على الملأ جرائم جيش الاحتلال الإسرائيليّ خلال حربه على غزّة، خالفهم البعض، ودعوا إلى عدم طلب منع الفيلم والاكتفاء بالتوعية ودعوة الناس إلى المقاطعة الطوعيَّة، وأخذوا على المنظِّمين أنَّهم لم يطالبوا بمنع أفلام أخرى لممثِّلات ومخرجات يحملن جنسيَّةً من دولة الاحتلال. وانتقد البعض الآخر منظِّمي الحملة من ناحية المبدأ، معتبرين أنَّ المنع إمَّا أن يكون شاملًا أو لا يكون، إذ إنَّ المقاطعة لا يمكنها أن تكون انتقائيَّة برأيهم، وبما أنَّه لا يمكن، وغير مستحبّ، منع استعمال اختراع ما صُنع في دولة الاحتلال، أو منع دواء اخترعه حامل

(187) خريستو المرّ، الإنسان والمبادئ: حملة المقاطعة لإسرائيل نموذجًا، صحيفة «الأخبار»، السبت 3 حزيران 2017. https://al-akhbar.com/Opinion/231458

للجنسيَّة فيها، فبرأيهم، أنَّ المقاطعة لا معنى لها من الأساس. واتَّهم بعضٌ آخر القائمين بالحملة بالـ «فاشيَّة» بسبب فرض مجموعةٍ صغيرةٍ من الناس المقاطعة على الباقين ـ الأكثريَّة، وضربهم بذلك لحرِّيَّاتهم الشخصيَّة!

لنتمكَّن من نقد هذا الأفكار، وبعضها وجيه، هناك ضرورة ألَّا نخلط الأمور ببعضها بعضًا.

أ ـ هل من تضارب بين المطالبة بمنع ثقافيّ أو أكاديميّ وبين الدفاع عن حرِّيَّة التعبير؟

يمكن للإنسان أن يكون ـ بل يجب أن يكون ـ مدافعًا عن حرِّيَّة التعبير والرأي والفنّ عندما تمنع السلطات في بلد عربيّ ما صحيفةً أو كتابًا أو مجلَّةً (مجلَّة الآداب مثلًا)، وعندما تمنع أو تحاول أن تمنع السلطات اللبنانيَّة مسرحيَّةً («لماذا رفض سرحان سرحان ما قاله الزعيم عن فرج اللّه الحلو في ستيريو 71») أو فيلمًا («تنُّورة ماكسي») أو دعايةً («طرقات الزفت») أو أغنيةً («أنا يوسف يا أبي» مارسيل خليفة) لخدشها الشعور الدينيّ أو ما شابه، وذلك أنَّه لا يمكن لأحد أن ينصِّب نفسه وليًّا على أفكار وثقافة إنسانٍ آخر ومزاجه الفكريّ، إذ ينبغي القبول بالتنوُّع الفكريّ في مجتمعٍ واحد، طالما أنَّ هذا الفكر لا يدعو للكراهية أو يحضّ على القتل أو العنصريَّة أو ما شابه من الأمور التي تجرِّمها القوانين، كما ينبغي، في الكثير من دول العالم.

ويمكنه أيضًا المطالبة بمنع فيلم بطلته تدعو لقتل الفلسطينيِّين، دون أن يشكِّل ذلك تضاربًا. فالإنسان الذي يقاوم منعًا لفكر ومشاعر تعبِّر عن نفسها في كتاب أو مسرحيَّة أو أغنية بمطالبته بحرِّيَّة التعبير، هو في الحقيقة يقف ضدَّ استلاب فكر الناس وحياتهم، ومع حرِّيَّتهم وكرامتهم البشريَّة؛ ولهذا يمكنه أن يقف بالقوَّة نفسها ضدَّ الظالم الذي يُمعن في استلاب

وقمع شعبٍ آخر، دعمًا لحرّيّة ذاك الشعب، بأسلوبٍ آخر ألا وهو أسلوب الضغط المعنويّ والماليّ ـ الاقتصاديّ على هذا الظالم ومَن يدعمه، من خلال منع بيع بضائعه ومنع التعامل مع كلّ ما يشكّل دعمًا ماليًّا وعمليًّا أو حتّى رمزيًّا للظالم.

في الحالتيْن، الإنسان يقاوم الظلم ويقف مع المظلوم، يقاوم القمع الفكريّ والجسديّ ويقف مع المقموع، وإن يكن الأسلوب متعارضًا: مرّة بالمطالبة بالسماح بالتعبير، ومرّة بالمطالبة بمنع «تعبير» الظالم. الهدف يبقى نفسه ألا وهو الدفاع عن حياة الإنسان المظلوم المعنويّة والجسديّة.

المبادئ من أجل الإنسان لا الإنسان من أجل المبادئ. يتكلّم البعض على المنع كأنّه شيءٌ مرفوض من ناحية المبدأ، هذا موقف فيه شيء من عدم الوضوح ويحتاج لشيءٍ من التمييز. الواقع، أنّ المنع مفيد في بعض الحالات. فكما أنّ العنف سيّء إنْ كان يشكّل اعتداءً سافرًا على حياة إنسان (خاصّة الأطفال)، فهو قد يكون ضروريًّا ومبرّرًا عند حادث اعتداء على حياة الناس، ولهذا تحتاج الدول لشرطة وجيش يعملان تحت القانون. وهكذا أيضًا بالنسبة للمنع، فالمنع أمرٌ تمارسه جميع الشعوب، فالمجتمعات تمنع السرقة والقتل وغيرهما من الأمور التي تشكّل اعتداء على الحياة الإنسانيّة.

عندما يقف الإنسان موقفًا مبدئيًّا مع حرّيّة الرأي لا يفعل ذلك لأنّه ضدّ مبدأ المنع بحدّ ذاته، وإنّما لأنّه مع انتعاش حياة الإنسان، وبالتالي ضدّ القمع الفكريّ الذي يمثّله منع كتاب، أو فيلم، أو مسرحيّة، أو مجلّة. عند الدفاع عن حرّيّة التعبير ليس مبدأ رفض المنع هو لبّ القصيد، وإنّما لبّ القصيد هو الحياة الإنسانيّة التي يجب الدفاع عنها.

من هذه الزاوية، يمكننا أن نفهم أنّه عندما تستطيع شفاء إنسان بسبب دواءٍ لا بديل له، اخترعه شخصٌ ينتسب لجهةٍ ظالمة، وتعود أرباح

مبيعاته لمؤسّساتٍ تدعم ظلمًا ما حول الكوكب، فيمكنك أن تسمح لنفسك باستعمال ذاك الدواء، لأنَّه نافعٌ للإنسان المريض. ولكن إن نشرت كتابًا أو روَّجت لنتاجٍ ثقافيٍّ يُروِّج للظلم أو يعود بالفائدة ولو حتّى المعنويَّة على المحتلّ والظالم، أو دعمت مؤسَّسة تدعم ظالمًا، فإنَّ عملك يصبّ في خدمة الظلم؛ ولهذا، انطلاقًا من المبدأ نفسه، مبدأ الدفاع عن الحياة الإنسانيَّة وكرامة البشر، تقاطعين وتقاطع. تقاطعين وتقاطع لأنَّ ذاك الكتاب أو النتاج أو المؤسَّسة يخدم نظامًا ظالمًا، لأنَّه بُرغيّ في آلة قمع إنسانٍ أو شعبٍ، وأنت تهدفين وتهدف أن يحيا الإنسان بكرامةٍ وعدل.

فإنْ لم نقاطع (الدواء) أو قاطعنا (منتجات أُخرى) فللحياة الإنسانيَّة نحن. نحن نقف مع الحياة الإنسانيَّة التي هي أهمّ من المبادئ الصمَّاء (حرِّيَّة تعبير، منع) التي يتمسَّك بها البعض دون تمييز بين الحقّ والباطل، بين متى يجب الدفاع عن الحرِّيَّة ومتى يجب المطالبة بالمنع. مرّ رجل يومًا في فلسطين وقال ما معناه إنَّ المبادئ جُعلت من أجل الإنسان، لا الإنسان من أجل المبادئ، وهذا الرجل المبدئيّ بالأساس، والذي مات متمسِّكًا بمواقفه، ليس بأقلّ من يسوع المسيح. المقاطعة ليست هدفًا بحدّ ذاتها، هي وسيلة تحرير ضمن مجموعةٍ ممكنة من الوسائل، وهي وسيلة شريفة تنسجم فيها الغاية مع الوسيلة.

ب ـ كلّ شيء أو لا شيء!

المقاطعة الثقافيَّة والاقتصاديَّة لإسرائيل هي مقاومة سلميَّة أثبتت فاعليَّةً لا مجال لشرحها هنا، وهي أقلّ ما يمكن أن يقوم به مَن يؤمنون بمبدأ تحرير الإنسان من الظلم. هؤلاء يمكنهم أن يختلفوا على أهمِّيَّة حملة

مقاطعةٍ ما، ولكنْ من غير الحكيم أن يُطالِب الإنسان نفسَه، أو غيره، بمقاطعة كلّ شيء أو لا شيء. فمن الذكاء والحكمة أن تختار المجموعة التي تقود المقاطعة في بلدٍ ما، حملة مقاطعة تراها مناسبة بحسب تقديرها هي للعوامل المحيطة، ومنها عامل أهمّيَّة الموضوع الذي تسعى لمقاطعته، ومدى عودة حملة المقاطعة بالنفع على قضيَّة التحرير الأساسيَّة، حتى ولو كان النفع مجرَّد تسليط الضوء الإعلاميّ على مبدأ المقاطعة، وإيقاظ المواطنين من واقع الاستسلام والتخدير. لا يشكِّل منع الفيلم اليوم خسارةً ماليَّة ضخمة لدولة الاحتلال، ولكنَّه يشكِّل بلا شكّ نصرًا معنويًّا، والوضع المعنويّ أمرٌ لا يُستهان به في الصراعات، كما يعرف تمامًا كلّ من يتابع الألعاب الرياضيَّة بين فِرَقٍ متنافسة، فكيف بين دول!

ثم إنَّ مجموعة المقاطعة في بلدٍ ما ليست لامتناهية الجهد، أو لامتناهية العدد، أو لامتناهية الموارد (لا توجد موارد لامتناهية في أرض الواقع)، وبالتالي فإنَّه من الحكمة والذكاء عدم هدر الجهود المحدودة على حملة قد تكون ـ باجتهاد المعنيِّين ـ غير نافعة حاليًّا، ولا تخدم جهود التحرير في الأوضاع والظروف القائمة في تلك اللحظة. إنَّ الإصرار على خيار «كلّ شيء أو لا شيء» لا يأخذ بعيْن الاعتبار الواقع، وبالتالي فيه الكثير من التسرُّع. من يعتقد بالمقاطعة فليضع يده بيد الآخرين لتنمو قدرات المقاطعة، أو فليقم بحملات مقاطعة ثقافيَّة أو اقتصاديَّة أو أكاديميَّة أخرى يرى أنَّ غيره مقصِّرًا بها. لا بأس من الاختلاف في وجهات النظر على أن يتمّ النقاش بشكلٍ منطقيّ بهدف التعاون على الخير، لئلَّا تضيع الجهود في صراعاتٍ جانبيَّة ومماحكاتٍ شبه هذيانيَّة أحيانًا، تهدر طاقاتٍ مهمَّة. يكفي تشرذم الطوائف، لا نضيفنَّ إليه تشرذم المناضلين، وهم قلائل.

ج ـ هل المنع فاشيَّة؟

أمَّا النقد الذي يعتبر أنَّ نجاح مجموعةٍ صغيرة، بقوَّة القانون، بفرض مقاطعةً على أكثريَّة بلدٍ ما، يجعل منها مجموعةً فاشيَّة تتحكَّم بالحرِّيَّة الشخصيَّة للأكثريَّة (على افتراض أنَّها أكثريَّة، وقد تكون كذلك)، فمن المؤكَّد أنَّه نقدٌ في غير محلّه لسببيْن: أوَّلًا، يستطيع مَن يريد أن يشاهد الفيلم أن يُشاهده على الإنترنت إنْ هو أحبّ بعد بضعة أسابيع، كما يمكنه ـ إنْ أراد ـ أن يسعى إلى إزالة القانون الذي يحظِّر التعامل مع إسرائيل. ثانيًا، لأنَّ من حقّ حتى مجموعة صغيرة أن تستخدم القوانين المتاحة في بلد ما للدفع بخطٍّ ما ولو أثَّر على الأكثريَّة، وأن تخالف هذه الأكثريَّة، وأن تخالف قوانين حاليَّة جائرة لفرض قوانين أكثر إنسانيَّة، وأن تقاوم فكرَ أكثريَّةٍ لحظةٍ تاريخيَّةٍ ما، بقوَّة المنطق والحجَّة والعمل الجادّ والنشر والقوانين المتاحة. من يراجع التاريخ يرى أنَّ الكثير من التقدُّم النوعيّ للبشريَّة قامت به أقلِّيَّة وحاربته الأكثريَّة: كرويَّة الأرض، دوران الأرض حول الشمس، فكرة المساواة بين البشر، حقوق العمَّال، الإخاء بين البشر. عندما قامت تظاهرات بقيادة مارتن لوثر كينغ لتطالب بحقوق الأفارقة الأميركيِّين لم تكن تلك المجموعات المتظاهرة سوى أقلِّيَّة وكانت مخالفة للقانون الرسميّ! ليس من الفاشيَّة أن تقوم مجموعةٌ صغيرة، هي بالضرورة أقلِّيَّة، أثناء قيامها بتظاهرة بمنع المواطنين من السير بسيَّاراتهم. ليس من الفاشيَّة أن تقوم مجموعةٌ صغرى من صحافيِّين بمنع تمرير جداول أعمال الأكثريَّة الفاسدة من السياسيِّين في وسائل الإعلام، والاستمرار بالتحقيق في قضايا فساد. ليس من الفاشيَّة أن تقوم أقلِّيَّةٌ بالضغط على دور السينما لمنع عرض فيلم تقوم ببطولته إنسانة تدعم إسرائيل في قمعها لشعبٍ بأكمله، وقتلها وسجنها للعديد من بناته وأبنائه وأطفاله. بالطبع، هذا لا يعني ألَّا تستمرّ المجموعة الأقلِّيَّة السعي لإقناع الأكثريَّة بمبدأ المقاطعة.

الفرق بين مَنْ يمنع ما يدعم الاحتلال والظلم، ومَنْ يمنع كتابًا أو مسرحيَّة أو فيلمًا لأنَّه يمسّ بمشاعره الدينيَّة أو الفكريَّة هو أنَّ الأوَّل يهدف من خلال المنع إلى الدفاع عن حياة الناس وكرامتهم، وهذا هدفٌ سامٍ ومتعارف عليه أنَّه خير، في كلِّ المعايير الأخلاقيَّة حول العالم؛ أمَّا الثاني، فيهدف من خلال المنع إلى فرض نظامٍ واحد من الرؤية للوجود يجعل البشر يحيون في شبه عبوديَّة. العبرة ليست في ضرورة رفض المنع بشكلٍ مطلق، وإنَّما العبرة في الغاية والهدف من المنع. بالطبع، قد تكون الوسائل قاتلة للأهداف (كأن يمنع الأب ابنه من الحيويَّة لكي «يربِّيه» أو يُخضع حاكمٌ شعبًا للقمع لأنَّه يريد أن «يحميه»)، ولكنْ هذا ليس هو الوضع في حالتنا هذه. في حالتنا، حالة المقاطعة، الوسيلة تنسجم مع الغاية.

إنَّ الحملة التي تطالب بمنع فيلم «المرأة الخارقة» هي حملةٌ شريفة في أهدافها؛ والمنع الذي تسعى إليه مشروعٌ حتى ولو كان غير شرعيّ ومخالفًا للقانون (وهو ليس كذلك في لبنان). أمَّا حملات منع أفلام وكتب فقط لأنَّها تطرح فكرًا مختلفًا عن المتعارف عليه، فكرًا غير عنصريّ ولا يدعو إلى الكراهية، فهي غير شريفة وغير مشروعة حتى ولو كانت شرعيَّة وقانونيَّة.

إن لم تكن هذه الحملة الشريفة والمقاوِمَة لقوى الموت والظلام، لتؤدِّي إلى منع الفيلم موضوع الحملة، فيكفيها أنَّها تكون قد أبقت شعلة النقاش مشتعلة، وخضَّت ضمير العديدين (وحتّى ولو كانوا أكثريَّة)، وهي بذلك تكون قد نجحت وساهمت في التقدُّم نحو النصر.

ـ 2 ـ

الثقافة والمقاطعة: أيَّة علاقة؟[188]

يهاجم الكثيرون في لبنان دعوة مقاطعة فيلم أو حدث فنّي آخر، ليس من باب الاختلاف في صوابيَّة مقاطعة ذاك الفيلم وإنَّما من باب عدم جواز مقاطعة فيلم أو حدث فنّيّ آخر لأنَّ في ذلك تخلُّفًا وظلاميَّة وعودة إلى القرون الوسطى. هذا عدا الذين يعيّرون المقاطعة بتقصيرها في عدم دعوة مقاطعة على حدثٍ قديم، وأولئك الذين يتَّهمونها بمعاداة الحرّيَّة، وأولئك الذين يتَّهمونها في لبنان بالمتاجرة بالقضيَّة الفلسطينيَّة.

لننتهي من موضوع المتاجرة فورًا. عندما تدعو النقابات وعشرات المؤسَّسات الفلسطينيَّة عام 2005 العالم أجمع لدعمها في مقاطعة الاحتلال، لا تعود الدعوة للمقاطعة والعمل عليها موضوعَ متاجرة بالقضيَّة الفلسطينيَّة كما فعلت الأنظمة العربيَّة. كيل الاتّهامات غير مجدٍ ولا ينفع

(188) خريستو المرّ، الثقافة والمقاطعة: أيَّة علاقة؟، صحيفة «الأخبار»، العدد 3378، الأربعاء 24 كانون الثاني 2018. https://al-akhbar.com/Opinion/243681

القضيَّة التي يدَّعي المتَّهمون «حرصهم» عليها. من ينتقدون الحملة بكونها «تتاجر» (لا أحد يقول كيف!)، فليبدأوا عملًا لا «يتاجرون» به، وسنفرح بذلك مهما كان ذاك العمل، مقاطعة أو أيّ وسيلة أخرى يبتكرونها. ليس من الضروريّ أن تكون المقاطعات مركزيَّة، بل أحد أسباب نجاحها هو لامركزيَّتها، وبالتالي عدم تمكُّن أحد من القبض عليها والمتاجرة بها. إنْ أحبّ هؤلاء العون والدعم فلهم من المقاطعين الدعمُ الملموس والمعنويّ؛ أمَّا أن يكيلوا الاتِّهامات غير المسندة بتحليلٍ موزون فأمرٌ لا ينفع ولا يثني العاملين في حقل المقاطعة.

لقد رَدَدْنا على الحجَّة الواهية حول «عدم مقاطعة كلّ شيء» في أكثر من مناسبة، وقلنا إنَّ حملة المقاطعة لا تملك قدراتٍ لامتناهية، وقد تكون لم تتنبَّه إلى حدثٍ آخر كان ينبغي مقاطعته. وقلنا إنَّ كلّ إنسان مدعوٌّ إلى التعاون في حملة المقاطعة، أو أن يشكِّل مجموعةً للمقاطعة مستقلَّة ليكون سبَّاقًا في المقاطعة، إنْ كان هذا هو مبتغاه، عوض التصويب على تقصيرٍ مفترض، وإلّا كان فقط يصوِّب على المقاطعة من باب إضعافها. وقلنا إنَّ المقاطعة لها أن تنتقي ما هو مفيد وما هو فعَّال وما هو عدم انتحاريّ في سعيها إلى المقاطعة الهادفة، وبهذا هي حرَّة في اختيار أهدافها بناءً على تحليلها للواقع، ويمكن لمجموعاتٍ أخرى ممَّن يخالفها التحليل العمل على حملات مقاطعة سهت عنها الحملاتُ الحاليَّة.

طبعًا، هناك من يريد إفشال المقاطعة لأسبابٍ أيديولوجيَّة، لأنَّه منسجمٌ مع مساعي التطبيع مع دولة العدوّ، وهي مساعٍ تنتهجها حكومات (ولا نقول شعب) المملكة العربيَّة السعوديَّة وقطر والبحرين، عدا التطبيع الثابت مع حكومة مصر (في ظلِّ الرئيس المنقلِب كما في حكومة الرئيس المنقلَب عليه). ولكنْ هناك من يصوِّب على حملة المقاطعة في لبنان بكونها تمثِّل فكرًا ظلاميًّا ومتخلِّفًا، وهذا ما نودّ التركيز عليه هنا.

عندما يوقّع المئات والآلاف من أساتذة الجامعات والطلّاب في العلوم جميعها، في مختلف البلاد الأوروبيّة وشمال أميركا وجنوبها، ويدعون إلى المقاطعة الأكاديميّة، هل يتجرّأ واحدٌ من هؤلاء اللبنانيّين وغير اللبنانيّين على أن يتّهم آلاف الأساتذة والطلّاب بالظلاميّة، بينما واحدٌ من هؤلاء الأساتذة في جامعة واحدة من تلك الجامعات (نوام تشومسكي مثلًا) ينتج تنويرًا ثقافيًّا أكثر ممّا أنتجه كثيرٌ من الأساتذة في لبنان وبلادٍ أخرى؟ لماذا لا يتنطّح هؤلاء لنقد «ظلاميّة» تشومسكي؟ كيف يمكن لعاقلٍ أن ينتقد «ظلاميّة» سماح إدريس وهو من عانت مطبوعاتُ دار الآداب التي يُشْرف عليها من سياسات المنع الظلاميّ في دول القهر وممالك القهر؟ أنْ ينتقد إنسانٌ أخطاءً ممكنة لهذه الحملة (ولكلّ عمل إنسانيٍّ ناقص بالضرورة كونه إنسانيًّا) شيء، وأن يتّهمها بالظلاميّة شيءٌ آخر. نحن نكتب لمن يسمع اتّهاماتٍ كهذه وليس لمن يكيلها، لأنّ هذا الأخير يعرف أنّها كذبٌ وافتراء. الموضوع ليس موضوعَ ظلاميّة، الموضوع هو موضوع دفاعٍ عن شعب محتلّ في فلسطين، وبالنسبة إلى لبنان هو موضوع الدفاع عن وجوده من عدوٍّ يهدّد بقصفه، وسحقه، ويتنزّه بطائراته الحربيّة في سمائه بشكلٍ شبه يوميّ، بينما جيش البلاد لا يملك (بقرار سياسيّ) ما يمكّنه من صدّ العدوّ لا برًّا ولا بحرًا ولا جوًّا. الموضوع هو أن تدافع عن وجودك، بما لديك من أسلحة، والسلاح الفكريّ أساسٌ هنا؛ فالفشل مضمونٌ وحتميّ عندما يحتلّ العدوّ وعيكِ ووعيَكَ، لأنّه حينها لن تستخدمَ أسلحةً للدفاع عن بلادك حتى ولو كنت تمتلكها، وتفقد بالتالي أسلحتُك فاعليّتها. إنّ الاحتلال الثقافيّ للفكر هو من أدهى الاحتلالات؛ فاحتلال فكرة «إسرائيل لا تهزم» للفكر وللفضاء الثقافيّ (صحف، مجلّات، أفلام) في الماضي (وهو من الماضي) أعطى تسويغًا نفسيًّا لشعوبٍ بألّا تقاوم، وأعطى تسويغًا للحكومات القمعيّة

(وهي جميعًا كذلك إلى حدٍّ فجّ أو آخر) أن تستكين وتتابع استسلامها، واستغلالها لشعوبها.

القضيَّة هي فعلًا قضيَّةٌ ثقافيَّة ولكنَّها في موقعٍ آخر، ليست هي قضيَّة ثقافيَّة لأنَّها قائمةٌ حول أفلام وفنّ تمثيل وإخراج وتصوير وموسيقى؛ القضيَّة هي ثقافيَّة لأنَّها معركةٌ لحماية وتثبيت ثقافة المقاومة في فكر وسلوك الناس في بلادنا، دفاعًا عن أنفسنا، وعائلاتنا، ووفاءً للأطفال والنساء والرجال الذين قضوا تحت الركام والنار، وتثبيتًا لما جنيناه من انتصاراتٍ على العدوّ، وهي انتصاراتٌ موجودةٌ في لبنان منذ بدايات المقاومة اللبنانيَّة التي رعاها الشيوعيُّون والقوميُّون في الثمانينيَّات، مرورًا بانسحاب عام 2000، وبانتصارٍ جليّ في 2006، ما زلنا ندفع ثمنه مكائدَ كما يجدر بشعبٍ يبني نفسه أن يدفع.

لا يستطيع كلّ إنسان أن يقاوم عسكريًّا، فكيف يشترك في الدفاع عن نفسه وعائلته وبلاده؟ لا يفعل شيئًا! انعدام البديل عند المنتقدين يُثير الاستغراب! ما هو المطلوب؟ ألا نفعل شيئًا؟ أن نشترك في المهرجان العربيّ القائم على التنافس على تعميق الانبطاح أمام العدوّ؟ المقاومة الثقافيَّة والاقتصاديَّة والأكاديميَّة هي خطواتٌ ممكنة وملموسة، يمكن أن يشارك فيها العاطل عن العمل، وتشارك فيها ربَّة المنزل، والعامل اليدويّ والموظَّف ورجال الأعمال، البالغ والمراهق والطفل، ويمكن لكلٍّ هؤلاء أن يفخروا ويشعروا بأنَّهم مالكو كلّ انتصار تحقَّق في الماضي، وأيّ انتصار سيتحقَّق في المستقبل، لأنَّهم عندها يكونون قد اشتركوا في صنعه بمقاوماتهم اليوميَّة الطويلة (خصوصًا الاقتصاديَّة). هذا من شأنه أن يساهم في بناء هويَّة وانتماء، هذا من شأنه أن يساهم بروحٍ معنويَّةٍ عالية يمكن توجيهها أيضًا لمقاومة الاستغلال الداخليّ، والمطالبة باقتصاد منتج يخلق

فرص عمل، والخروج من نظام الاقتصاد الريعيّ الحاليّ. والوجه الآخر للمعادلة هو أنَّ كلّ حركة مقاومة للتعسُّف الداخليّ، اقتصاديًّا كان التعسُّف أم سياسيًّا أم أمنيًّا، من شأنها أن تساهم ببناء روحٍ معنويَّةٍ عالية لمواجهة العدوّ.

هذا كلّه يحتاج لجهدٍ فكريّ وثقافيّ يوضّح ذاته ويتحرَّك، ويتمّ تبنّيه، وتتمّ رعايته، وينمو، أي يحتاج لبناء مشروع ثقافيّ. وهذا هو بالضبط ما تساهم به حركة المقاطعة الاقتصاديَّة والثقافيَّة والأكاديميَّة في بلادنا. الموضوع موضوع ثقافيّ بامتياز، ليس لأنَّه موضوع فيلم أو أغنية أو موسيقى، بل لأنَّه موضوع مقاطعة، أي موضوع ثقافة المقاومة في مواجهة ثقافة الخنوع التي تستلب العقول والروح المعنويَّة، وتحتلّها، وتعطّل أيَّة إمكانيَّة للدفاع عن الذات، وعن الأرض والحياة فيها بكرامة. عندما ذكر الفنَّان الكبير مارسيل خليفة أنَّه يريد الحبّ لا الأرض، حذَّرنا أنَّ الحبّ يحتاج إلى أرض[189]، المقاطعون يريدون الحبّ، ويحبُّون الحياة، ولكنْ لا توجد حياةٌ ينتعش فيها الحبّ إلَّا إنْ قرَّر أصحاب تلك الحياة أن يقاوموا كلّ عمليَّة استلابٍ خارجيّ وداخليّ لوجودهم على أرضهم. عندما تكون الأغنية والفيلم والموسيقى، التي ينتجها قاتلنا وداعموه وغير الآبهين لحياتنا، هي رغبتنا، لا يكون هذا سوى مخدِّر يخفِّف من وطأة عمليَّة الإعدام: إعدامنا، وعمليَّة الاستعباد: استعبادنا. الدول والشعوب لا تُحترم من «المجتمع الدوليّ» إلَّا إذا انتصرتْ، والصين لم يحترمها أحد إلّا بعد أن انتصرت في الحرب الكوريَّة،

(189) خريستو المرّ، الحبّ والمقاومة: مخاطر اللاحبّ في بعض كلام مرسيل خليفة، صحيفة «الأخبار»، العدد 2847 الجمعة 25 إذار 2016. https://al-akhbar.com/Opinion/6422

كما يشير جورج قرم[190]؛ الدول العربيّة لا يحترمها أحد لأنّها مهزومة، العدوّ لا يهاجم لبنان لأنّه يخشى مقاومة هذا الشعب، والعدوّ أعلن أيضًا أنّه فشل في مواجهة المقاطعة[191]. المقاطعة الاقتصاديّة والثقافيّة والأكاديميّة هي حركة مقاومة، وهي حركة ثقافيّة بالمعنى الذي شرحناه أعلاه، وهو أمرٌ نحن بأمسّ الحاجة إليه. ولهذا، فإنّ الموضوع بالفعل هو موضوعٌ ثقافيّ، ولكنْ ليس كما يعتقد البعض بمعنى أنّه موضوع دفاعٍ عن فيلم لرجلٍ تبرَّع بمليون دولار لقاتلنا، وموسيقى أناس لا يهتمُّون لمصيرنا. هو موضوع ثقافة المقاومة في مواجهة ثقافة الاستسلام، هو موضوع تنمية فكر وروح مقاومة في شعب ينتصر لذاته، لحياته، ولمصير أجيالٍ آتية. هي ثقافة من يحبُّون الحياة فعلًا، ويفضّلونها على المخدِّر، وعلى أوهام حياة هي أشبه بالغياب كشعب، وعلى المزيد من التشرذم وضياع الهويّة. هي ثقافة من يسعون إلى الانتصار على هيكليّات الموت في هذا العالم.

---

(190) جورج قرم، «انفجار المشرق العربيّ: من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق 1956 ـ 2006»، بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2006.
انظر أيضًا جورج قرم، «انفجار المشرق العربيّ»، ندوة مركز الجزيرة للدراسات، 2 كانون الأوّل، 2007.
https://www.youtube.com/watch?v=bf9Du7pP1kQ

(191) The Assault on Israel Legitimacy. The Frustrating 20x Questions: Why is it still growing? January 2017, available on https://electronicintifada.net/sites/default/files/2017-04/the_assault_on_israels_legitimacyreut-adl_report.pdf

-3-

أمين معلوف والمقاطعة[192]

ما إن نشر الصحافي بيار أبي صعب مقالته «أمين معلوف... ليون الإسرائيلي؟»[193] حتّى تبعه الكثير من الترحيب والكثير من التهجُّم على نقده لمعلوف بسبب القبول بإجراء مقابلة تلفزيونيَّة مع محطَّة إسرائيليَّة. وقد رأى بعض المنتقدين أنَّ المقالة تكاد تكون خطوة قبل الدعوة إلى القتل، أو أنَّ النقد الذي تحمله ينبع من غيرةٍ دفينة، وانبرى مَن يدافع عن معلوف كونه كان يتكلَّم بموضوعٍ «ثقافيّ محض» لا علاقة له بتلميع صورة إسرائيل، وأنَّ الأمر كان «مجرَّد» مقابلةٍ لتلفزيون إسرائيليّ. والبعض الآخر وضع انتقاد أبي صعب لمعلوف في خانة ثقافة التكفير، ورأى أنَّ طلب الاعتذار يُراد منه التشفّي!

---

(192) خريستو المرّ، أمين معلوف والمقاطعة، صحيفة «الأخبار»، الخميس 9 حزيران 2016. /https://www.al-akhbar.com/Opinion/215027

(193) بيير أبي صعب «أمين معلوف... ليون الإسرائيليّ»، صحيفة «الأخبار»، الثلاثاء 7 حزيران، 2016.
https://al-akhbar.com/Last_Page/214902

بالطبع، لم تكن مقالة أبي صعب تمتّ بقريبٍ أو بعيد لأيّة دعوة لإيذاء الكاتب معلوف، ولا يمكن التوقُّف عند موضوع الغيرة المزعومة. ولكنَّ الأمور الأخرى تحتاج إلى ردٍّ يضع الأمور في نصابها: معنى المقاطعة الأكاديميّة والثقافيّة.

يعرف كلّ مطَّلع على مجريات تقدُّم العلوم الإنسانيّة أنَّه لا يوجد شيء اسمه أمر «ثقافيّ محض». إنَّ فيلمًا جميلًا مثل «سلامدوغ ميليونير» استدعى في كندا ردًّا من أستاذة في العلوم السياسيّة، لأنَّه حمل تسطيحًا لماهيّة الفقر وتغييبًا لوجوه إنسانيّة إيجابيّة وخلّاقة موجودة لدى فقراء منطقة دهارافي في مومباي التي يصوِّرها الفيلم. كلّ موقفٍ ثقافيّ يحمل ضمنه رؤيةً سياسيَّةً وفكريَّة وموقفًا من الحياة يحتمل أشياءَ من الخطأ ومن الصواب، من الحقيقة ومن تشويه الحقائق، إنْ لم يكن إلّا بإخفاء وجوه فجّة من الحقيقة. عندما يقبل كاتب (أو كاتبة) أن يشارك في مقابلة، أو تقبل فنَّانة (أو فنَّان) أن تغنّي في حفل رسميّ في قلب نظام فصلٍ عنصريّ، يحتلّ أراضي شعب، وينكر عليهم حقّهم في أراضيهم، ويمارس في حقّهم أشنع أنواع الإذلال اليوميّ أي التعذيب المعنويّ الدائم، ويسجن الأطفال، ويعتقل البالغات والبالغين من دون تهمة أو محاكمة (اعتقال «إداريّ»)، ويطلق سراح قاتلي الأطفال والأمَّهات، ويتابع سياسةً إجراميَّة من الاحتلال والتنكيل والتعذيب، يكون ذاك الإنسان، بما لديه من وزنٍ وحضورٍ عام، شاء أم أبى، وعى أم لم يعِ، يضع ثقله المعنويّ إلى جانب هذا النظام بكونه يساهم مساهمةً مباشرة من خلال حضوره الثقافيّ في تدعيم أركانه الثقافيّة الرسميّة. إذا فهمنا هذا الأمر، نفهم كيف لا تعود مقابلة تلفزيونيّة أو مقابلة في جريدة «مجرَّد» مقابلة، وإنَّما موقفٌ سياسيٌّ داعمٌ ليس لشخصٍ، أو آخر، أو حزب أو آخر، بل لنظامٍ كامل من الظلم والانتهاكات اليوميّة لحقوق

الإنسان. مَن لا يأبه لهذا الواقع الفلسطينيّ، هو قد يرى أو لا يرى الإنسان المظلوم، ولكنّه بالتأكيد لا يرى الآلة العسكريّة السياسيّة الثقافيّة التي تشكّل الرافعة للنظام الظالم، النظام العنصريّ الإسرائيليّ. مَن يشارك في نشاطٍ ثقافيٍّ رسميّ إسرائيليّ هو يدعم بشكلٍ فاعل نظام الفصل العنصريّ، ويغسل معنويًّا بمشاركته دم المسحوقين عن سكّين السفّاح، شاء أم لم يشأ، وعى أم لم يعِ.

ومن هنا، ليس من هدفٍ تكفيريّ في نقد مشاركٍ في نشاطٍ ثقافيّ تختبئ خلفه الجريمة الإسرائيليّة، ولا هي دعوة إلى إيذائه، إنّها محاولةٌ إلى نقد العمى الأخلاقيّ الذي يكون قد أصاب ذاك الفنّان أو الكاتب، والعمى الأخلاقيّ الذي يكون قد أصاب المجموعة من الناس التي لا ترى وجه الإنسان المُدمَّى خلف بريق أضواء، وموسيقى، وفنون، وعلوم. ليس هناك أنصاف حلول مع القضيّة الفلسطينيّة والظلم الإسرائيليّ، إمّا أنت مع حقوق الإنسان الفلسطينيّ (بغضّ النظر عن موقفك من قيادات هنا أو هناك، أو أحزاب هنا أو هناك، فلكلّ شعب خونته وسفّاحوه ولصوصه ومجرموه وعصاباته)، أو أنت مع الظالم. لا يمكن ادّعاء الدفاع عن حقوق الإنسان من دون أن يكون المرء داعمًا، وعاملًا من أجل الإنسان الفلسطينيّ، لأنّه إنسانٌ مظلوم وحقوقه الإنسانيّة مُنتهكة؛ ولا يمكن ادّعاء الدفاع عن حقوق الإنسان من دون أن يكون المرء مناهضًا للنظام الإسرائيليّ كنظام، لأنّه نظامٌ قائمٌ على الجريمة والفصل العنصريّ تجاه شعبٍ كامل.

إنّ كلّ موقف ثقافيّ يتضمّن حكمًا موقفًا سياسيًّا كاملًا لا مهرب منه. ولهذا، يستميت النظام الإسرائيليّ في توظيف أموال وجهود سياسيّة هائلة لجرّ أكبر عددٍ ممكن من العاملات والعاملين في المجالات الثقافيّة والعلميّة المختلفة للمشاركة في نشاطات في فلسطين المحتلّة. إنّ المقاطعة

الثقافيَّة والأكاديميَّة لإسرائيل هي عملٌ سلميّ بالكامل، عملٌ يدعم جهود هذا الشعب المحتلَّة أرضه، والمنتهك كيانه، من أجل تحقيق حرِّيَّته وكرامته في أرضه.

من أجل هذا الهدف، التزم الآلاف من البشر عبر بلدانٍ وقارَّاتٍ وأفكارٍ وأديان، ومنها بلادنا، بالعمل على دعم جهود مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها، بينما يبقى بعض مواطنينا في البلاد العربيَّة متخاذلًا، ويبقى البعض الآخر متردِّدًا، والبعض متلكِّئًا. حسم آلاف الآلاف من المواطنين والفنَّانين والأكاديميِّين عبر العالم أمرهم، ويقومون بعملٍ فاعل لمقاطعة إسرائيل، مقاطعةً تمتدّ سنة بعد سنة، وتثير قلقًا حقيقيًّا في دوائر القرار الإسرائيليَّة.

ليس المطلوب من أمين معلوف الاعتذار، المطلوب منه أن يعود عن سوء التقدير لماهيَّة موقفه وأثر هذا الموقف، أي أن يعود عن دعمه لإسرائيل بمنحها حضوره الثقافيّ الذي يؤدِّي عمليًّا إلى غسل سكِّين الجلَّاد، وإخفاء صرخة الضحيَّة. وبعبارةٍ أخرى، عبارةٍ ليست بقساوة الواقع الفلسطينيّ، نتمنَّى أن يعود أمين معلوف عن زلَّته الأخلاقيَّة في الشأن الفلسطينيّ، وعند العودة لا يكون الاعتذار سوى تعبير عن رؤيةٍ أصفى للواقع، وعن موقفٍ أكثر انسجامًا مع الحقِّ الإنسانيّ للشعب الفلسطينيّ بالحياة والحرِّيَّة.

- 4 -

خطاب المثقَّف العربيّ للمحتلّ هو المقاطعة[194]

تتابعت ردود الفعل الشاجبة للنقد الذي وجَّهه ملتزمون بحملة المقاطعة الاقتصاديَّة والثقافيَّة والأكاديميَّة للكاتب أمين معلوف جرَّاء قبوله بإجراء مقابلة مع محطَّة إسرائيليَّة. وقد سيقت في ردود الفعل أسبابٌ مختلفة لهذا الشجب جديرةٌ بالردّ عليها.

صحيح أنَّ أمين معلوف يحمل الجنسيَّة الفرنسيَّة، وبهذه الصفة هو لم يخالف قوانين فرنسا، ولكنَّ حملة المقاطعة هي أساسًا دعوةٌ فلسطينيَّة إلى العالم أجمع كي يقاطع إسرائيل للضغط عليها سعيًا لإحقاق الحقوق الفلسطينيَّة؛ ولربَّما أكثر وجوه المقاطعة رمزيَّةً هو المطران ديزموند توتو الذي عاش باللحم والعظم نظام الفصل العنصريّ الجنوب أفريقيّ. إذًا، الحجَّة بأنَّ أمين معلوف فرنسيّ لا معنى لها ضمن هذا الواقع.

---

(194) خريستو المرّ، صحيفة «الأخبار»، الأربعاء 15 حزيران 2016.
https://al-akhbar.com/Opinion/215295

وصحيح أنَّ الكاتب حرّ في ما يراه ويفعله، ولكنَّ حركة المقاطعة تسعى أن تقنع بالحجَّة والمنطق أنَّ خيارات أمين معلوف اليوم، وخيارات غيره، هي مسيئة للقضيَّة الفلسطينيَّة المحقَّة، وأنَّها بالتالي غير أخلاقيَّة، لأنَّها تُعطي غطاءً ثقافيًّا للنظام الإسرائيليّ العنصريّ. إنَّ مجرَّد القبول بالجلوس في مقابلة ثقافيَّة، أو الاشتراك بمهرجان غنائيّ، هو إعلان قبول للآخر في نظامه وموقفه من هذا النظام، الآخر ليس هو الشخص وإنَّما المؤسَّسة القابعة خلف الشخص، والنظام القابع خلف المؤسَّسة. وفي حالتنا، النظام الكامن في الخلفيَّة هو نظام احتلال يُنشئ نظامًا عنصريًّا، ما يزال يقتل ويشرِّد ويدمِّر ويحتلّ ويعذِّب ولا يُحاكم قتلة الفلسطينيِّين في صفوفه إلَّا محاكمة صوريَّة. فكيف يمكن لمثقَّف القبول بالتعامل مع هذا النظام القائم على رفض الآخر وسحقه؟ عندما أرفض النظام الذي يسحق الآخر ـ الفلسطينيّ، لا أكون في حالة رفض للآخر الإنسانيّ، وإنَّما في حالة رفض لما هو غير إنسانيّ عند الآخر.

وأمَّا الحجَّة القائلة بأنَّ المقابلة هي مجرَّد حوار ثقافيّ لم يطرح فيه معلوف رأيًا بالقضيَّة الفلسطينيَّة، فهي حجَّة تزيد من إدانة معلوف، ذلك أنَّه في مقابلته غيَّب تمامًا الواقع الفلسطينيّ، واقع الضحيَّة، وتغييب الواقع هو موقف سياسيّ. معلوف قَبِلَ أن يقيم حوارًا مع جهة إسرائيليَّة في غياب تامّ للقضيَّة الإنسانيَّة للشعب الفلسطينيّ، أي في غياب تامّ لأيِّ نقد لنظام جرائميّ يسحق شعبًا آخر بأكمله.

الذين يعتبرون أنفسهم منضمِّين معنويًّا إلى حركة المقاطعة يحقّ لهم أن ينتقدوا معلوف (وغيره)، ليس لأنَّه قانونيًّا مطالبٌ بشيء، وإنَّما لأنَّه أخلاقيًّا مطالبٌ بالكثير بوصفه إنسانًا ومثقّفًا، والمثقَّف له وزنٌ أخلاقيّ يمكن أن يستخدمه لإعلاء شأن مطالب إنسانيَّة، كما أنَّه يمكن أن يستخدمه

لسحق قضيَّة إنسانيَّة وتغييبها عن النقاش. موقف المثقَّفين مهمّ، ولهذا يستميت النظام ـ الجريمة الإسرائيليّ في جذب المثقَّفين والأكاديميّين إلى المشاركة في نشاطاتٍ إسرائيليَّة، إذ هو يجمِّل بوجودهم الثقافيّ قبح جريمته، ويستر بوجوههم وجهه الوحشيّ.

يرى البعض فائدةً من مخاطبة العدوّ في وسائله الإعلاميَّة من أجل بلوغ جمهور لا يمكن أن نبلغه بدونها. هذه النقطة لا تنطبق على أمين معلوف، لأنَّه لم يتكلَّم بالقضيَّة الفلسطينيَّة أو بالجرائم الإسرائيليَّة، ولكنَّها تنطبق على الروائيّ المناصر للقضيَّة الفلسطينيَّة الياس خوري الذي وافق بالتحدُّث منذ سنوات مع صحيفة هآرتس. النقطة مهمَّة لأنَّها جذَّابة، إذ تضع نفسها في سياق النضال ضدَّ العدوّ بمخاطبة جمهوره. طبعًا، يمكننا الجدل بأنَّ مقابلةً مع صحيفة لن تحدث هذا الأثر العظيم في جمهور إسرائيليّ يعيش في بحرٍ من الإعلام العنصريّ، وبحرٍ من الأخبار ذات الاتِّجاه الواحد، ولكنْ يمكن بالمقابل الجدل بأنَّه على الرّغم من ذلك فالمحاولة واجبة، وبأنَّه مع الوقت، ومن خرق (مفترض) إلى خرق، يمكن المساهمة بإحداث تغييرٍ في الرأي العام الإسرائيليّ. ردُّنا هنا لن يركِّز على مدى الخرق الممكن وفاعليَّته، فالنقاش المحصور بهذا المنطق يغيِّب عنَّا الصورة الأوسع. الصورة الأوسع هي أنَّه إنْ أراد صحافيّ إسرائيليّ أن يعرف أكثرَ، رأيًا فذًّا مثقَّفًا عن الوضع الفلسطينيّ، وأن يستقصي نظامه العنصريّ وأثره الفادح على الفلسطينيّين، وأن يتبيَّن آلام هؤلاء، ورأيهم في كيفيَّة الخروج من انعدام الحرِّيَّة نحو التحرُّر، ومن نظام الفصل العنصريّ إلى نظام إنسانيّ، ألا يستطيع أن يجد مثقَّفًا فلسطينيًّا من مناطق الـ 48 أو مناطق الـ 67 للتحدُّث إليه؟ ألم يوجد، وما يزال يوجد، نوّاب فلسطينيُّون يمكن لوسائل الإعلام الإسرائيليَّة أنْ تصغي إليهم وتنقل آراءهم، وتفرد لهم وسائل

الإعلام لنقل وجهة نظر الضحيَّة مباشرةً من الضحيَّة نفسها؟ ألسنا نضع أنفسنا أوصياء على الشعب الفلسطينيّ بتنصيب أنفسنا مثقَّفين شارحين لقضيَّة هذا الشعب على الداخل الإسرائيليّ، بواسطة التعامل المباشر مع وسائل الإعلام الإسرائيليَّة، بينما الفلسطينيُّون المثقّفون والعاملون في الحقل العام والنقابات هم الذين أطلقوا حملة المقاطعة العالميَّة؟ أليس في ذلك «أبويَّة» في غير محلّها، تمامًا لأنَّها تُنصِّب نفسها متحدِّثة للداخل الإسرائيليّ بواسطة وسائل إعلامه، نيابة عن الفلسطينيّين الذين لا يعانون من أيِّ نقص في المدى الثقافيّ من قياديّين ومجابهين؟

إنْ أراد المثقَّف العربيّ دعم الفلسطينيّين عليه بالتجاوب مع طلبهم بالمقاطعة. موقع المثقَّف العربيّ يكمن في الدفاع عن القضيَّة الفلسطينيَّة في البلاد التي يُقيم فيها، وفي فضح وحشيَّة النظام الإسرائيليّ حيث هو، وفي نقد أيِّ خطابٍ فلسطينيّ مؤسَّساتيّ متهاون، كما وفي نقد أيّ انحرافٍ للنضال الفلسطينيّ. المثقَّف العربيّ يمكنه أن يقوم بهذا الدور حيث يحيا، أكان ذلك في بلاد العالم غير العربيَّة أم في البلاد العربيَّة التي ما تزال تحتاج إلى ثقافة نضال لأسبابٍ عديدة، منها الاختراقات التي أحدثتها في وعينا ليس فقط إسرائيل، وإنَّما أيضًا الأنظمة العربيَّة القمعيَّة، اختراقاتٌ أوصلت مجموعاتٍ كبيرةً من المواطنين إلى الانسحاب التامّ في الشأن العامّ، والخضوع للقوَّة، وعدم النضال. إنَّ أقوى خطاب للمثقَّف من خلال وسائل الإعلام الإسرائيليَّة، وأوسعه أثرًا للرأي العامّ الإسرائيليّ، يكمن تمامًا في المقاطعة، لأنَّ هذه الأخيرة تُثير ردود فعل واسعة شاجبة داخل الرأي العامّ، وتقلق الطبقة الحاكمة والمجتمع؛ ولهذا يُفرَدُ لها مساحةٌ إعلاميَّة يمكن أن يصل من خلالها وجهة النظر الفلسطينيَّة. ليس من أمضى من سلاح المقاطعة إعلاميًّا، لأنَّه يطرح الإشكاليَّة بوضوح ويوجع

العدوّ في وجوده، ويهزّ صورته عن ذاته. مقاطعة المثقَّف إنْ كانت مقرونةً ببيانٍ يشرح أسبابها يمكنها أن تكون خطابًا مباشرًا للرأي العامّ الإسرائيليّ بواسطة وسائل إعلامه، خطابًا له وقعٌ أكبر من مقابلة وحوار.

بالإضافة إلى ما تقدَّم، فإنَّ موضوع المقاطعة ساخنٌ بالنسبة إلى أيّ إنسان لبنانيّ يعتقد بالفعل، بجميع كيانه (وليس بالكلام) أنَّه معنيٌّ بالعدالة وحقوق الإنسان. فإسرائيل تسعى إلى الحرب واحتلَّت أجزاءً واسعة من لبنان، وارتكبت الفظائع ومارست التعذيب، ولم تزل تقتحم أجواءه وتتجسَّس وتتآمر عليه، وبالتالي فإنَّ إسرائيل ليست «مجرَّد» نظام تمييز عنصريّ سافل ومنحطّ في المقاييس الأخلاقيَّة والإنسانيَّة، ولكنْ هي بلدٌ عدوّ. أين سمعنا في كتب التاريخ عن فرنسيِّين مقاومين يجرون مقابلاتٍ في الصحف النازيَّة حول الثقافة والفنون؟ أين سمعنا عن أميركيّ في الحرب العالميَّة الثانية يجري مقابلاتٍ صحافيَّةً في التلفزيون الياباني عن كتابه الأخير ورؤيته لعالمٍ جميل يعيش فيه الناس معًا؟ وإنْ كان ذلك قد حدث، فكيف كان الضمير الشعبيّ الأميركيّ أو الفرنسيّ سيحكم على ذلك المثقَّف المرموق؟

أخيرًا، هناك من يتساءل لماذا لا نقاطع بلدانًا بأكملها تدعم إسرائيل، ولماذا لا نقاطع بلادًا قامت على سحق شعبٍ آخر في غابر التاريخ؟ وعلى هذا نجيب، إنَّ موقف المقاطعة هو موقف الممكن. فمثلًا، يمكن لغير الخاضعين للاحتلال أن يقاطعوا بضائعَ إسرائيليَّة، بينما لا يمكن لفلسطينيّ يعيش تحت الاحتلال أن يقاطع شركة مياه أو اتِّصالاتٍ أو بضائعَ إسرائيليَّة وإلَّا انقطع عن أسباب بقائه على قيد الحياة. وبالتالي، موقف المقارنة المطلقة بين حالةٍ وحالة، وبين ما تفعله مجموعةٌ من الناس وما تفعله مجموعةٌ أخرى، هي مقارنةٌ تُقارِب المقاطعة من ناحية فكريَّةٍ محضة، أي لا تضع المقاطعة في سياق الواقع. الواقع الذي تحيا فيه مجموعةٌ من البشر قد يختلف عن واقع

مجموعةٍ أخرى، إحداهما قد تتمكَّن من المقاطعة أكثر من الأخرى، ولكنْ ما ينبغي أن يكون جامعنا أخلاقيًّا هو موقف المقاطعة. كلّ إنسان مسؤول أمام ضميره عن المقاطعة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وذلك يقتضي نوعًا من التقشُّف، من الصوم عن جمالاتٍ وطيِّباتٍ من أجل هدف أسمى: حرِّيَّة شعب بكامله.

الفلسطينيُّون سألونا، سألوا كلّ إنسان، وكلّ الناس، أن يساعدوهم على التحرُّر من الجلَّاد. الموضوع ليس مسألة نقاش وحوار لمثقَّف في صحيفة إسرائيليَّة، الموضوع ليس أقلّ من محاصرة النظام الإسرائيليّ للضغط على الشعب الذي يستفيد من ذاك النظام، من أجل المساهمة في إحداث تغيير في موازين القوى لصالح العدالة والحرِّيَّة للشعب الفلسطينيّ ولشعوب المنطقة. جواب كلّ واحد منّا، هو جوابٌ أمام ضميره الشخصيّ وأمام شعبه، وعند من يؤمن هو جوابٌ سيقدِّمه يومًا ما أمام إلهٍ يرفض الظلم، ويسألنا أن نرفعه، ويدعم جهودنا، بطرقه الخاصَّة، لرفعه، ولا شكَّ أنَّنا لرافعوه.

-5-

الحبّ والمقاومة: مخاطرُ اللاحبّ في بعض كلام مرسيل خليفة[195]

طالعتنا منذ عدَّة سنوات حملةٌ دعائيَّةٌ تدعو إلى «محبَّة الحياة»، وهناك مَن يتحدَّث عن «ثقافة الحياة» ويقابلها «ثقافة الموت»، ومؤخَّرًا، وعلى مستوى أصدق بالطبع، في مقابلة له في صحيفة السفير[196]، عبَّر الموسيقيّ الكبير مارسيل خليفة عن أفكارٍ تستحقّ التمعُّن بها، وإن كان يظنّ كاتب هذه السطور أنَّها جاءت على ضبابيَّة يمكن أن تُشوّه المعنى العامّ الذي بدا أنَّ خليفة أراده عندما تكلَّم على أولويَّة الحبّ في الحياة على أيِّ أمرٍ آخر.

---

(195) خريستو المرّ، الحبّ والمقاومة: مخاطر اللاحبّ في بعض كلام مرسيل خليفة، صحيفة «الأخبار»، العدد 2847 الجمعة 25 إذار 2016..

https://al-akhbar.com/Opinion/6422

(196) «أندلس الحبّ» عمل يُعيد زمن التمرُّد والحرّيَّة، مارسيل خليفة: العشق فعل مقاومة، اسكندر حبش، الأربعاء 9 أذار 2016.

فقد أعلن خليفة بعمق عن أنّه «ما لم تتحرَّر رغباتنا لن تتحرَّر عقولنا. قد نربح الحرب أو نخسرها، لكنَّنا سنربح ونحن مشوَّهون ومهزومون»، كما أشار إلى ما يمكن أن ندعوه باللغة الدينيّة بعدًا خلاصيًّا للحبّ، عندما ذكر أنّه «لن يبقى إنسان إلّا الأكثر حبًّا» وكأنّه يُعلن كفنّان أنَّ الحبّ هو الأمل في وسط العذاب والتفاهة والسأم. وإعلان خليفة هنا مختلف، برأيي، عن الحملات التي دعت إلى «محبَّة الحياة» و«ثقافة الحياة» في إطار النزاع السياسيّ اللبنانيّ.

إلّا أنَّ هذه المواقف لخليفة، ولكلِّ خطاب يشدِّد على الحبِّ والحياة، ينبغي ربطها دائمًا بأمورٍ أخرى، بخبراتٍ إنسانيَّةٍ أخرى، وإلّا خاطرنا بأن يُفهم الحبّ والحياة على أنّهما كلمتان «حالمتان» جميلتان، ولكنْ غير واقعيَّتيْن، وبالتالي يجب تهميشهما (وهو الواقع اليوم)، فنصل إلى عكس ما اشتهاه خليفة أو غيره، عند الإعلان المُلِحّ والضروريّ عن أولويَّة الحبّ.

فخليفة نفسه انزلق، من حيث لا يدري، إلى ما قد يؤدِّي بالإنسان إلى ما هو معاكس للحبّ بقوله: «لا أريد الحرب، ولا أريد الأرض. أريد الحبّ»، وهذا ما سنحاول إيضاحه في السطور التالية.

ما هو الحبّ؟ بالطبع السؤال صعب، وقد أشرنا في مقالاتٍ سابقة[197] إلى أنَّ الحبّ (أو المحبَّة بشكل عامّ) ليس مجرَّد شعورٍ وردِيٍّ جميل، بل هو سعي إنسانٍ إلى إنشاء رابطة وحدة عميقة بإنسانٍ آخر، من دون أن يفقد أيّ منهما فرادته الذاتيَّة، هذا الجمع الصعب والذي يستهلِك الحياة بأكملها من دون أن يُستَهلَك، هو ما يمكن أن ندعوه حبًّا. الحبّ هو مسيرة لقاء عميق بين

(197) خريستو المرّ، الانقلاب على المبادئ: هل من تقييم أخلاقيّ؟، مجلّة «الآداب»، العدد 9 ـ 10، 2009.

فرديْن بحيث يبقى كلّ منهما ذاته، ويكون في الوقت نفسه متَّصلًا بالآخر. والمحبَّة هي صنو الحبِّ على الصعيد الجماعيّ، هي مسعى لقاء أقصى بالآخرين مع المحافظة القصوى على الذات، ممَّا يعني أنَّ الحبّ والمحبَّة لا ينشآن ولا ينتعشان من دون بيئة الحرِّيَّة التي تسمح لكلِّ إنسان بأن يكون ذاته الفريدة وترعى الفرادات وطاقاتها والاختلاف بينها وذلك لتحقيق كلّ إنسان لذاته، ومن دون بيئة الانفتاح على الآخرين التي تسمح لكلِّ إنسان أن يطلّ على فرادة الآخر وأفراحهم وآلامهم لتحقيق الوحدة الإنسانيَّة.

هذا المسعى المزدوج لتحقيق الفرادة والوحدة، في بيئة الحرِّيَّة، والذي يستحقّ أن ندعوه حبًّا أو محبَّة، له بُعدٌ عاطفيّ وآخرُ فكريّ (وآخرُ جنسيّ في حالة الحبّ) ولكنْ أيضًا له أبعادٌ سياسيَّة واقتصاديَّة وتربويَّة، إذ إنَّ هذه الصُعُد جميعًا ينبغي أن تسمح بممارسة الحرِّيَّة والتعاضد الإنسانيَّيْن. وفي عالم الضرورة الذي نعيش فيه، والصراع الذي يقتضيه الشرّ الموجود في هذا العالم، هذا يعني حتميَّة وقوف الإنسان المُحِبّ في مواجهة كلّ محاولة لقمع الحرِّيَّة والحاجة الإنسانيَّة إلى التعاضد مع آلام الآخرين. ولهذا، فإنَّ مقاومة كلّ قمع وكلّ استغلال جزءٌ لا يتجزَّأ من عيش الحبّ على أرض الواقع.

فمن لا يريد أن يقاوم الاعتداء على الحرِّيَّة الإنسانيَّة التي تسمح وحدها بأن يكون كلّ واحدٍ منَّا نفسه، وأن يحقِّق طاقاتِهِ الإنسانيَّة[198] ومواهبه، لا يمكنه أن يحيا الحبّ بالشكل الأفضل الذي يدعو إليه (إن كان يدعو إليه)، لأنَّه بقبوله قمع حرِّيَّته الذاتيَّة أو حرِّيَّة غيره، هو لا يسمح لنفسه

(198) هذا لا يتضمَّن الرغبة بالقتل والقمع والتسلُّط وغيرها، لأنَّ هذه ليست «حاجات» إنسانيَّة بقدر ما هي أمراض إنسانيَّة.

بنموّ فرادته التي تقتضي تعبيرًا حرًّا عن الاختلاف والتنوُّع، ويقطع ذاته عن التعاضد مع نفسه ومع الآخرين، وبذلك ينتقص من بُعد الوحدة الإنسانيَّة مع الآخرين. مَن يجد نفسه أو آخر مظلومًا، أو مقموعًا، أو انتُزعَت أرضه، وغضّ الطرف، إمَّا لسوء تقدير ظنًّا بأنَّ كلّ هذا هامشيّ أمام أولويَّة الحبّ، أو لجُبن، كان بهذا يبتعد عن عيش الحبّ في الحياة اليوميَّة[199]، هذا الحبّ الذي يُردِّد لفظيًّا وفكريًّا مدى أهمِّيَّته.

لكنْ عدا مواجهة القمع، نودّ أن نُلقي الضوء على أمرٍ مغيَّبٍ عادةً عن النقاش عند الذين يدعون إلى محبَّة الحياة، ألا وهو أنَّ محبَّة الحياة ترتبط بالضرورة بمواجهة الاستغلال[200]. فالحياة بالنسبة إلى الإنسان لا تقوم على مجرَّد العيش على المستوى الحيوانيّ، مثل تناول الطعام والشراب والتوالد. الحياة الإنسانيَّة تقتضي الحبّ، فالحبّ حاجة إنسانيَّة جذريَّة معروفة في علم النفس الذي طالما هو مهمَّش في بلادنا (والمؤمن يرى أنَّ اللّـه خلق الحبّ الإنسانيّ، بل يرى البعض بالحبّ خبرة لقاء باللّـه نفسه)، ومن هنا ضرورة التشديد على أولويَّة الحبّ، وأهمِّيَّته في حياتنا وتربيتنا، في كلّ خطاب يتكلَّم على محبَّة الحياة. وعلى الرَّغم من ضيق المجال لشرحٍ واف، يمكن القول إنَّ الحياة الإنسانيَّة الحقَّة هي الحياة في الحبّ، بلا حبّ نحن في عيشٍ لم يتحوَّل إلى حياة إنسانيَّة حقَّة، نحن في عيش لم نحقِّق فيه رغبتنا العميقة بالفرادة وبالوحدة مع الآخرين في بيئة الحرِّيَّة[201].

---

(199) خريستو المرّ، «الإيمان بين المحبَّة وعبادة الأصنام»، تعاونيَّة النور الأرثوذكسيَّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2016.

(200) خريستو المرّ، القيامة في حياتنا اليوميّة، فصل «القيامة والتزام شؤون العالم»، سلسلة خبز وملح، 3، «تعاونيَّة النور الأرثوذكسيَّة للنشر والتوزيع»، 2015.

(201) هذا موضوع كتابيْن سيصدران عن تعاونيَّة النور الأرثوذكسيَّة للنشر والتوزيع، بعنوان «الإيمان بين المحبَّة وعبادة الأصنام»، 2016 (جزء 1 و2).

هكذا، فإنَّ محبَّة الحياة لا يمكن أن تكون إلَّا في السعي إلى تأمين ظروف عيش الإنسان لفرادته ولوحدته مع الآخرين في بيئة الحرّيَّة . ولكنَّ هذا العيش يبدأ هنا والآن، ويجب أن يبدأ هنا والآن. من يقول هنا والآن يقول إنَّه على أرض الواقع محبَّة الحياة تقتضي الدفاع اليوميّ عن الحبّ، أي الدفاع اليوميّ عن عيش الإنسان لحرّيَّته كي ينمو إلى ملء طاقاته وفرادته، وكي يعيش وحدةً مع الآخرين من خلال أنظمة تربويَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة تشجّع على نشوء هذه كلّها. ومن هنا، فإنَّ إيمان الإنسان بأولويَّة الحبّ في محبَّة الحياة، يدفعه دفعًا لمقاومة اعتداء أنظمة الاستغلال على الإنسان: (1) لأنَّ أنظمة الاستغلال لا تسمح للإنسان بأن يحصل على تربية وتعليم وصحَّة وعمل ضروريَّة جميعها كي تنفتح أمامه سبل الوصول إلى تحقيق ملء طاقاته الفريدة؛ (2) ولأنَّ الاستغلال لا يسمح للإنسان بأن يكون حرًّا ـ فالديموقراطيَّة لا تكفي وحدها لعيش الحرّيَّة ـ إذًا كما يقول الفيلسوف المسيحيّ بردياييف «العامل حرّ ولكنَّه لا يستطيع أن يحقّق حرّيّته، أن يستفيد منها، فتبقى شكليَّة... في الديموقراطيَّات الرأسماليَّة، تكون الحرّيَّة أحيانًا وهميَّة بالنسبة إلى طبقة كاملة من المجتمع»[202]، فما هي حرّيَّة العامل إذا لم يكن قادرًا أن يأكل خبزًا أو يتعلَّم أو يتطبَّب أو يقرأ أو يعرف، هذا هو رياء النظام الرأسماليّ المتوحّش في نسخته اللبنانيَّة خاصّة؛ (3) ولأنَّ الاستغلال يؤسّس شبكة علاقات قهر وخضوع من جهة، وطرق عيش تفصل بين البشر وتربّي على الانفصال الأنانيّ عن الآخرين من جهة ثانية. إنَّ كلّ دعوة إلى محبَّة الحياة وإلى ثقافة الحياة دون التأكيد على ضرورة العمل من أجل رفع الظلم والاستغلال هي دعوةٌ مشوبةٌ بقصر النظر، أو

(202) Berdiaeff, Nicolas, «Au seuil de la Nouvelle époque», Delachaux et Niestlé, 1947, p. 106.

بسوء النيَّة (عند المستفيدين من الاستغلال). بالطبع، كما ذكرنا سابقًا، إنَّ محبَّة الحياة وثقافة الحياة تقتضيان مقاومة أنظمة البطش للأسباب نفسها، لأنَّها تخلق بيئةً مناسبةً لتشويه الإنسان بتشويه طبيعة علاقاته بالآخرين وبنفسه، من خلال قمع الحرِّيَّة وتأسيس علاقات ذات طابع استعباديّ مُذِلّ واستغلاليّ. ولكنْ، إنْ كان ذلك واضحًا في ظلّ أنظمة القمع فهو غير واضح في ظلّ أنظمة الاستغلال التي تبقى مستترة في تدميرها للإنسان وتشويهها لطاقة الحبّ التي فيه، فلا يفضحها أو يراها المجتمع، ونادرًا ما نسمع الدعوات إلى مقاومتها.

إنَّ مقولَتَي مرسيل خليفة بأنَّه «لن يبقى إنسان إلَّا الأكثر حبًّا. لن يبقى إنسان إلَّا الأكثر جمالًا. ولن يبقى إنسان إلَّا الأكثر قدرة على تحرير الآخر من التفاهة والعذاب والشقاء والخوف بواسطة الحبّ»؛ أو بأنَّه «ما لم تتحرَّر رغباتنا لن تتحرَّر عقولنا. قد نربح الحرب أو نخسرها، لكنَّنا سنربح ونحن مشوَّهون ومهزومون»، هما صحيحتان، على أن يقترنا فورًا بالتأكيد على أنَّ مقاومة الظلم وسالبي الأرض وسالبي الحرِّيَّة وسالبي المال ومستعبِدي الإنسان في نظام استغلاليٍّ أم قمعيٍّ، هي التي تُتيح لنا أن نحيا الحبّ في هذا الجسد وفي هذا اللحم والدم وفي هذا العالم.

وإن كان «الحبّ الحقيقيّ هو ثمرة الحرِّيَّة الإنسانيَّة الكاملة»، كما يقول خليفة عن حقّ، مرجّعًا صدى أغنية فرنسيَّة قديمة، كيف يمكن عندها أن نقبل بأيّ أمرٍ يضربُ حرِّيَّة الناس ولا نقاومه؟ ونودّ هنا أن نؤكّد أنَّ العكس صحيح أيضًا، أي أنَّ الحرِّيَّة نفسها تحتاج إلى الحبّ كي تبقى، الحرِّيَّة الكاملة هي ثمرة الحبّ الإنسانيّ الكامل، فالذي يقاوم شرَّ قامعٍ أو محتلٍّ أو مستغلّ، دفاعًا عن حرِّيَّة الإنسان، إن لم يؤكّد على حبّ الإنسان، بالتأكيد مثلًا على كرامة الإنسان، كلّ إنسان، حتى كرامة عدوِّه الإنسانيَّة (بالامتناع

عن تعذيب عدوّه أو خصمه مثلًا)، فإنّه سينجرف لا محالة، عاجلًا أم آجلًا، إلى وضعٍ معادٍ للحبّ، وينقلب على الحرّيّة التي يقاتل، أو قاتَلَ، من أجلها.. والأمثلة على هذا الانجراف يحفل بها التاريخ.

إنْ كان الحبّ على هذه الدرجة أولويّة، وهو أولويّة وجوديّة برأيي، عندها لا يمكن أن «أدير ظهري لكلّ ما يُشغِلون به الناس من سياسة وزبالة» كما ذكر خليفة، لأنّ عدم إدارة الظهر هي ترجمة في هذا الجسد وعلى هذه الأرض لحبّي أنا، فالحبّ ليس أمرًا خارجيًّا أو شعوريًّا، وإنّما هو خبرة حياة، خبرة تتسرّب طبيعيًّا إلى أبعاد الحياة الإنسانيّة جميعًا، فتكون بذلك أصيلة وعميقة وحقيقيّة، وللمؤمن أن يرى بأنّ هذه الخبرة في هذا العالم تُجسّد إيمانه باللّـه وتجذّره في آن، وأنّه يستمرّ في خبرة الحبّ هذه، بعد الانتقال إلى حياةٍ أخرى، باقيًا على ذاته الفريدة ومتّصلًا بالآخرين وباللّـه، بطريقة لا يعرفها اليوم.

الحبّ لا يدفعنا بعيدًا عن الالتزام، بل إلى الالتزام، والموسيقى لأنّها ناقلةٌ للجمال والفرح وترينا إمكانيّةَ عالمٍ أفضل، هي التزام بالإنسان وحبّه وفرحه، ولكنْ هذا لا يُنقِصُ شيئًا من ضرورة أشكالٍ أخرى من الالتزام، واحترامها والتأكيد على ضرورة احترامها، وإلّا فالخطر هو أن ننغلق على صنمٍ نُسمّيه «الحبّ» نمجّده ولكنْ تنغلق قلوبنا عن الآخرين ومآسيهم، فيكون الحبّ فعليًّا بعيدًا عن حياتنا اليوميّة، وهو الخطر نفسه الذي يكمن في أن نناضل من أجل «الإنسان» و«الحرّيّة» و«الأرض» و«فلسطين» والذي ينتهي بعبادة صنم السلطة، قاتلًا الحبّ والحرّيّة. هذا الخطر لا ينفي ذاك والعكس صحيح.

إنّ قراءةً للوضع الإنسان ومأساته يمكنها أن تُرينا أنّ الحبّ هو الأولويّة المطلقة، ولكنّه أولويّة كيانيّة، أي أنّه خبرةٌ مركزيّةٌ فينا تتغذّى بكلّ خبرةٍ

مقاومةٍ لقمعٍ واستبدادٍ واستغلال، وبكلِّ موسيقى ولوحة وشعر وفنّ وجمال ولقاءٍ جسديّ وفكريّ وعاطفيّ؛ وفي الآن نفسه الحبّ خبرةٌ تغذّي هذه الخبرات جميعًا. الأولويَّة الكيانيَّة للحبّ لا تعني أنَّ الحبّ يجب أن يسبق أيّ خبراتٍ أخرى في الحياة، ولا أنَّه يعلوها، ولا أنَّها هي يجب أن تسبقه ولا أن تعلوه. الأولويَّة الكيانيَّة للحبّ تعني أنَّ الحبّ هو الرغبة الكبرى، وأنَّه يتجسَّد من خلال خبراتٍ عديدة، ويتجذَّر بها، فلا يتحوَّل إلى كلمةٍ مفرغةٍ من معناها، وأنَّه يضيء على هذه الخبرات حتى لا تَضلَّ مصبَّ أشواقها: الحبّ في بيئة الحرّيَّة.

القسم الرابع

المسيح وقضيَّة فلسطين

ـ1ـ

حدود البلدان وحدود القلب: فلسطين[203]

القلوب المجروحةُ بحبِّ الإنسان لا تعرف انفصالًا في الجغرافية، والقلوب الممتدَّة بحبِّ الناصريّ لا تعرف الحدود؛ فالحبّ واحد في الخبرة البشريَّة، ولا يَخصُّ إنسانٌ حبَّه ببشرٍ دون آخرين إلّا إذا كان قد التبست عليه خبرته، فَحَسِبَ عاطفته الفطريَّة لجماعته حبًا. أُحِبُّ الإنسان في لبنان، وأحبُّه في سوريا، وأحبّه في فلسطين، وأحبّه في كندا وفي كلِّ هذه الأرض. لهذا كرِهَت نفسي أنظمةَ الظلم في كلِّ بلد، وكان تأجيل التحرُّر في كلِّ أرض جلجلةً لسكَّانِه ولمحبِّيهم الذين غدت قلوبهم تشبه «قلب اللّـه»، علموا أم لم يعلموا.

يخدع الإنسان نفسه كي يُعَقلن ردَّات فعله الشعوريَّة المُبغِضة ويبرِّرها. تَحَجَّج المتحجِّجون لعدم تضامنهم مع الإنسان الفلسطينيّ بأنَّ منهم من ليسوا بالصالحين أو من ظَلَموا. نسوا أنَّ يسوع قال إنَّه «لا صالح إلَّا اللّـه وحده». هو الضوء، وهو فينا، وأمَّا نحن فكلّنا نحجب قلوبنا عنه، هو

(203) مقالة إلكترونيَّة منشورة على الإنترنت، الثلاثاء 18 أيّار/مايو 2021.

فينا، في داخلنا العتم الكثير. والمسيحيُّون يعرفون أنَّ الكنيسة هي جماعة الخطأة الذين يتوبون، لذلك أشار يسوع إلى الطراوة، ونبَّه ألّا يحاول أحدٌ أن يمحو أحدًا بقلبٍ من حجر، وكذلك لا يرمي شعبٌ على شعب اتّهامًا ويستكبر. كلّ الشعوب فيها المضيء والمظلم.

إن لم تقف مع المظلوم لم تكن مع نفسك، تغرَّبت عنك، وإن أوغلتَ أضحيتَ لا ـ أنت، ويومًا ما ستبكي لأنَّك نسيت طفولتك حين كان البشرُ لديك وجوهًا. لهذا، ربَّما قال يسوع بأنَّ الملكوت هو لمن صار مثل الأطفال. يولدُ الإنسان على كثير من الرقَّة والتعاطف، يتعلَّم الحقد لاحقًا، ويموت عندها شيئًا فشيئًا، أمَّا مَنْ يعود كالأطفال فيولد جديدًا، وهذه المرَّة «يولد من فوق». يولد الإنسان من الرَحم ومن الرحمة لتصبح الأخوَّة بلا حدود، ويصبحَ قادرًا على الحبِّ، والحبّ فِعلٌ في الدنيا كي تصبحَ سماءً، أي مكانًا يحيا فيه الناس بعدلٍ وأخوَّة.

بعدما رأى المسيحيُّون يسوعَ مُعلَّقا من قِبَلِ المستكبرين، باتوا حلفاءَ المقهورين في الأرض، أولئك الذين علّقهم المستكبرون على صليب الظلم اليوميّ. حين يصبح الإنسان مجروحًا مع المجروحين، ومُعتَقلًا مع المعتقلين، ومضروبًا مع المضروبين، ينخرطُ في ورشة تحرير البشريَّة التي أطلقها يسوع يومًا، ويتابعها مع كلّ أخواته وإخوته من الناس، أولئك الذي يناضلون في كلِّ ساعةٍ لكي يغيب مساءٌ ويكون صباحٌ، فتُخلَقُ الأرض من جديد بالحبِّ والحرِّيَّة، بروح اللَّهِ الذي يرفّ على وجه القلب، لتخلع الأرضُ عنها الخراب والفراغ وتلبس النور فنحتفل بالدهشة.

حدود القلب هي قلبُ المسيح، وذاك هو لا حدود، ولهذا مَن أحبُّوا وكانوا مع المظلومين عرفوا الحياة بدايةَ حبٍّ مفتوحةً على بداية، على بداياتٍ مُغَمَّساتٍ بالسهر والعمل والإبداع، ومُعَطَّرةً بالرجاء الذي لا يفتُر.

قلوبنا وعقولنا، وأفعالُنا على تواضعها، هي مع الفلسطينيَّات والفلسطينيِّين العظماء بإضرابهم الكبير اليوم، والذين يصرخون «لا» للمحتلّ العنصريّ، ويدقُّون باب الحرّيَّة بقلوبٍ مضرَّجة بالنضال والدم، محمَّلةٍ بالرغبة بالحياة، مدفوعةٍ بذكرى سنواتٍ من القمع، معمَّدةٍ بالحبّ، ومكلَّلةٍ بالشهادة.

فلسطين ستلد نفسها حرَّةً من الفصل العنصريّ، وبلادنا ستطرد عنها المستبدِّين، لنحيا معًا في الحرّيَّة والكرامة دون حدود.

ـ 2 ـ

الفلسطينيُّون وجه المسيح[204]

منذ زمنٍ بعيد، في لبنان، يحارب الكثيرُ من المسيحيِّين ـ وخاصَّة السياسيُّون منهم ـ المسيحَ بلا هوادة. قبل الحرب الأهليَّة كان للسياسيِّين «المسيحيِّين» الحصَّة الكبرى في استغلال البلاد والعباد، تعاملوا مع الدولة كمزرعة طائفيَّة، تشبَّثوا بمفاصل السلطة والاقتصاد للاستقواء على الطوائف الأخرى. أمَّا في الحرب الأهليَّة، فتعاملوا بشراسةٍ ما بعدها شراسة مع المسيح، عملوا ليل نهار على تشويه تعاليمه باستعمالهم المسيحيَّة كأداة حربٍ وجريمة. انتهت الحرب الأهليَّة، لكنَّ الخطاب الطائفيّ والعنصريّ لم ينتهِ، أتحفنا وزيرٌ «مسيحيّ» منذ أيَّام بمحاولته قتل الفلسطينيِّين وهم أحياء بالتضييق على القليل القليل الذي تسمح لهم به الدولة اللبنانيَّة، وأتحفنا وزيرٌ آخر باجترار أفكارٍ مفهومة بالحسّ الشعبيّ عبر العالم على

(204) مقالة منشورة في صحيفة «الأخبار»، الخميس 25 تمُّوز 2019.
https://al-akhbar.com/Opinion/274035

أنَّها عنصريَّة: «فليتوزَّع الفلسطينيُّون على الدول العربيَّة»، هذا عدا «جينات لبنانيَّة» ابتكرتها عنصريَّة سياسيّ آخر مؤخَّرًا.

أيّ لغةٍ تتكلَّم مع هؤلاء وغيرهم؟ أَو تتكلَّم لغة حقوق إنسان؟ ماذا تقول؟ تقول لهم أنتم تخالفون مبادئ شرعة حقوق الإنسان؟ تتكلَّم لغة الإيمان مع هؤلاء وغيرهم؟ ماذا تقول؟ تقول لهم إنَّ المسيح ساوى بينه وبين المسحوقين وأنَّكم إن رفضتم هؤلاء رفضتموه؟ ماذا تسألهم؟ أو تسألهم إن كانوا يردِّدون ببغائيًّا عبارة «المحبَّة» المسيحيَّة فقط ليرتاحوا أنَّ دينهم جميل، وربَّما أيضًا «متفوّق»، بينما يمارسون عكس المحبَّة دون أن يرفّ لهم جفن؟

هؤلاء وغيرهم لا يعرفون، ربَّما، أنَّهم يصلبون المسيح يوميًّا عندما ينهبون، ويساهمون بخراب الاقتصاد بتمسُّكهم الأعمى بالطائفيَّة وبسياسات إجراميَّة تدمِّر البلاد وتفيد الزعماء، ويخلقون الفقر ثم يتاجرون بالفقراء. هؤلاء وغيرهم لا يعرفون، ربَّما، أنَّهم يصلبون المسيح عندما يضيِّقون على الفلسطينيِّين عوض أن يسهِّلوا حياتهم بكرامة. من يعش بحسب الإنجيل يفهم أنَّ الفلسطينيِّين، كما كلّ مهمَّش، هم وجه المسيح، وأنَّهم وجه المسيح بامتياز لأنَّهم مهمَّشون بامتياز، فالمسيح وحَّد نفسه بشكلٍ خاصّ مع المهمَّشين. ولكنَّ الطائفيِّين والعنصريِّين لا يفهمون هذا الكلام مع أنَّه كلام المسيح بالذات، هم يفضِّلون مسيحًا يبنونه على شاكلتهم، يفضِّلون صليبًا يستخدمونه لتحقيق المكاسب والتسلُّط لا لإشاعة المحبَّة. يفضِّلون صنمًا للعبادة يصوِّرونه على شاكلة مصالحهم، لا أن يحيوا على صورة المسيح. أيّ لغةٍ تتكلَّم مع هؤلاء؟ مع هؤلاء لا ينفع الكلام، هؤلاء يعلمون ماذا يفعلون، يعلمون أنَّهم يستغلُّون كلّ شيء وحتى اللّـه لخدمة مصالحهم، ومستعدُّون لعقلنة كلّ عنصريَّةٍ وفسادٍ وجريمة. نتكلَّم فقط لنشهد ولكي يتنبَّه من انجرَّ وراء هؤلاء دون أن يدرك إلى أين ينحدرون به.

يدعونا يسوعُ المسيح إلى تجاوز الانغلاق، إلى تجاوز النظر إلى الآخر المختلف على أنَّه «غريب»، إذ لا يحتكر أحدٌ ولا جماعةٌ «صورة اللّـه» ولا الصفة الإنسانيَّة، ولا أبوَّة اللّـه للبشر. إنَّ دعوة المسيح هي لتجاوز كلّ نظرةٍ إلى آخر على أنَّه «غريب»، هي دعوة لمحبَّة «الغريب» عن القبيلة العائليَّة، أو الطائفيَّة، أو الوطنيَّة، أو القوميَّة. إنَّ وصيَّة محبَّة «الغريب» موجودةٌ في وصيَّة محبَّة «القريب»، فيسوع كان واضحًا أنَّ الإنسان «القريب» هو نفسه الإنسان «الغريب» الذي يصبح قريبًا إنْ أحببناه (مثل السامريّ الشفوق). كلّ إقصاءٍ «للغرباء» عن المحبَّة والعدل هو في الآن عيْنه إقصاءٌ للذات عن اللّـه، وعودةٌ إلى عبادة الأصنام: صنم الدين، أو الطائفة، أو العائلة، أو الوطن، أو القوم، أو الحزب، أو ما شئتم. ومن هذه الزاوية، يمكن فهم الربط الذي أقامه الرسول يوحنّا بين محبَّة البشر وبين محبَّة اللّـه، بقوله «إنَّ الذي لا يُحِبّ أخاه الذي يراه، لا يَقْدِر أن يُحِبّ اللّـه الذي لا يراه».

حتّى في العهد القديم، كانت الدعوة لمحبَّة «الغريب» عن القبيلة حاضرةً بشكلٍ متواصل: فـ «شريعة واحدة تكون للمواطن والغريب النازل فيما بينكم» (خروج 49:12) «والغريب فلا تظلمه ولا تضايقه، فإنَّكم كنتم غرباء في أرض مصر» (خروج 25:22). «وليكن عندكم الغريب المقيمُ فيما بينكم كأحد مواطنيكم، أحبُّوه مثلما تحبُّون أنفسكم، لأنَّكم كنتم غرباء عن أرض مصر» (لاويين 33:19 ـ 34). وأمَّا يسوع فقد وحَّد نفسه بالغرباء، وجعل من إيوائهم شرطًا لدخول الملكوت «كنت غريبًا فآويتموني»، وجعل من الامتناع عن إيوائهم مانعًا من دخول الملكوت «كنتُ غريبًا فلم تأووني»، ويوضّح لمن يتساءلون أنَّهم لم يروا يسوع في حياتهم ليساعدوه «بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الصغار [المهمَّشين]، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا». الفلسطينيُّون ليسوا غرباء هم أخوة في الإنسانيَّة أساسًا، وشعبٌ مهجَّرٌ مشرَّدٌ يختنق من

قلّة الحيلة، ضيّقت عليه الجريمة الأصليّة التي ما تزال ترميه خارج أرضه، وجريمة القوانين المجحفة التي تنال منه كلّ يوم في بلادٍ غارقة حتّى أذنيها في النهب الطائفيّ والعنصريّة.

إنّ الدعوة لمحبّة الآخرين في الإيمان المسيحيّ هي دعوةٌ لعبادة اللّـه، هي دعوةٌ لتجاوز كلّ صنمٍ يفصل بين الـ «نحن» والـ «هُم»، بين «الأقرباء» و«الغرباء». دون محبّة الغريب نحن لسنا أحرارًا وإنّما عبيد أصنامنا، ولذلك فالحرّيّة المسيحيّة تقتضي إنصاف الفلسطينيّين، والعمل بلا كلل على إنهاء النظام الطائفيّ الذي يفقّر اللبنانيّين ويسمّم أفكارهم وأفعالهم وحياتهم الإيمانيّة، عوض التعلُّل بطائفيّة «الآخرين» للتمسُّك بطائفيّة الذات الجماعيّة المنتفخة بالوهم. إنّ الحرّيّة المسيحيّة تعني الانتصار على كلّ ما يعمل على تغريب الإنسان عن الآخر، أي عن نفسه. الحرّيّة المسيحيّة هي ثورة الإنسان الذي يريد تأسيس عالم مشاركة لا عالم قبائل، عالم حياة للجميع لا عالم انتحارٍ جماعيّ.

مكتبة
t.me/soramnqraa

-3-

جسدُ المسيح المرفوع في غزَّة[205]

يُدافع الفلسطينيُّون عن وجودهم بأجسادهم العارية من أيِّ سلاح سوى سلاح الحقّ والشجاعة. تدفَّقوا بالآلاف في «مسيرة العودة الكبرى»، غير آبهين بحتميَّة الرصاص الحيّ، ولا بموت. أعلنوا بشهادتهم أنَّهم يحبُّون الحياة ولا يتعلَّقون بمجرَّد العيش، وأنَّ الحياة لا تكون إلَّا بكرامة وحرِّيَّة. ألم يكن هذا لبّ ما نطقت به شهادة يسوع على الصليب، عندما أسلم نفسه حبًّا بالحياة الحقَّة غير آبهٍ بالموت، ليعلن بأنَّ الحياة لا تكون بتجنُّب الموت وإنَّما بمواجهة الكراهية والحقد بالجسد المقدَّم ذبيحةَ حرِّيَّةٍ وحياةٍ وحبّ، من أجل مَن نحبّ؟

الحقيقة تُضيء ولا تتصالح مع الظلم، بل تفضحه، لهذا لا يطيق الظالمون الحقيقة، بل يسعون إلى تطويعها، وإسكاتها، وقتلها وإبادتها إن

(205) خريستو المرّ، جسدُ المسيح المرفوع في غزَّة، صحيفة «الأخبار»، الجمعة 1 حزيران/ يونيو 2018.

https://al-akhbar.com/Opinion/251214

استطاعوا. لم يطق الفرّيسيُّون يسوع الذي قال لهم إنَّهم كالقبور الجميلة في الخارج والتي يملأها الدود في الداخل، ولا يطيق المحتلّ حقيقة الفلسطينيّين العزّل لأنَّها تذكّره بأنَّهم موجودون ولم يصمتوا ولا يُطَوَّعوا ولم يُبادوا، لأنَّ وجوه الأطفال والرجال والنساء الصارخة بحرّيَّتها وبحقِّها في أرضها، تُذكّره بأنَّ الوجه الخارجيّ الدعائيّ للاحتلال «الجميل»، يغطّي بشاعة الظلم والقتل والاستلاب. لا يتصالح احتلالٌ مع جريمته، لا يستطيع أن يعيش معها بسلام، يسعى إلى أن يطوّعَ أو يمحوَ الشعبَ المُحتَلَّ ليمحوها، ولا ينجح، فيقتل. يقتل لينسى أنَّه قتل، يقتل اليوم ليمحو واقع أنَّه قتل في الماضي، يبقى المُحتَلُّ أسيرًا في جحيم القتل الذي صنعه بيديْه، ويجعل من حياة شعبٍ آخر جحيمًا يوميًّا. لا نهاية لهذا الجحيم إلَّا بإسقاط الاحتلال وإحقاق الحقّ.

تصرخ أجساد الفلسطينيّين العارية من كلّ سلاح والمخضَّبة بدماء الشهادة، تصرخ دماؤها في الأرض إلى كلّ مَن يسمع، إلى كلّ مَن يرى، إلى كلّ من لم يدفن رأسه في رمل أوهام هذا العالم، «نحن أخوتكم أيضًا»؛ تصرخ للناس في بلاد العرب «نحن أنتم غدًا، قفوا مع أنفسكم اليوم»، ويصرخ قايين الاحتلال والذي يصمت عن الاحتلال «ألعلّي حارسٌ لأخي؟» الجريمة الأولى كانت جريمة بين أخوة، لأنَّ كلّ جريمة هي جريمة بين أخوة، وكلّ صمت عن جريمة هو صمت أخوة.

الضحايا تسقط في النضال العنفيّ واللاعنفيّ، أن يسقط شهيدٌ خلال نضاله دون أن يُطلق نارًا لا يقلّل من شجاعته، بل يزيد منها. في الأسبوع المنصرم، تجلّى يسوع بالأجساد العارية من السلاح والمرفوعة خارج أسوار المدينة الظالمة على صليب المُحتَلّ؛ وهي مرفوعةٌ طوعًا من أجل حياة الإنسان الفلسطينيّ وإنقاذه (وهو الأولويَّة)، لكنَّها مرفوعةٌ

في المطلق من أجل الجميع، لأنَّ مسيرة التحرير تنقذ حتى المُحتلّ من وحشيَّة احتلاله، بردعه.

الفلسطينيُّون المتدفِّقون في غزَّة شكَّلوا جسدًا رمزيًّا للمسيح ممدَّدًا على صليب الاحتلال والكراهية. توحَّد الفلسطينيُّون الثائرون، العارون من كلِّ سلاح، مع المسيح السيِّد الثائر على الظلم، العاري من كلِّ كراهية، والمعلَّق على الصليب. لن يُخذَل مَن كانوا واحدًا مع سيِّد الأحرار المحبِّين، سيِّد شهداء الحرِّيَّة والحقّ، هؤلاء يَجِدون الحياة المتدفِّقة من جنبِ المطعون بحربة، وهم عند ربّهم أحياءٌ بالشهادة لصرخة الحرِّيَّة، تلك النابعة من اللّـه؛ فتوق القلوب إلى الحرِّيَّة غرسه ينبوعُ الحرِّيَّة، لكي بمسيرتنا إلى الحرِّيَّة نذوق طعم اللقاء به منذ اليوم، هو مبدأ الحرِّيَّة والحبّ المقاوم اللذَين تجلّيا بيسوع.

فلسطين يُحرِّرها نضالٌ ليس كنضالِ تُجَّار القضايا، نضالٌ خالٍ من الظلم والقمع، نضالٌ يرفض أن يكون الصورة الأخرى للجلَّاد بحقِّ أيِّ أحد؛ نضالٌ من أجل الحياة بحرِّيَّة من كلِّ ظلم وكلِّ قمع، ومن أجل مزيد من الحبّ، من أجل حبٍّ للحياة لا يتوانى فيه الإنسان عن بذل ذاته من أجل أحبّائِه ومن أجل الحقّ.

- 4 -

الفلسطينيُّون - المسيح[206]

لماذا الفلسطينيُّون حاضرون في ضميري وعملي؟ ليس لأنَّهم من العالم العربيّ، ولا لأنَّهم يُشبهونني لغةً أو ثقافةً، بل لأنَّهم يُشبهون المسيح.

هم أيضًا يُشبهون إنسانًا أخبر عنه يسوع. إنسان مضروبٌ متروكٌ على قارعة الزمن والشاشات، يجتاز به بشرٌ قريبون منه، ولكنَّهم يُسرعون الخُطى، لا يلتفتون إليه، لانشغالهم بالخبز وبالطقوس، أو بالنفط والمال والسلطة؛ إنسان يحتاج أن يقف إلى جانبه إنسانٌ ليُصبحا قريبَيْنِ؛ وعندما أخبرَ يسوعُ عن ذاك الإنسان وَكَّلَني به كي لا يموت، وكي لا أموت إنْ ماتَ وحيدًا.

الفلسطينيُّ في ضميري لأنَّه اليومَ مظلومٌ، لأنَّه يحمل سِمات المسيح الذي قال فيه إشعياء إنَّه «محتقرٌ ومخذولٌ من الناس، إنسان أوجاعٍ ومختبِرٌ الحزنَ... مُحتقَرٌ فلمْ نَعتَدَّ به، لكنَّ أحزانَنا حملها، وأوجاعَنا تحمّلها» حين

(206) مقالة إلكترونيَّة منشورة على الإنترنت، الثلاثاء 11 أيّار/مايو 2021.

أخَذَ عام 1948 على جسده الضرباتِ الأولى للوحش الأوروبيّ القادم من بعيد. ونحن «حسبناه مُصابًا مضروبًا من اللّـه ومذلولًا» لأنَّه في المخيَّمات، وهو «مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا»، فإثمنا ومعصيتنا أنَّنا نتركه وحيدًا معلّقا على خشبة الاحتلال مسمَّرًا بمسامير التمييز العنصريّ.

أنا مع دماء الفلسطينيِّين، لأنَّهم كمظلومينَ نزيفُ الثائرِ المعلَّق خارج الأسوار، وأنا أتيتُ وآتي من جنب المطعون بِحَرْبة. هناك شيءٌ في الكيانِ المُعَمَّدِ بكلمات يسوع، وبالروح الذي يهبّ في القلوب لتصبحَ سماءً أو تجلّياتِها، شيءٌ يحتجّ ويرفض أن يستكينَ أمام الوجوه المضروبةِ بالظُلمِ، والدماءِ المسفوكةِ على الأرض. شيءٌ ما يخضُّ القلب ويعود بالذاكرة إلى هابيلَ الذي سفك أخوهُ دماءَه وأبغضه دون سبب. لا يسعُ مَن فتحت عينيْه أحرفُ الإنجيل على يسوع أن يُغلقَهما عن يسوعَ الذي قال أنا والمظلوم واحد.

لا فصل بين آلام الناس وآلام السيِّد الأوحد، سيِّد الحبّ الثائر الذي يحضن طعنةً كي لا يُطعَنَ أحدٌ بعد الآن دون احتجاجٍ ومقاومة. السيِّد أتى وقال لي: إقبلني فيكَ كي لا تنامَ نومةَ الموت، وانْزِل كلَّ جحيمٍ لتكسر معي أبوابَها، فنُعَمِّدَ معًا الأرضَ بالحبّ لتصبحَ سماءً؛ أعدك أنَّك قد تفقد أشياءَك، وأعدك أنَّك لن تفقدَ نفسك.

المسيح لاجئٌ، وولدٌ حملَ حجرًا، وشابَّةٌ دفعت عنها الشرطيَّ الذي ضربها، وشابٌّ رفع العلمَ، وإنسان قال إنَّه يريد الحرِّيَّة، قالها بِعُضْوٍ مبتورٍ من جسمه، بصدرٍ مثقوبٍ، وبصرخةِ جسدِهِ تحت الركام.

الوقوف إلى جانب حياة الفلسطينيِّين هو رفضٌ للظلم وشهادةٌ بأنَّ حقوقَ الإنسان هي للجميع، وليست لمجموعةٍ من الناس فقط. هو احتجاجٌ

على نفاق الحكومات العربيَّة والأوروبيَّة والأميركيَّة ـ وهاتان الأخيرتان ترتاحان لخطاب حقوق الإنسان، وتُشيحان بوجهيْهما عن الإنسان المسحوق إن كان آخرَ ولم يكن حليفًا أو عبدًا، أي إن لم يكن وسيلةً لتحقيق مصالحهما. وفي مكانٍ ما، ترتاح «أخلاقها» للانكسار الفلسطينيّ، لأنَّه يسمح لها أن تُدْفِقَ العطاءَ الماليّ لتخدِّر احتجاجاتِ الضمير على حمايتها لسياسات القتل والعنصريَّة، ولنظام الفصل العنصريّ. فيصبح الشقاء الفلسطينيّ مرآةً ترى فيها أنَّها أخلاقيَّة.

تمرُّدُ الفلسطينيِّين الكاملُ شهادةٌ على أنَّ التوقَ إلى الحرِّيَّةِ لا يمكن أن يُقمَع. فلا حياة على هذه الأرض لاحتلالٍ، ولا لنظامِ فصلٍ عنصريٍّ إسرائيليّ، ولا لنظام قمعٍ عربيٍّ يقتات بالنفاق. التمرُّدُ الفلسطينيّ يشهدُ لعظمة الإنسان الواقف أمام «الوحش الطالع من الهاوية» والمتسلِّح بحقِّه في الحياة وفي الأرض، يشهد لانتصار «جاورجيوس» القادم.

يحتفل المسيحيُّون بعيد الصعود (بعد شهر)، و«صعود يسوعَ إلى السماء» إشارةٌ إلى أنَّ المصيرَ الذي يريده المسيح للإنسان هو أن يسكن الكرامةَ والنورَ مع اللّـه. كلّ نشاطٍ يحترم الكرامة الإنسانيَّة، ويعمل في سبيل تحريرها، ونموِّها في أضواء الحرِّيَّة، ترجمةٌ للصعود. ويحتفل المسلمون بعيد الفطر (بعد يوم) فرحًا يتوِّجُ مسيرة عبور صحراء الصوم. ويومًا ما سنحتفل بالفطرِ بحرِّيَّة، في عرس سماءٍ وأرضٍ جدَّدتهما محبَّةُ الحقّ المناضِل، فيُنزِلُ ربّنا علينا مائدةً للحرِّيَّةِ والكرامةِ «مائدةً من السماء تكون لنا عيدًا لأوّلِنا وآخرِنا وآيةً» منه (المائدة، 114)، فنفرح بفلسطين في فلسطين.

الكاتب

موقع إنترنت: https://www.christoelmorr.net

حائز على دكتوراه في المعلوماتيَّة الصحِّيَّة، جامعة كومبيني compiègne التكنولوجيَّة (1997)، وعلى إجازة في اللاهوت من معهد القدّيس سرجيوس الأرثوذكسي، باريس، فرنسا (2013).

باحث في علوم تطبيقات الكومبيوتر في مجال الصحَّة، يغطّي بحثه مجال الصحَّة النفسيَّة وإدارة الأمراض المزمنة، حقوق الإنسان، حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، والعنف ضدَّ المرأة.

عمل في جامعة البلمند في لبنان وفي الجامعة الأميركيَّة في الشارقة، والجامعة الأميركيَّة في الكويت، وفي جامعة يورك كندا منذ عام 2005.

مساهم في مجلَّة النور الأرثوذكسيَّة وفي الصحف اللبنانيَّة، ومجلَّة الآداب، من خلال عددٍ من المقالات في مجالات الثقافة، الإيمان والتزام شؤون الإنسان، وقضايا الشأن العام.

نشر عدَّة كتب في اللاهوت تتمحور حول عيش الإيمان في الحياة اليوميَّة، الحرِّيَّة الإنسانيَّة والعدالة الاجتماعيَّة، لاهوت التحرير، النضال العنفيّ والنضال اللاعنفيّ، واللاهوت النقديّ الذي يسعى لتفكيك أسباب الفصام بين الفكر الإيمانيّ والتطبيق العمليّ من خلال مقاربتيْن إيمانيَّة وإنسانيَّة.

صدر له ديوان شعري «كلمات للضياع، حبيبة للمنفى» (2018).

عضو في حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة، وعضوٌ مؤسّس في كلٍّ من المنتدى الأكاديميّ الكنديّ اللبنانيّ، ومجلّة تيلوس ـ غرب آسيا وشمال أفريقيا، وأساتذة من أجل فلسطين ـ كندا.

مؤلَّفات أخرى للكاتب

شعر

- **كلمات للضياع ... حبيبة للمنفى** (شعر)، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2018 (متوافر على أمازون)
- **قبل الشمس بوردة** (شعر)، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2022 (متوافر على أمازون)

لاهوت

- **خادم الحبّ: العقل في الإيمان المسيحيّ**، تعاونيّة النور للطباعة والنشر، بيروت، 2022 (متوافر على أمازون).

«بانوراما هائلة من العبث والفوضى تتداخل في نسيجٍ حاذق داخل كلّ قصيدة من قصائد المجموعة الشعريَّة المعنونة «كلماتٌ للضياع... حبيبة للمنفى» لتُعبِّر عن هذا الاشتباك الزمنيّ التائه واللانهائيّ في دورانه؛ وليؤلِّف الدكتور الشاعر خريستو المرَّ من تناقضاته الحيَّة مشهدًا لعالمٍ مضطرب يحياه بخرابه، فنراه يبحث عن كلماتٍ تجمَّعت فيها الدماء التي سالت من جسد المسيح عند صلبه لتتمثَّل فيها الذروة التراجيديَّة للقصيدة، «وإنّي أُشابهُ وجهي/أمام جراحِ الغريبِ/ كما اللّهُ يشبهُ ذاتَهُ/ فوق الصليبِ/ وأُشبِهُ قلبي/ إذا عَرَفَتْ كلماتي الضياعَ/ وعادتْ كحبّةِ وهجٍ/ كعنقودِ عُمْرٍ/ سعيد (...)». فثمَّة علاقة

بين ذات الشاعر وذاك الإرث اللاهوتيّ الروحيّ الذي يجمع بين الإفناء والتطهير بحثًا عن واقعٍ آخر بديل، فيه متّسعٌ لكثير من القيم المفقودة، والمفتقدة، لتأتي قصائده بمثابة نقط ضوء بارقة في نفقٍ مظلم تبشّر بالسلام الروحيّ والحرّيّة والحبّ: «هو الحبّ، يخلقنا جسد اللّه، يصلبنا،/ أو يُعير البدايةَ جسمًا/ ويُشرقُ وجهًا على قمرٍ/ ويضيء الحكاية/ هو الحبُّ/ لا حبّ إلّا هو/ وهو الحبّ/ فينا هنا/ صَمَدٌ/ أَحَدٌ/ والدٌ ولدٌ». ما يُميّز شعريّة خريستو المرّ في مجموعته الشعريّة «كلمات للضياع... حبيبة للمنفى» عن النصوص الشعريّة الاعتياديّة القدرة على الخلق الحرّ والانخطاف الإيمانيّ بالشعر. فهي وما تحمله من رؤى عديدة تعدّ حالةً شعريّة لها فرادتها النصّيّة، وبنيتها الخاصّة، ومعطياتها الجماليّة، وإشراقها بإضاءات صوريّة ولغويّة ودلاليّة وإيحائيّة خاصّة لأرباب الشعر الحديث. تضمّ المجموعة قصائد في الشعر العربيّ الحديث، توزّعت في الكتاب على ثلاثة عناوين رئيسيّة هي: 1 ـ «حكاياتٌ للعصافير» وتضمّ إحدى وأربعين قصيدة. 2 ـ «حكاياتٌ للضوء» وتضمّ إثنتي عشرة قصيدة. 3 ـ «حكاية درويش» وتضم قصيدتيْن.

لاهوت

- **خادم الحبّ: العقل في الإيمان المسيحيّ**، تعاونيّة النور للطباعة والنشر، بيروت، 2021 (تحت الطبع).
- **مع المسيح في جحيم هذا العالم، نصوصٌ في محوريّة الإنسان**، دار «لا» للنشر، تورونتو، كندا، 2021 (متوافر على أمازون).
- **كوستي بندلي: وجه للضوء والحبّ والحرّيّة**، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2019.
- **الإيمان بين المحبّة وعبادة الأصنام: مقاربة إيمانيّة**، تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2016.
- **القيامة في حياتنا اليوميّة**، تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2015.
- **التجسّد في حياتنا اليوميّة**، تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2015.
- **وعود الإعلام وأوهام الحرّيّة: المسيح والتحرير**، تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

المراجع

المراجع العربية

1. «البطريرك إغناطيوس الرابع زار المملكة أيضًا وشارك في أعمال القمّة الإسلاميّة منتصرًا للبنان،» النهار، 2017/11/3.
2. «أندلس الحبّ» عمل يُعيد زمن التمرُّد والحرّيّة، مارسيل خليفة: العشق فعل مقاومة، اسكندر حبش، الأربعاء 9 أذار 2016.
3. «بيان المجمع الأنطاكيّ المقدّس 1975،» مجلّة النور، 1، 1984، ص 19.
4. الرسالة الراعوية لبطاركة الشرق الكاثوليك: مسيحيو الشرق اليوم، مخاوف وآمال، الجمعة 3 أغسطس، 2018.
https://www.lpj.org/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AB/?lang=ar
D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%88%D9%8A%D8%%A9-
D9%84%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9-%
D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%
5. المطران جورج خضر، «العرب» النهار، 2002/3/30.
6. المطران جورج خضر، «الميلاد والإرهاب» النهار، 2001/1/22.

7. المطران جورج خضر، «دخول يسوع إلى أورشليم» النهار، 2002/4/27.
8. المطران جورج خضر، «غزّة»، مصدر سبق ذكره.
9. المطران جورج خضر، «غزّة» النهار، 2009/1/3.
10. المطران جورج خضر، «ماذا بعد غزّة؟» النهار، 2009/1/24.
11. المطران جورج خضر، الكنيسة والدولة، لبنان: منشورات النور، 1982، ص 39 ـ 40.
12. انظر أيضًا جورج قرم، «انفجار المشرق العربيّ»، ندوة مركز الجزيرة للدراسات، 2 كانون الأوّل، 2007.
https://www.youtube.com/watch?v=bf9Du7pP1kQ
13. إلياس خوري، «حطام السفينة» السفير، 1986/10/18، ص 9.
14. بيان صادر عن لجنة العدل والسلام بخصوص مسألة التطبيع، الاثنين 22 مايو، 2017
https://www.lpj.org/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%A9-D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9/?lang=ar
15. بيير أبي صعب «أمين معلوف... ليون الإسرائيليّ»، صحيفة «الأخبار»، الثلاثاء 7 حزيران، 2016.
https://al-akhbar.com/Last_Page/214902
16. تمييز في الصحّة، «الوضع الصحّي لدى الأقلّيّة الفلسطينيّة العربيّة في إسرائيل»، المؤسّسة العربيّة لحقوق الإنسان، 25 شباط 2009.
17. جورج قرم، «انفجار المشرق العربيّ: من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق 1956 ـ 2006»، بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2006.
18. خريستو المرّ، «الإيمان بين المحبّة وعبادة الأصنام»، تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بيروت، 2016.
19. خريستو المرّ، «دعاية مذبحة: الدعاية الإسرائيليّة أثناء مذبحة غزّة»، مجلّة الآداب، عدد 4 ـ 6، 2009.
20. خريستو المرّ، الانقلاب على المبادئ: هل من تقييم أخلاقيّ؟، مجلّة «الآداب»، العدد 9 ـ 10، 2009.

21. خريستو المرّ، الإنسان والمبادئ: حملة المقاطعة لإسرائيل نموذجًا، صحيفة «الأخبار»، السبت 3 حزيران 2017.
https://al-akhbar.com/Opinion/231458

22. خريستو المرّ، الإيمان المسيحيّ والمقاطعة وفلسطين، مجلّة الآداب، العدد 6، 2019
https://al-adab.com/article/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-
-D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%%B9%D8%A9-
D9%88%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%

25. خريستو المرّ، الثقافة والمقاطعة: أيّة علاقة؟، صحيفة «الأخبار»، العدد 3378، الأربعاء 24 كانون الثاني 2018.
https://al-akhbar.com/Opinion/243681

26. خريستو المرّ، الحبّ والمقاومة: مخاطر اللاحبّ في بعض كلام مرسيل خليفة، صحيفة «الأخبار»، العدد 2847 الجمعة 25 إذار 2016.
https://al-akhbar.com/Opinion/6422

27. خريستو المرّ، الفلسطينيّون وجه المسيح، «الأخبار»، الخميس 25 تمّوز 2019.
https://al-akhbar.com/Opinion/274035

28. خريستو المرّ، القيامة في حياتنا اليوميّة، فصل «القيامة والتزام شؤون العالم»، سلسلة خبز وملح، 3، «تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع»، 2015.

29. خريستو المرّ، المسيحيّة بين الحياد والالتزام، مجلّة «الآداب»، بيروت، 12 كانون أوّل/ديسمبر، 2020.

30. خريستو المرّ، أمين معلوف والمقاطعة، صحيفة «الأخبار»، الخميس 9 حزيران 2016.
/https://www.al-akhbar.com/Opinion/215027

31. خريستو المرّ، جسدُ المسيح المرفوع في غزّة، صحيفة «الأخبار»، الجمعة 1 حزيران/يونيو 2018.
https://al-akhbar.com/Opinion/251214

32. خريستو المرّ، صحيفة «الأخبار»، الأربعاء 15 حزيران 2016.
https://al-akhbar.com/Opinion/215295

33. خريستو المرّ، فلسطين: وسائل تحرير عنفيّة أم لا عنفيّة؟، صحيفة الأخبار، الإثنين 15 أيلول 2014.

https://al-akhbar.com/Opinion/37892

34. خريستو المرّ، مواجهة إسرائيل كمسؤوليّة إيمانيّة، مجلّة «النور»، السنة 65، العدد 5، 2010.

35. راجع التقرير التالي الذي يذكر مثلًا حالة القياديّ الفلسطينيّ الطبيب مصطفى البرغوتي.

36. راجع المقال على موقع للمجموعة اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة: «ليس باسمنا» (Not In Our Name)

37. راجع تقرير منظّمة العفو الدوليّة عن الأوضاع في فلسطين عام 2020.
https://www.amnesty.org/en/countries/middle-east-and-north-africa/israel-and-occupied-palestinian-territories/report-israel-and-occupied-palestinian-territories/

38. عدالة، المركز القانونيّ الحقوقيّ لحقوق الأقلّية العربيّة في إسرائيل (تمّ الوصول إلى الموقع في: 29 آذار 2009).
https://www.adalah.org/en/content/view/6787

39. كوستي بندلي، «إسرائيل بين الدعوة والرفض»، منشورات النور 1985، ص 71 ـ 73.

40. كوستي بندلي، «إله الإلحاد المُعاصر»، منشورات النور، بيروت، 1968، ص 85.

41. كوستي بندلي، «نضال عنفيّ أم لاعنفيّ لإحقاق العدالة؟»، منشورات النور، بيروت، 1988.

42. كوستي بندلي، «نضال عنفيّ أو لاعنفيّ لإحقاق العدالة؟»، منشورات النور، 1988

43. كوستي بندلي، إسرائيل بين الدعوة والرفض، لبنان: منشورات النور، 1985، ص 21.

44. كوستي بندلي، إسرائيل بين الدعوة والرفض، منشورات النور 1985، ص 79.

45. محكمة العدل الدوليّة، «الآثار القانونيّة الناشئة عن تشييد جدار في الأرض الفلسطينيّة المحتلّة»، 13 تمّوز 2004.

46. هذا موضوع كتابيْن سيصدران عن تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع، بعنوان «الإيمان بين المحبّة وعبادة الأصنام»، 2016 (جزء 1 و2).

47. هيومان رايتس واتش، «سؤال وجواب عن الأعمال العدائيّة بين إسرائيل وحزب اللّه»، 16 تمّوز، 2006.
https://www.hrw.org/ar/news/2006/07/16/230291

48. وقفة حقّ، https://www.kairospalestine.ps/sites/default/files/Arabic.pdf

49. وليد الخالديّ، الصهيونيّة في مئة عام، دار النهار، ط. 2، 2002، ص 11 ـ 15.

المراجع الأجنبية

1. Addameer, «Action Alert: International Community Must Take Immediate and Concrete Measures to Halt Israel's Aggression Against Palestinian Jerusalemites», May 5, 2021. https://www.addameer.org/news/4385
2. AFP with The Daily Star, The Daily Star, Dec. 29, 2008.
3. AFP, «Israeli guns bombard Gaza in escalation of Hamas war», Jan 03, 2009. https://www.youtube.com/watch?v=aLFSkYMa-_M
4. Agence France-Presse, «Israel offensive heightens Gaza humanitarian crisis: aid agencies», Jan 04, 2009. https://www.abc.net.au/news/2009-01-05/israel-offensive-heightens-gaza-humanitarian/256264
5. Akiva Eldar, Amos Harel, Amira Hass, Avi Issacharoff and Anshel Pfeffer, "UN rejects IDF claim Gaza militants operated from bombed-out school», Haaretz, 2009-01-07. https://www.haaretz.com/1.5059715
6. Alain Gresh, «Khaled Mechaal : «Nous voulons un Etat dans les frontières de 1967»» lundi 22 décembre 2008. http://blog.mondediplo.net/2008-12-22-Khaled-Mechaal-Nous-voulons-un-Etat-dans-les
7. Alan Cowell, «Tutu criticizes Israel on trip to Holy Land», St. Petersburg Times, Dec 24, 1989
8. Aljazeera, «Israel frees Palestinian prisoners,» Monday, August 25, 2008. https://www.aljazeera.com/news/2008/8/25/israel-frees-palestinian-prisoners-4
9. Amira Haas, «Gaza strike is not against Hamas, it's against all Palestinians», Haaretz, Dec 29, 2008. https://www.haaretz.com/1.5079330
10. Amnesty International, «Gaza Civilians Endangered by the Military Tactics of Both Sides», Jan 08 2009. https://www.amnesty.org/en/latest/press-release/2009/01/gaza-military-tactics-both-sides-endangering-civilians-says-amnesty-inte/
11. Amos Harel and Avi Issacharoff, «Price of stubbornness over Gaza exit is dead soldiers», Haaretz, Jan 06, 2009.
12. Amos Harel, «Peace Now report: Settlements build on just 9 percent of state-allocated land», Haaretz, July 07, 2007, https://www.haaretz.com/1.4950348
13. Amos Schocken, «Citizenship law makes Israel an apartheid state», Haaretz, June 27, 2008. https://www.haaretz.com/1.4996790

14. Amy Goodman, «A Debate on Israel's Invasion of Gaza: UNRWA's Christopher Gunness v. Israel Project's Meagan Buren,» Democracy Now, 2009-01-05. http://www.democracynow.org/2009/1/5/a_debate_on_israels_invasion_of

15. Ari Shavit, "The big freeze,» Haaretz, Oct 10, 2004. https://www.haaretz.com/1.4710587

16. Attila Somfalvi, «Sheetrit: We should level Gaza neighborhoods,» Yediot Ahronot, Feb 10, 2008. https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3504922,00.html

17. Avi Shlaim, «How Israel brought Gaza to the brink of humanitarian catastrophe», Guardian, 7 January 2009. http://www.guardian.co.uk/world/2009/jan/07/gaza-israel-palestine

18. B'Tselem, «Forbidden Roads: The Discriminatory West Bank Road Regime», August 2004 http://www.btselem.org/English/Publications/Summaries/200408_Forbidden_Roads.asp

19. B'tselem, «Statistics on administrative detention». http://www.btselem.org/english/Administrative_Detention/Statistics.asp

20. Barak David, «Disinformation, secrecy and lies: How the Gaza offensive came about», Haaretz, Dec 28, 2008. https://www.haaretz.com/1.5078932

21. Barak Ravid, «Peres: No Gaza truce right now, Hamas needs a 'real lesson,» Haaretz, Jan 04, 2009. https://www.haaretz.com/1.5058367

22. BBC World News, Jan 02 2009; 11:00 p.m. (Toronto)

23. BBC World News, Jan 04, 2009, 9:15 a.m. (Toronto)

24. BBC, «Casualties rise in Gaza offensive», Jan 06, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7812286.stm

25. BBC, «Israel accused over Gaza wounded», January 08, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7817926.stm

26. BBC, «Strike on Gaza school 'kills 30'», Jan 06, 2009. http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7814054.stm

27. BBC, «Un Rules against israeli barrier», July 9, 2004 http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/3879057.stm

28. BBCWorld News, Jan 04, 2009, 6:07 p.m. (Toronto)

29. Berdiaeff, Nicolas, «Au seuil de la Nouvelle époque», Delachaux et Niestlé, 1947, p. 106

30. CBS News Video, «Is Peace Out of Reach» https://www.cbsnews.com/video/is-peace-out-of-reach/

31. Clyde Haberman, «At Israel Rally, A Word Fails,» New York Times, July 18, 2006, p. B1

32. Cnaan Liphshiz, «Canada schools blasted for ban on anti-Israel 'apartheid' poster», Haaretz, Feb 27, 2009. https://www.haaretz.com/1.5080868

33. CP 24 news channel, Jan 03, 2009; 5:30 p.m. (Toronto)

34. Dennis Rahkonen, «The Truth About Those Hamas Rockets,» Online Journal, Jan 01 2009. https://dissidentvoice.org/2008/12/the-truth-about-those-hamas-rockets/

35. Dion Nissenbaum, «Israel prepares possible Gaza invasion», McClatchy-Tribune, Dec. 28, 2008. https://www.mcclatchydc.com/news/nation-world/world/article24517987.html

36. Foundation for Middle East Peace, Comprehensive Settlement Population 1972-2011 (2012, January 13, 2012). Retrieved from https://fmep.org/resource/comprehensive-settlement-population-1972-2010

37. Gideon Levy, «The time of the righteous», Haaretz, Jan 09, 2009. https://www.haaretz.com/1.5060777

38. Gosh Shalom, «The war in Gaza – vicious folly of a bankrupt government,» Dec 29, 2008. http://zope.gush-shalom.org/home/en/channels/press_releases/1230491211

39. Haaretz Service and News Agencies, «Livni: National aspirations of Israel's Arabs can be met by Palestinian homeland», Dec 11, 2008, https://www.haaretz.com/1.5072337

40. Haaretz Service and Reuters, «EU presidency: Israel ground op in Gaza 'defensive not offensive'», Haaretz, Jan 03, 2009. https://www.reuters.com/article/idUSL2333613

41. Hazem Balousha and Chris McGreal, «United Nation Warns of a 'Catastrophe unfolding'», The Globe and Mail, Jan 05, 2009, p. A8

42. Henri Le Boursicaud, «Compagnon de l'Abbé Pierre, Dix ans de voisinage», Nouvelle Cité, 2002, p. 38

43. http://laborforpalestine.net/wp/wp-content/uploads/2016/02/2016-02-11_Bulletin-70_BDS-Campaign-expanding.pdf

44. http://new.israelpalestinemissionnetwork.org/23-relationships/partnerships/348-open-letter-nccop

45. http://www.almayadeen.net/news/politics/609957/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%AB%D9%8A%D8%B1-%D8%AC%D8%AF%D9%84%D8%A7
46. http://www.bdsmovement.net/
47. http://www.caiaweb.org/faculty/
48. http://www.faculty4palestine.ca
49. http://www.icj-cij.org/docket/index.php?p1=3&p2=4&code=mwp&case=131&k=5a
50. https://www.icrc.org/ar/doc/assets/files/other/consequences-of-palastine-teritoire.pdf
51. http://www.mjoa.org/
52. https://bdsmovement.net/news/breakthrough-quakers-spanning-3-us-states-call-boycott-divestment
53. http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/12/30/AR2008123002661.html
54. https://bdsmovement.net/ar/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9
55. https://bdsmovement.net/news/alliance-baptists-divests-companies-profiting-israel%E2%80%99s-occupation-palestinian-land
56. https://bdsmovement.net/news/bnc-welcomes-call-christian-organizations-urging-world-council-churches-support-bds-movement
57. https://hyperallergic.com/183208/nearly-1000-uk-artists-commit-to-cultural-boycott-of-israel/
58. Cheryl Zehr Walker, «MCC U.S. board acts for peace through its investments,» March 26, 2013. https://mcc.org/stories/mcc-us-board-acts-peace-through-its-investments
59. https://www.christoelmorr.net
60. https://www.facebook.com/Patriarch.Elias.IV/posts/612416992127341/
61. «Kairos Palestine 9th Anniversary Conference Statement», https://www.kairospalestine.ps/index.php/resources/statements/kairos-palestine-9th-anniversary-conference-statement

62. «Kairos Palestine on the statement made by His Holiness the Pope about peace in Palestine and Israel», https://www.kairospalestine.ps/index.php/resources/statements/kairos-palestine-on-the-statement-made-by-his-holiness-the-pope-about-peace-in-palestine-and-israel

63. «United Methodists for Kairos Response Welcomes Pension Fund Exclusion and Divestment of Israeli Banks», Kairos Response, https://www.kairosresponse.org/pr_umc_divests_israeli_banks_jan2016.html

64. «No Academic Business as Usual with Ariel University and all other Israeli Academic Institutions Illegally Built on Occupied Palestinian Land: A Call from Palestine», November 29, 2018. https://www.mohe.pna.ps/news?p=articles&news=5822

65. «Foreign investment in Israel drops by 50%», June 25, 2015, https://www.newsweek.com/foreign-investment-israel-slashed-by-half-329269

66. «U.N., European Union and Pope Criticize Trump's Jerusalem Announcement» U.N., European Union and Pope Criticize Trump's Jerusalem Announcement, New York Times, Dec 6, 2017, https://www.nytimes.com/2017/12/06/world/europe/trump-jerusalem-pope.html

67. https://www.uccpin.org/#!pressrelease/c1a36

68. https://youtu.be/9ScAJUcVxZE

69. https://youtu.be/ea6GoIKc6hs

70. https://youtu.be/XgN7M9DB2b8

71. Human Rights Watch, «Israel: Allow Media and Rights Monitors Access to Gaza: Total Ban on Foreign Journalists Since Offensive Began», Jan 05, 2009. http://www.hrw.org/en/news/2009/01/05/israel-allow-media-and-rights-monitors-access-gaza

72. Human Rights Watch, «Israel: Stop Shelling Crowded Gaza City: Effect of 155mm Artillery Indiscriminate in Populated Areas», January 16, 2009. http://www.hrw.org/en/news/2009/01/16/israel-stop-shelling-crowded-gaza-city

73. Human Rights Watch, «Q & A on Hostilities between Israel and Hamas», December 31, 2008, http://www.hrw.org/en/news/2008/12/31/q-hostilities-between-israel-and-hamas

74. Human Rights Watch, «SECOND CLASS, Discrimination Against Palestinian Arab Children in Israel's Schools», 2001, http://www.hrw.org/legacy/reports/2001/israel2/ISRAEL0901-01.htm

75. ICG Middle East Report, N°21, 26 January 2004, «Dealing with Hamas,» p. 26. https://www.files.ethz.ch/isn/27423/021_dealing_with_hamas.pdf

76. Ilan Pappe, «Citizenship law makes Israel an apartheid state», June 30, 2008

77. Ilan Pappe, «No, Israel Is Not a Democracy», Jacobin https://www.jacobinmag.com/2017/05/israel-palestine-democracy-apartheid-discrimination-settler-colonialism

78. Ilan Pappe, «The Ethnic Cleansing of Palestine,» One World Oxford , 2007

79. Ismail Zayid, «The Jewish National Fund: A Colonial Racist Instrument», Not in Our Name, accessed March 29, 2009

80. Israe lshahak, «Jewish History, Jewish Religion: The Weight of Three Thousand Years», Pluto Press, 2008, p. 3

81. Jimmy Carter, «An Unnecessary War,» The Washington Post, Jan 09, 2009, A15. http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/01/07/AR2009010702645.html

82. JPost.com staff and AP, «Gaza resembles concentration camp», The Jerusalem Post, Jan. 8, 2009. (See also, https://www.jpost.com/israel/israel-shocked-at-cardinals-comments)

83. Julia Chaitin, «Darkness in Qassam-Land," Washington Post, Wednesday, December 31, 2008; Page A15

84. Kim Sengupta, «Gazans face 'humanitarian crisis' as Israeli raids intensify,» The Independent, Jan 02, 2009.

85. Kol Israel radio, «Amos Oz against Gaza invasion: `Ceasefire with Hamas,`» Feb. 12, 2008. http://www.anjameulenbelt.nl/weblog/2008/02/14/amos-oz/

86. Lara Friedman and Ori Nir, «Settlements in Focus Interview with Hagit Ofran», Peace Now, August 2007. http://archive.peacenow.org/entries/archive3996

87. Larry Derfner, «Rattling the Cage: Accept Hamas's offer,» The Jerusalem Post, Dec 24, 2009. https://www.jpost.com/opinion/columnists/rattling-the-cage-accept-hamass-offer

88. Mark Weiss, «Cabinet to endorse legal backing for IDF troops», The Jerusalem Post, Jan. 22, 2009. https://www.jpost.com/israel/cabinet-to-endorse-legal-backing-for-idf-troops

89. Meyendorff, J. (1974). St. [i.e. Saint] Gregory Palamas and orthodox spirituality. United States: St. Vladimir's Seminary Press

90. Meyendorff, J., Meyendorff, J. (2002). Saint Grégoire Palamas et la mystique orthodoxe. France: Seuil

91. Michael Ben-Yair, «The war's seventh day», Haaretz, Mar 03, 2002. https://www.haaretz.com/1.5237968

92. Miguel D'Escoto Brockman, «At the 57th Plenary Meeting on Agenda Item 16, the Question of Palestine», U.N. Headquarters, 24 November 2008. https://www.un.org/en/ga/president/63/pdf/statements/20081124-palestine.pdf

93. Monsaingeon, M., Palamas, G. (1990). De la déification de l'être humain. Switzerland: L'Age d'Homme

94. Oxfam, «Gaza refugees facing massive water cuts, disease», July 06, 2007. http://www.oxfam.org/node/181

95. Oxfam, «Gaza: Oxfam supported health worker killed and ambulance destroyed in Israeli shelling». https://www.oxfam.org/en/press-releases/gaza-oxfam-supported-health-worker-killed-and-ambulance-destroyed-israeli-shelling

96. Pappé, I. (2017). Ten Myths about Israel. United Kingdom: Verso

97. Pârequette Villeneuve, «Propos du Professeur Israel Shahak», Témoignage Chrétien, Paris, No 1362, 13 Août 1970, pp. 9-10

98. Matthew Brett, «Obama-Gaza: No Surprise,» Jan 04, 2009, Zmag. https://zcomm.org/category/topic/social-policy/page/339/ OR https://canadiandimension.com/blog/view/obama-gaza-no-surprise

99. Peace Now, «Middle East Peace Reports», September 2, 2008, Vol. 10, Issue 1, http://www.peacenow.org/mepr.asp?rid=&cid=5290

100. Peled-Elhanan, N., «The denial of Palestinian National and Territorial Identity in Israeli Schoolbooks of History and Geography 1996-2003», in Analysing Identities in Discourse, R.D.J. Todolí, Editor. 2008, John Benjamin Publishers: Amsterdam ; Philadelphia

101. Peled-Elhanan, N., «The Establishment of Israeli Identity through Racist Discourse», The International Journal of Diversity in Organizations, Comumnities and Nations, 2008. 7 (6).

102. Philippe Rekacewicz et Dominique Vidal, «Comment Israël confisque Jérusalem-Est», Le Monde Diplomatique, Fev. 2007 https://www.monde-diplomatique.fr/2007/02/REKACEWICZ/14411

103. Philippe Rekacewicz and Dominique Vidal, «The Politics of Urban Planning», Zmag, Feb. 19, 2007, https://mondediplo.com/2007/02/07jerusalem

104. Rannie Amiri, «What Humanitarian Crisis? Livni's Big Lie», Counter Punch, Jan 09, 2009. https://www.counterpunch.org/2009/01/09/livni-s-big-lie/

105. Reuven Pedatzur, «The mistakes of Cast Lead», Haaretz, Jan 08, 2009. https://www.haaretz.com/1.5059994

106. Richard Falk UN Special Rapporteur for Human Rights in the Occupied Territory, «Slouching toward a Palestinian Holocaust», June 29, 2007. https://link.springer.com/chapter/10.1057%2F9780230107922_7

107. Richard Falk, «Gaza: Silence is not an option», UN Press Release, Dec 09, 2008, https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/31DD18391DA1E61E-8525751A004F5006

108. Richard Falk, «Statement by Prof. Richard Falk United Nations Special Rapporteur for Human Rights in the Occupied Territory», UN, Dec 27, 2008. https://newsarchive.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx-?NewsID=9427&LangID=E

109. Robert Fisk, «Why do they hate the West so much, we will ask,» The Independent, Jan 07, 2009. http://www.independent.co.uk/opinion/commentators/fisk/robert-fisk-why-do-they-hate-the-west-so-much-we-will-ask-1230046.html

110. Sara Miller, «Peace Now: Israel planning 73,300 new homes in West Bank», Haaretz, March 02, 2009, https://www.haaretz.com/1.5082433

111. Scott Wilson, «Israeli Panel Declares Gaza a 'Hostile Entity': Strip's Supply of Fuel, Electricity to Be Cut», Washington Post, September 20, 2007; Page A14. https://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/09/19/AR2007091901156.html

112. Seumas Milne, «Israel's onslaught on Gaza is a crime that cannot succeed,» The Guardian, Tuesday 30 December 2008. https://www.theguardian.com/commentisfree/2008/dec/30/israel-and-the-palestinians-middle-east

113. Shahar Ilan and Roni Singer-Heruti, «Israel bans Arab parties from running in upcoming elections», Haaretz, Jan 13, 2009. https://www.haaretz.com/1.5061936

114. Shahar Ilan, «A wall runs through it», Haaretz, Nov 19, 2007. https://www.haaretz.com/1.4750808

115. Shmulik Haddad, «Mortar shells, Qassam rockets rain on Israel's south,» Yediot Ahronot, Dec 06, 2008. https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3554849,00.html

116. Stephen Shalom, «Question and Answer on Gaza», January 16, 2009 https://zcomm.org/znetarticle/question-and-answer-on-gaza-by-stephen1-shalom/

117. Taghreed El-Khodary, «Gaza Hospital Fills Up, Mainly With Civilians», New York times, Jan 04, 2009. http://www.nytimes.com/2009/01/05/world/middleeast/05gaza.html?em

118. The Assault on Israel Legitimacy. The Frustrating 20x Questions: Why is it still growing? January 2017, available on https://electronicintifada.net/sites/default/files/2017-04/the_assault_on_israels_legitimacyreut-adl_report.pdf

119. The Economist, «Gaza: the rights and wrongs,» Dec 30, 2008. https://www.economist.com/weeklyedition/2009-01-03

120. Tom Segev, «Trying to 'teach Hamas a lesson' is fundamentally wrong,» Haaretz, Dec 29, 2008. https://www.haaretz.com/1.5079438

121. UN Commission for Human Rights «Geneva Convention relative to the Protection of Civilian Persons in Time of War», 12 August 1949 https://www.un-.org/en/genocideprevention/documents/atrocity-crimes/Doc.33_GC-IV-EN.pdf

122. UNHCR Briefing Notes [United Nations High Commissioner for Refugees], 6 January 2009.

123. United Nation, General Assembly, 30th session, Resolution No 3379, Nov. 10, 1975, https://undocs.org/en/A/RES/3379(XXX) or https://unispal.un-.org/UNISPAL.NSF/0/761C1063530766A7052566A2005B74D1

124. Uri Avnery, «Molten Lead,» Jan 03, 2009. http://zope.gush-shalom.org/home/en/channels/avnery/1230937462/

125. Yaakov Katz, «IDF the Most Moral Army in the World», June 11, 2006. https://www.jpost.com/israel/idf-the-most-moral-army-in-the-world

126. Yair Ettinger, «Arab communities verging on 'catastrophe', leaders warn», Haaretz, Dec. 3, 2003.

127. Yossi Verter, «Poll: Most Israelis support continuing Gaza military op», Haaretz, Jan 01, 2009, https://www.haaretz.com/1.5057203

مكتبة
t.me/soramnqraa

تصميم لهى مقدم

هذا الكتاب الفريد يُقدِّم للقارئ العربيّ مقاربةً مسيحيَّةً، بل لاهوتيَّةً أصيلةً للقضيَّة الفلسطينيَّة.

فالفلسطينيُّون اليوم مجروحون، ومعتقلون ومحتَقرون. والإيمان المسيحيّ لا يقبل الحياد في مثل هذه الحالات. فالحياد انحيازٌ للقويّ ضدَّ الأخوة الأصاغر. والإيمان الحقيقيّ لا يقبل الخنوع ولا الاستسلام، بل لا يقنع إلَّا بالحرِّيَّة والعدالة والمحبَّة. والطريق إليها إنَّما يمرّ عبر المقاومة والنضال بأشكاله المتعدِّدة.

يُقدِّم خريستو المرّ إضاءةً لاهوتيَّةً للاهوت الذي يأبى أن يُرَوْحِنَ الإيمان رَوْحَنَةً رخيصةً تنقله إلى الميتافيزيقيا، بل ينادي الكاتب بإيمانٍ واعٍ وفاعل. هو إيمانٌ واعٍ لإدراكه أنَّ الشرّ في هذا العالم لم يكن يومًا وليد الصدفة أو القدر، إنَّما هو نتاج منظومةٍ اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة ممنهجة وَجَبَ تفكيكها. ومن هذا المنطلق، يدعو الكاتب لمواجهة نظام الفصل العنصريّ الإسرائيليّ كمسؤوليَّةٍ إيمانيَّة.»

من مقدِّمة الكتاب للقسّ الدكتور متري الراهب، بيت لحم.

دار الآداب